مذكرات

فؤاد عارف

دار ئاراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكةت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر – شارع گولان – أربيل – كُردستان العراق

مذكرات

فؤاد عارف

تقديم و تعليق

د. كمال مظهر أحمد

الإهداء

إلى من ربياني صغيراً وعلّماني حب الناس والصدق والصراحة: والدتي وخالي ماجد مصطفى... إلى كل شابٍّ يرنو إلى نعمة حب الناس والصدق والصراحة...

اسم الكتاب: مذكرات فؤاد عارف
تقديم وتعليق: د. كمال مظهر أحمد
من منشورات ئاراس، رقم: ٨٥٣
التنضيد: كاروان نادر + سهند سرتيب
التنقيح: أُميد احمد البناء
الإخراج الفني: كارزان عبدالحميد اسماعيل
الغلاف: مريم موتّقيان
الطبعة – الأولى ٢٠٠٩
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في إقليم كردستان: ٢٠٠٩/٢٤٨

الجزء الأول

كلمة تمهيدية

منذ سنوات يلح عليّ زملاوئي وأصدقائي ومعارفي وأصدقائي وأقاربي وكذلك طلبة العلم، الذين يشرّفونني بين الحين والآخر أن أنشر مذكراتي. وكان وقع ذلك الجزء من مذكراتي ألذي وجد الطريق إلى النشر في أوقات مختلفة طيباً في نفوس القراء ممّا شجعني على تسجيل جوانب أساسية مما أتذكر عن الأحداث التي عاصرتها، أو تلك التي أشتركت في صنعها بصورة أو بأخرى، على أمل أن أعود إلى جوانب أخرى من مذكراتي في فرصة أخرى إن شاء الله.

توخّيت الدقة والأمانة في رواية كل ما سجلت، وبقدر ما أسعفتني ذاكرتي، حاولت التركيز، وتجنب ذكر الآخرين كلما وجدت إلى ذلك سبيلا، فإن هدفي الأسمى ان أسجل لشبابنا حقيقة كنتُ أزدادُ إيماناً بها في أن أحرج لحظات عمري، وهي أن لا أفضل في الحياة من أن يكون المرء مخلصاً لوطنه وقومه، صادقاً مع نفسه وغيره، وفياً للأقربين والأبعدين، ان يؤمن بأن الرجل موقف ومبدأ، فيكون جريئاً متواضعاً أبياً، قوياً أمام مغريات الدنيا، باطنه لا يختلف عن ظاهره، وإن كان هكذا فإن الله تعالى يكون دوماً في عونه، هذا الذي لمسته لمس اليد مراراً وتكراراً على مدى عقود طوال قضيتها في خضم أحداث ساخنة لم أتهرب من أي منها يوماً ما.

كلي أمل أن تنال مذكراتي المتواضعة هذه رضا القراء، وغض الطرف عن كل ما يرونه نقصاً فيها، فإن للعمر والزمان والمكان أحكاماً لا يمكن تجاوزها.

في الختام أقدم جزيل شكري إلى السادة الأفاضل الدكتور عبدالستار طاهر شريف والدكتور بدرخان السندي لإجراء المقابلات معي وتدوينها والاستاذ شكور مصطفى لما أبداه من مساعدة أخوية لتلخيص مذكراتي وصياغتها الأخيرة والأشراف على طبعها، كما أقدم جزيل شكري للشاعر المتوقد نزاد عزيز سورمي لما أبداه من حرص على طبع الجزء الأول من مذكراتي على أفضل صورة ممكنة. ولايمكن أن أنسى يوماً ما مشاعر الأخ كريم جمعة الطافحة بدفء البنوة الصادقة، كثر اللّه من أمثالَهم ممن يبعثون الإطمئنان في النفس، والثقة بالمستقبل، إنه سميع مجيب.

فؤاد عارف

بغداد ١٨/١/١٩٩٤

فؤاد عارف عام ١٩٩٤

المقدمة

منذ عهد الإغريق والرومان القدماء ظهرت عادة تسجيل المذكرات واليوميات، كما فعل ذلك الفيلسوف والقائد العسكري زينفون في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد حين سجل في كتابه الشهير «أناباسيس» كل ما لاحظه فى طريق عودة العشرة آلاف يوناني إلى بلادهم من الشرق، أو كما فعل يوليوس قيصر حين سجّل يومياته عن حملته الكبيرة في بلاد الغال أواسط القرن الاول قبل الميلاد، التي وضعته في عداد أعظم القادة العسكريين في التاريخ.

إلاّ أنّ المذكرات لم تتبلور بمفهومها الحديث إلاّ في «عصر النهضة» حين أصبح للإنسان وكل ما يتعلق به وزنه وقدره الحقيقيان. ومنذ ذلك الوقت لجأ العديد من قادة الفكر والعلم والسياسة والحرب إلى تسجيل مذكراتهم التي تعد اليوم من أندر، وأخطر أدوات البحث الجاد بيد المؤرخين. ووفق ضوابط منهج البحث التأريخي، تعد المذكرات من أهم المصادر الاصيلة لدراسة وقائع التاريخ المعاصر، لا غنى عنها في بعض الحالات، خصوصاً حين يتعذر التوصل الى الحقيقة المقنعة بالاعتماد على المراجع والمصادر المتاحة، أو تتضارب المعلومات في هذه وتلك.

تحول تسجيل المذكرات الى ظاهرة ملموسة في العراق بعد سقوط النظام الملكي، فأن للمدّ الثوري العارم الذي إكتنفهُ قدر كبير من العواطف الجيّاشة، أثر كبير في صفاء الرؤيا الى الماضي القريب الذي أصبح يوصف بكل بساطة بعهد مباد، فحاول عدد من أقطابه نفض الغبار عن جوانب مهمّة من ذلك العهد الذي حمل في طياته شيئاً إيجابياً غير قليل في سياق التطور الطبيعي للبلد في ظروف لم تكن سهلة، كما ان هؤلاء يحدوهم الأمل في ان يبرّئوا ساحتهم عن طريق تسجيل الحقائق من وجهة نظرهم.

إن نصيب الكرد في هذه المرحلة يكاد يقترب من العدم لأسباب معروفة، أهمها دورهم المتواضع في صنع القرار والحدث في العهد الملكي من طرف، وقدرهم المعروف الذي لم يترك لقادتهم فرصة «حك الجلد» من طرف آخر. لذا فأن المنشور من مذكرات كرد العراق يكفي بالكاد لإستكمال أصابع اليد الواحدة.

يضفي هذا بعداً خاصاً على مذكرات اللواء المتقاعد فؤاد عارف. أضف الى ذلك ان صاحب المذكرات يروي أحداثاً غريبة لاتخلو من مغزى وفائدة، بل تلقي أحياناً حزمة من

الضوء على حدث معين قلّما تعالجه المراجع الأخرى، بما فيها الوثائق الديبلوماسية التي تحتل المقام الأول من حيث الأهمية بين المصادر، إذ لا تأريخ من دون وثيقة برأي ثقاة المؤرخين. فكم منّا قرأ شيئاً ما عن معسكرات التدريب التي انشأها نوري السعيد لطلبة الكليات والمعاهد من أجل إبعادهم عن الساحة أيام الإعداد لعقد ميثاق بغداد مثلاً، بينما نجد في ثنايا المذكرات التي بين أيدينا شيئاً ممتعاً، ومفيداً مغزاه في أن بالإمكان جمع الأضداد بحسن التدبير. بينما قرأنا وسمعنا بالمقابل الشيء الكثير عن دور صاحب المذكرات أثناء النقاش الحاد الذي جرى بين عبدالكريم قاسم و عبدالسلام عارف في وزارة الدفاع بعد إقصاء الأخير عن مناصبه وتعيينه سفيراً للعراق في ألمانيا الغربية بعد ثورة الرابع عشر من تموز بأشهر قليلة، إلاّ ان ذلك لا يقلل من أهمية ما يرويه هو عن ذلك الحدث بأسلوب شيّق، وبسيط بوصفه الشاهد الوحيد الذي رأى بعينه أدق تفاصيل ما رافق النقاش المذكور من إنفعالات كادت تنتهي بكارثة سياسية.

ولاشك في أن من يتذكر آثار الحرب العالمية الأولى في منطقته، ويعيش أحداث حركات الشيخ محمود وإنتفاضاته منذ العام ١٩١٩، ويجلس مع الأمير غازي على رحلة الدراسة، ويرافقه بعد ان ينتقل العرش اليه، ويدخل اسمه الوثائق البريطانية الخاصة منذ العام ١٩٣٩[١]، ويكون على أوثق صلة بمعظم الضباط الأحرار بغض النظر عن قناعاتهم الفكرية، ويتبوأ مواقع حساسة في العهد الجمهوري محافظاً لكربلاء، ووزيراً ونائباً لرئيس الوزراء، ويتمتع بحب وثقة الكرد الذين عاصرهم من دون إستثناء، ويلتقي زعماء من أمثال جمال عبدالناصر و ميكويان و سوكارنو و شوان لاي وجهاً لوجه و... و... لابد ان يكون لديه الكثير الكثير ليرويه ويسجله. ويضفي صدقهُ المعروف، وصَراحتُه المعهودة بعداً خاصاً على مايروي دون مبالغة، أو اصطناع الأحداث، أو حقد على أحد، فليس من الصعب على القارئ ان يلاحظ كيف ان صاحب المذكرات يبحث في الغالب عن فضائل الناس من دون مثالبهم.

يرى المرء بسهولة في ثنايا هذه المذكرات رجل مبدأ، شفاف، ومتواضع لا يسعه إلاّ ان يحبّه ويحترمه لما يحمل من خصال طيّبة فرضته على السياسة من دون ان يبحث هو عنها، بل يحس به أحياناً غريباً عن عالمها المليء بشتى أنواع الفنون التي لا يجيد

---

(١) يرد اسم المذكرات في الوثائق البريطانية منذ أواسط الأربعينات، مقروناً في الغالب بالقضية الكردية.

خفاياها من هُم من طينته، وصفاء سريرته.

إلاّ أنه لا يتعثر، مع ذلك، في دربها الشائك، بل يتحول أحياناً الى أشبه ما يكون بصمام أمان يحتاجه أصحاب الأدوار المتباينة: لأن الشك لا يخامر أحدهم لحظة في صدق نواياه، وفي هذا أيضاً سرّ جاذبيته الغريبة التي تشد إلى مجلسه حتى اليوم من أقصى اليمين الى اقصى اليسار، بين طاعن في السن وشاب في مقتبل العمر، بين متدين متزمت وعلماني منفلت، لتختلط فيه الأجناس و اللغات و الأذواق والآراء كما تختلط أزاهير جنينة غنّاء.

يكتنف المذكرات قدر من التكرار، وخرق للتسلسل التأريخي في عرض الأحداث والذكريات أحياناً، والتركيز حيثما يقتضي التفصيل، وهفوات أخرى لم تؤثر، على مانعتقد، كثيراً في مضمونها. وقد فرض علينا ذلك وضع هوامش تفصيلية لبعض مما ورد في متن المذكرات لقناعتنا بضرورتها لتوضيح الصور التي يوردها صاحبها أمام القارئ من جميع جوانبها بصورة أفضل. وينبغي الإشارة إلى أننا لم نتدخل في أسلوب صاحب المذكرات، ولا في صياغة المذكرات اللغوية إلاّ ما ندر.

نتمى ان تحتل مذكرات اللواء المتقاعد فؤاد عارف المكانة اللائقة بصاحبها في نفوس القراء.

كمال مظهر

الفصل الأول

الطفولة والصبا ١٩٢١ – ١٩٢٨

أسرتي وطفولتي

ولدت في مدينة العمارة في العام ١٩١٣ من أبوين كرديين، هما السيد عارف بن السيد محمود بن الشيخ إسماعيل الكونه كوتري بن الشيخ مصطفى القرداغي بن الشيخ حسن بن بابا رسول علي رأس الأسرة البرزنجية، والسيدة نعيمة بنت مصطفى أفندي بن محمود بن مراد، مربي أولاد البابانيين، من عشيرة مردوخ.

انتقل جدي الأكبر الشيخ إسماعيل الكونه كوتري البرزنجي بصحبة مولانا خالد النقشبندي المعروف، الى بغداد في عهد الوالي داود باشا (١٢٣٢– ١٢٤٧/ ١٨١٧ –١٨٣١م) الذي بنى لمولانا خالد النقشبندي التكية الخالدية المعروفة بإسمه، ومازالت قائمة حتى اليوم في رأس القرية، كما عينّ جدّي مدرساً لمدرسة جامع الحيدرخانة. ويذكر أن الوالي المذكور درس مقامات الحريري على يديه. وتوفي في بغداد ودفن في جامع الشيخ عمر السهروردي في الضريح نفسه الذي دفن فيه الشيخ عمر. ولخلاف بينه وبين الوالي رحل مولانا خالد النقشبندي إلى الشام واستخلف جدي مكانه. أما جدي السيد محمود البرزنجي فقد عينّه داود باشا مستنطقاً في محاكم بغداد، وظّل في وظيفته هذه حتى وافته المنية. لقد رزق السيد محمود أربعة أولاد، وهم السادة شكري الذي لم يتزوج، فأحيل على المعاش في آخر وظيفة له، هي رئاسة محكمة أطنة، فعاد الى بغداد ومارس مهنة المحاماة لفترة، حتى توفي ببغداد في العام ١٩٣٩، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، والسيد حمدي المتوفى في مقتبل العمر، والسيد عارف والد محرر هذه الاسطر الذي كان رجل علم، درس علوم عصره على طريقة أقرانه. فقد عُينّ أول الأمر مدرساً للمدارس الرشدية، ثم مديراً لناحية برادوست، فمستنطقاً لمحاكم العمارة. وآخر وظيفة له هي ناظرية المدرسة الرشدية السلطانية ببغداد وعضوية مجلس البلدية علاوة على وظيفته في عهد السيد عزت الفارسي، رئيس بلدية بغداد يومذاك كما روى لي ذلك المرحوم عزت الفارسي نفسه في الخمسينيات. وقد اضاف بأنهم كانوا يكنون له إحتراماً خاصاً، حتى أنه شخصياً ما كان يوقع محاضر البلدية قبله على الرغم من كونه رئيساً للمجلس. توفي والدي في حدود العام ١٩١٤. والسيد نوري البرزنجي هو آخر أعمامي، وقد تقلّد عدداً من الوظائف التربوية، منها مفتّشية معارف كردستان العام ١٩٣٢م بكركوك. توفي العام ١٩٥١ ببغداد ودفن في مقبرة الأعظمية. وإنما سمّيت (فؤاداً) تحقيقاً لرغبة صديق والدي السيد محمود صبحي الدفتري تيّمناً باسم والده.

في كنف خالي ماجد مصطفى

وبعد وفاة والدي ١٩١٤، وكان عمري يومئذ سبعة أشهر، انتقلت مع والدتي الى بيت جدي لوالدتي ببغداد، ثم انتقلت الأسرة الى مدينة السليمانية قبل سقوط بغداد بيد الإنجليز في آذار ١٩١٧، حيث عشنا في بيت خالي ماجد مصطفى[١] الذي عني بي عناية كبيرة وتعهدني برعايته الكاملة، وكنت شديد التعلق به، الى حد أني لم أشعر معه باليُتم يوماً. فقد كان خالي مَثلي الأعلى في حياتي ومازلت على سيرته الحميدة. كان خالي من خريجي الكلية الحربية بأستنبول. عاد إلى العراق أثناء احتلال بريطانيا للعراق. سجنه الميجر سون[٢] لأنه لم يأخذ له التحية، وقد أخبرهُ على أن يكون مديراً لمدرسة الرشدية

---

(١) ماجد مصطفى محمود من مواليد سنة ١٨٩٦، تخرج في المدرسة العسكرية باستنبول فعّين ملازماً، اشترك في عدد من المعارك التي خاضها العثمانيون في ميادين الشرق في سنوات الحرب العالمية الأولى، عاد الى السليمانية بعد سقوط الدولة العثمانية ليتحول بسرعة الى واحد من الشخصيات الكردية السياسية المعروفة، كان من أنصار الشيخ محمود في المراحل المبكرة من حركته، رافقه الى بغداد للقاء الملك فيصل الأول سنة ١٩٢٧، تقلّد وظائف إدارية مختلفة وكان متصرفاً (محافظاً) في العمارة أيام انتفاضة نيسان – مايس ١٩٤١ التي أيدها. ويكاد يكون السياسي الكردي الوحيد الذي يثني عليه العقيد صلاح الدين الصبّاغ (فرسان العروبة في العراق، الطبعة ١٩٥٦، ص ١٩٨)، أيّد توجهات حزب «هيوا» (الأمل) القومية، مثّل السليمانية في مجلس النواب أكثر من مرة فأنتقد سياسة الحكومة وقصر نظرها بالنسبة للمسألة الكردية (محاضر مجلس النواب، الاجتماع العادي لسنة ١٩٤٤، محضر الجلسة الرابعة، ص ٥٠ – ٥٥). استوزر لأول مرة في كانون الأول سنة ١٩٤٣ حين أصبح وزيراً بلا وزارة في وزارة نوري السعيد الثامنة ليكون حلقة الوصل بين الحكومة وقيادة الإنتفاضة الكردية بزعامة البارزاني يومذاك، تقلّد الوزارة مرات أخرى، بعد ذلك، مما أبعده نهائياً عن القوى والأوساط القومية الكردية، أنصرف الى الأعمال الحرة قبل ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ بسنوات قليلة. وافاه الأجل في بغداد يوم الثاني من آب عام ١٩٧٤.

(٢) ايلي بانسترسون (١٨٨١ – ١٩٢٣) اكثر ضباط الانكليز إطلاعاً على الكرد وبلادهم، زار مناطق واسعة من كردستان في العام ١٩٠٧ متنكراً باسم مرزا غلام حسين الشيرازي، يقول عنه المؤرخ محمد أمين زكي انه كان يجيد الكردية مثل أي من ابنائها، عُينّ ضابطاً سياسياً في السليمانية في بداية العام ١٩١٩ في سياق العمل بإتجاه وضع حد لنفوذ الشيخ محمود، حسب مذكرات رفيق حلمي واحمد تقي، وهما شاهدا عيان، تصرف الميجر سون بفظاظة في غضون المدة القصيرة التي شغل فيها منصب الضابط السياسي في السليمانية.

الشخصية الكردية المعروفة ماجد مصطفى خال صاحب المذكرات

في السليمانية، وبقي مديراً لها حتى إلتحق بحركة إسماعيل آغا الشكاك (سمكو)[١]، وكان يعود الى السليمانية بين الفينة والفينة سراً. وقد التحق به عدد من الضباط الكرد. توفّي رحمه اللّه ببغداد العام ١٩٧٤، دفن في مقبرة الغزالي.

تقديم عريضة الى الحاكم السياسي الميجر سون

اتذكر جيداً ان المرحوم توفيق وهبي بك[٢] اعطاني عريضة لاسلمها الى الميجرسون، الحاكم السياسي المقيم في مدينة السليمانية اذ كنت طفلا صغيراً، ونصحني الا اذكر له اسم الشخص الذي سلمني العريضة، فوقفت انتظر قدوم سيارته. فلما قدمت سيارته نزل الحاكم السياسي البريطاني الميجرسون منها، فسلمته العريضة. وما كان منه الا ان رفعني عالياً بكلتا يديه، قائلاً «من سلمك العريضة؟» قلت لا ادري. فضحك عالياً. فذهب و اطلق سراح خالي ماجد مصطفى رحمهُ الله. كما اذكر انه سجن ثانية فهرب من سجنه.

قصف مدينة السليمانية والهرب الى ايران

ومما أذكر، وأنا بين السادسة و السابعة من عمري، ان الطائرات البريطانية قصفت مدينة

---

(١) اسماعيل اغا شكاك الملقب بسمكو زعيم كردي معروف، برز اسمه في كردستان قبل الحرب العالمية الاولى بمدة، قاد نضال الكرد في ايران طوال العقد الثالث من هذا القرن الى ان تم قتله غيلة في اشنو اواسط تمور ١٩٣٠، التحق به العديد من المثقفين الكرد العراقيين.

(٢) «الوزير العراقي والأديب، العالم الكردي توفيق وهبي بك بن معروف بن محمد، كان جدّه لأمه رسول مستي أفندي الملقب بشيخ العلماء من رجال العلم المحترمين في عصره» (مير بصري، أعلام الكرد، لندن – قبرص، ١٩٩١، ص ٢٠١)، من مواليد السليمانية العام ١٨٩١، خريج المدرسة العسكرية وكلية الاركان العثمانيين، ضابط لامع، رجع الى السليمانية بعد ان وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، أيّد الشيخ محمود في بداية حياته السياسية، يحتل اسمه مكاناً بارزاً في الوثائق البريطانية التي تتحدث عن القضية الكردية ولاسيما في أواخر العقد الثالث وبدايات العقد الرابع، آمر الكلية العسكرية العراقية، مدرس في كلية الاركان، درّس الملك فيصل الثاني اللغة الكردية، استوزر عدة مرات، عضو مجلس الاعيان، نائب رئيس «حزب الأمة الاشتراكي» الذي أسسه صالح جبر سنة ١٩٥١، له دراسات جادة باللغات الكردية والعربية والتركية والانجليزية، عضو المجمع العلمي العراقي ونائب رئيسه، عضو شرف في المجمع العلمي الكردي، وافاه الأجل في لندن يوم الخامس من كانون الثاني سنة ١٩٨٤، نقل جثمانه الى السليمانية ليدفن في جبل پيره مگرون حسب وصيّته، تجلى في تشييعه المهيب عرفان الكرد بخدماته.

السليمانية العام ١٩١٩(١) فاضطررنا الى ان نهرب مع والدتي وجدتي ومربيتي وحمه كريم وحمه سعيد وحمه كورده من رجالنا. وبينما كنا في طريقنا الى قرية (كونه ماسي) ونعبر نهراً صغيراً، إذ بسرب من النحل يهاجمني ويلسعني ويطرحني من على ظهر البغل أرضاً، فاختلط لديّ طنين النحل بأزيز الطائرات الإنجليزية القاصفة، فمرضت أثر هذا الحادث فأحضر لي طبيب شعبي في قرية كونه ماسي لمعالجتي. لم نمكث في القرية طويلاً فاتجهنا الى كردستان بقصد الوصول الى (بانه) احدى حواضر كردستان القريبة من مدينة السليمانية، فتسلّمنا مسؤول ايراني بعنوان (كلانتر) وتولى أمر إقامتنا. وبعد مضي أسابيع ونحن في عزلة عما جرى حولنا، وذات يوم فاجأنا حمه كورده وهو يغلق باب فناء المنزل بإحكام، مهيباً بنا أن نستعجل في إعداد الخيل والاستعداد للرحيل بأقصى سرعة ممكنة للهرب، لأن الايرانيين – حسب قوله – سيلقون القبض علينا ويسلموننا الى الإنجليز ان ظفروا بنا، فسورع الى إعداد الخيل وإسراجها وشد على ظهورها ما ثقل من متاعنا، أما ما خف حمله فقد شدّ على ظهر أفراد اسرتنا وأُركبنا ظهور الخيل علاوة على أحمالها. وقد اركبت أنا من خلف مربيتي سلمى خانم فرساً، وفي غمضة عين فتح حمه كورده الباب وتقدمنا منطلقاً بنا انطلاقة السهم من منزعها وهو يطلق الرصاص من مسدسه على أفراد الدرك الإيرانيين الذين حاولوا تطويق دارنا، فأربكهم حمه كورده شّر إرباك. وكان قد اتفق مع الاخوين حمه كريم وحمه سعيد بشأن الطريق التي نسلكها والقرى التي سنمر بها، في حين عاد هو لمشاغلة متعقبينا من الدرك، ما إن مضت دقائق حتى غدونا على مبعدة ومنجاة من شرّهم، وبعد ساعات لحق بنا حمه كورده ليلاً، فواصلنا مسيرنا من قرية الى أخرى حتى بلغنا قرية (ششو) ورئيسها حمه آغا زوج خالتي وهو من رؤساء عشائر پشدر المعروفين واستقر بنا المقام هنا.

تعلم القرآن في قرية "ششو" وقصتي مع الملا عبدالرحمن

كنا نعيش في منزل أحد اقربائي وهو (حمه آغا) الملقب بـ (حهمه بچكول) من رؤساء عشائر پشدر. وكنت أتعلم القرآن القران الكريم على يد الملا عبدالرحمن. كان الملا

---

(١) كان ذلك على أثر إنتفاضة الشيخ محمود ضد الانكليز والتي انتهت بهزيمة القوات الكردية أمام القوات البريطانية بقيادة الجنرال فريزر في معركة دربندي بازيان في السابع عشر من حزيران ١٩١٩، وقد جرح الشيخ محمود وأسر في تلك المعركة لتدخل القوات البريطانية بعدها مدينة السليمانية التي هربت منها أعداد كبيرة من سكانها.

عبدالرحمن يأتي كل يوم من الصباح الباكر الى مسجد القرية في مكان مرتفع شمالي القرية. ومما أذكُر جيداً ان الجو كان بارداً، إذ كان في فصل الشتاء ورغم برودة الجو وتساقط الثلج وتجّمد المياه صباحاً، كان الملا عبدالرحمن يحضر صباح كل يوم ليعلمني و يدرسني القرآن الكريم. كان يصلي صلاة الفجر في المسجد ثم يأتي ليوقظني، لكي يُدرّسني. كنت أحاول عبثاً إقناعه بأن يتركني وشأني، بحجة أني مريض مرة وبإغرائه بإعطائه السكر مرة، ولكن من دون جدوى، فلم يكن الملا من طراز الملالي الذين يسهل إقناعهم.

ذات يوم قمت بعمل صبياني لإيذاء الملا المسكين. كان ثمة جدول في أعلى المسجد، كسرت الجدول ذات ليلة فتسرب الماء الى طريق المسجد وتجّمد. وبينما كان أحد الضيوف، وهو المرحوم الحاج محمد سام اغا من أشراف السليمانية ومن أقربائنا قادماً الى القرية، زلت به قدمه فتدحرج الى أسفل المسجد، ولم يقع الملا في الفخ هذه المرة، فذهب ضحيتة غيره. حاولت ثانية، فكسرت الجدول بعد عشرة أيام من محاولتي الأولى، فبينما كان الملا عبدالرحمن في طريقه الى المسجد تدحرج من أعلى القرية فكسرت ساقه، فحمل الى قرية أخرى لتجبير ساقه، ولم يعد الى القرية إلاّ بعد مرور ستة أشهر على الحادث، وبذلك تخلصت منه الى الأبد. وعلمت فيما بعد انه لم يكن يجيد حتى قراءة القرآن وكان نصف أمي...

قنابل الإنجليز

من ذكرياتي اني كنت ذات يوم، وأنا في السليمانية، ذاهباً الى المدرسة إذا بالطائرات البريطانية تحلق في سماء مدينة السليمانية قاصفة، فركضت خوفاً من ان تصيبني نيرانها(١). لم اكن قادراً على الهرب والإختباء لصغر سني، فأَخذت بيدَي إمرأة كانت تحاول الهرب أيضاً وكنت اشاهد القنابل تسقط هنا و هناك يمنةً ويسرةً بالقرب منا، وكان الرماة الكرد يرمون الطائرات ببنادقهم.

---

(١) تعرضت السليمانية لقصف الطائرات الحربية البريطانية المتواصل اثناء انتفاضة الشيخ محمود الثانية، وكان القصف هذه المرة مركزاً الى درجة ان الإنجليز حين دخلوا المدينة في أواخر آيار ١٩٢٤ لم يجدوا من سكانها سوى حوالي ٧٠٠ شخصاً فقط من أصل أكثر من ٢٠ ألف نسمة كما ورد ذلك نصاً في التقرير الذي قدمته الحكومة البريطانية إلى عصبة الأمم عن سير الإدارة في العراق من نيسان ١٩٢٣ حتى كانون الاول ١٩٢٤.

الجاسوس اليهودي

عاد الانجليز ثانية فاحتلوا مدينة السليمانية، وكنت انا وجدتي ووالدتي في السليمانية. اضطررنا ان نذهب الى منزل حمه كريم. وبينما نحن في دار حمه كريم وهو من رجالنا الأوفياء دخل علينا رجل يهودي أعور، فرآنا في المنزل، فقال لحمه كريم أنه طرق سمعه ان فؤاد عارف مع جدته حليمه خانم والدة ماجد مصطفى هنا في منزلكم، والحكومة البريطانية تبحث عنهم وقد خصصت مبلغاً كبيراً لمن يلقي القبض على أفراد هذه الاسرة، كان عمري آنذاك في حدود الحادية عشرة. فانتقلنا من سطوح البيوت الى منزل أحمد توفيق بك، متصرف السليمانية، رحبت بنا والدته (حبه خان) فقبلتني، وبكت حين رأتنا في تلك الحال. فأرسلت تدعو ابنها احمد بك في المضيف، فقالت له: «هذه أم ماجد، هلا فعلت شيئاً لها ولفؤاد!» أجابها احمد بك: «إن البريطانيين اذا عرفوا بوجودهما هنا أساءوا إليّ، فسأحاول ترحيلهما من هنا». وفي الغد عدنا الى منزل توفيق قزّاز، وكانت صلته بالسلطات الحكومية حسنة، فبقينا في منزله أياماً عدة حتى استطعنا الهرب بذريعة التنزه الى قرية ولوبه. وفي ولوبه كان ينتظرنا عدد من الفرسان الذين رافقونا الى قرية اخرى لا اتذكر اسمها، وهناك التقينا ليلاً الشيخ محمود، وكان برفقته خالي ماجد مصطفى، وقد تأثر كثيراً لحالنا، وفي ثورة غضب منه امر الشيخ محمود بإرسال مفرزة خاصة الى مدينة السليمانية من أجل معاقبة اولئك الكرد المتعاونين مع الإنجليز، والذين أساءوا معاملتنا، ومن ولوبه سافرنا الى بانه كما أسلفت، وذلك بعد أن رتّبوا أمور إقامتنا هناك. وبعد عودة الشيخ محمود الى حكم السليمانية رجعنا بدورنا من قرية ششو في بشدر الى السليمانية.

تقديم عريضة للمتقاعدين الى الملك محمود

ومما اتذكر انه في اضطراب الأوضاع في مدينة السليمانية تأخر صرف رواتب المتقاعدين لأسابيع، أنتهز متقاعدو محلتنا فرصة تواجد الملك محمود(١) في المدينة

---

(١) يقصد به الشيخ محمود البرزنجي (١٨٨٢ – ١٩٥٦) الذي بعد أن اضطر البريطانيون السماح له بالعودة من منفاه في الهند بأمل إحتواء الحركات المناهضة لهم، ووضع حد لدعاية الكماليين ونشاطهم في كردستان العراق أيام الصراع على ولاية الموصل، اعلن نفسه «ملكاً على كردستان الجنوبية»، وشكل حكومة في تشرين الثاني ١٩٢٢ قضت عليها الطائرات الحربية في آذار ١٩٢٣.

فحرَّروا عريضة وقَّعوها، وهم يناشدون الملك صرف رواتبهم. فلم يجدوا خيراً مني للقيام بتقديم العريضة لما كان لي عند الملك من عطف لهُ علي، فأخذت العريضة وذهبت الى حيث يمر الملك محمود وحاشيته الى السراي وبيدي العريضة. فما ان ظهر الملك محمود حتى تقدمت بها اليه، فابتسم لي وامر بصرف مرتبات المتقاعدين في محلتنا گويژه.

ما أن تناهى الى أسماع متقاعدي المحلات نبأ صرف رواتب فريق منهم بالطريقة التي تمت، حتى هرعوا إلي يناشدونني بالقيام بمهنتي. فما كان منّي إلاّ ان ذهبت بعريضتهم أيضاً الى الملك محمود وهو يشرف في فناء الجامع الكبير على بعض الإصلاحات والترميمات للجامع. ما ان رآني من بعيد حتى تناول طابوقة وهو يتوعدني لو أقتربت منه لرشقني بها، ثم ضحك وناداني بتودده المعروف، فقدمت اليه العرائض فبتَّ في أمرها.

هدية الى الملك محمود

توالى وصول العديد من رؤساء العشائر، والمتنفذين الكرد من المناطق الاخرى، وحتى من كردستان إيران للاعلان عن مؤازرتهم للشيخ محمود، وكان لدى الشيخ محمود عدد من المضائف خصصت لإستقبال هؤلاء، وصادف ان أقام أحد هؤلاء الرؤساء، وهو محمد صالح بك گولي من زعماء (بانه) المعروفين، ومن مؤيدي الشيخ محمود في دارنا بحكم ما كان يربطنا به من علاقات وطيدة. وكان من عادة الشيخ محمود أنه يرّد زيارة هؤلاء الرؤساء في محلات إقامتهم. وفي أحد الايام زار دارنا للقاء محمد صالح بك. وبعد إنتهاء الزيارة دخل الملك محمود الحرم مع خالي ماجد وجلسا لبرهة مع جدتي حليمة خانم، وكانت تتعاطى على دأب أهل زمانها النارجيلة وكان مبسم نارجيلتها من الطراز الفريد في بابه، فاعجب به الملك محمود، فسألها من أين لها هذا؟ أجابته انها هدية...

لم يمض على الزيارة يوم أو يومان حتى كلفتني جدّتي بأن أذهب بمبسم النارجيلة وقد لفتها بمنديل حرير الى الملك حيث يقيم الملك محمود، إذا هو يتصدر مجلساً مزدحماً، فأقتحمته، واستقبلني بحرارة، وتناول مني الهدية، وأجلسني الى جانبه، وشكر جدّتي على هديتها، وربت على ظهري مظهراً عطفه الابوي عليّ، فخرجت.

الشيخ محمود في محطة قطار كركوك، يرافقه ماجد مصطفى ويودعهما عبدالقادر
خانقاه و الشيخ عبدالله بن الشيخ عمر خانقاه

الشيخ محمود البرزنجي القائد التاريخي للحركة الكردية في العراق حتى مطلع العقد الرابع

رفسة حصان

وان انس فلا أنسى حادث تعرضي لرفسة حصان كنت قد قدته لسقيه في مكان خارج المدينة حيث تسقى الدواب، فقد أغمي علي من شدة الرفسة التي تلقيتها. واذ عدت الى رشدي وجدت نفسي في حضن خانم عثمان باشا الجاف[1]، وقد وضعت على جبهتي المصابة عروقة (شفته) ضخمة بوصفها بلسماً يشفي. مازلت أذكر مدى إشفاق السيدة المهيبة خانم عليّ وملاطفتها لي بقولها وهي تحذّرني قائلة: «إياك ان تأكل العروقة»، فما زال أثر الرفسة ظاهراً على جبهتي.

التلمذة والتعلم بين الكتاتيب والمدرسة

كانت دراستي متقطعة موزعة بين الكتاتيب حيث يتعلم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة بالأسلوب المعروف، وبين المدرسة النظامية، بسبب الظروف غير المستقرة كنا نضطر الى الهرب تارة الى الجبال، والاقامة بين خوف ورجاء تارة اخرى في السليمانية. كنت اداوم يومين في المدرسة وأهرب بقية الأيام خوفاً من قصف الطائرات البريطانية. لقد كنا نقضي أكثر أوقاتنا في القرى داخل الحدود الايرانية او قرى پشدر. لقد درّسني الملا حسين پيسكه ندي، وخواجه أفندي رحمهما اللّه، والملا عبدالرحمن في قرية (ششو) كما مرّ.

التهديد بنبش قبر

في إحدى الأمسيات أخبرني خالي ماجد مصطفى، وأنا على سفرة الطعام، برسوبي،

---

(١) هي عادلة بنت عبدالقادر آل صاحبقران، من أسرة أردلانية عريقة، ولدت في سنندج سنة ١٨٥٩، عقيلة عثمان باشا بن محمد باشا من رؤساء عشيرة الجاف المعروفة، عُرفت بقوة شخصيتها، تبوأت بجدارة مكان زوجها بعد ان وافته المنية سنة ١٩١٠، أثنى عليها كل من التقاها من الأجانب، يقول عنها العليم بشؤون كرد العراق ادموندس:

«ولعل الجاف كانوا في أواخر عهد العثمانيين أقوى قبائل جنوب كردستان، ولذلك عين الأتراك في منصب القائممقام عثمان باشا أحد أعضاء أسرتها الحاكمة. وكان رجلاً رقيقاً ملايناً كثير الغياب عن مقره، فأنتقلت كل سلطته الفعلية تدريجياً الى زوجته عادلة خان، وقد ترملت في عهد الإحتلال، إلاّ أنها ظلّت ملكة شهرزور غير المتوّجة (كرد و ترك و عرب، ترجمة جرجيس فتح الله، ص ٥٢)، اعجبت بالإنكليز وحضارتهم، منحها البريطانيون لقب خان بهادر التشريفي، وردت أسمها في الوثائق البريطانية والمؤلفات الأجنبية مراراً، توفيت السنة ١٩٢٤.

وكان مدير المدرسة الأستاذ رفيق حلمي رحمه اللّه. فما كان مني إلاّ ان توجهت إلى داره في فورة عصبية طفولية متوعداً مزبداً مربداً، والله لأنبشنّ قبر ابنته المدفونة حديثاً أمام داره جزاء إبقائي في صفي، غير أنّ زوجته المحترمة هدّأتني بشق الأنفس... فأنصرفت، بعد ان أتحفتني بهدايا من النقل والحلوى.

الشيخ محمود الحفيد ملكاً

مازلت أتذكر وأنا في مقتبل العمر ان اسم الشيخ محمود البرزنجي (الحفيد)(١) يتردد على الألسنة بأنه صار حكمداراً لكردستان(٢)، وانه شكل حكومته الكردية قبل تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة في ٢٥ تشرين الاول من العام ١٩٢٠ برئاسة عبدالرحمن النقيب، كما كنت اسمع بأن الحكومة تمهّد الاوضاع لإجراء إستفتاء عام لتنصيب الملك فيصل الأول ملكاً على عرش العراق وان الدولة العراقية الحديثة تجابه معارضة كردية شديدة وبخاصة في السليمانية وكركوك، فأن الكرد رفضوا إنضمامهم الى الدولة العراقية الجديدة في لوائي السليمانية وكركوك تحت إشراف وإدارة حكومة جلّ موظفيها من الإنجليز، ومن جهة أخرى فقد انضم اللواءان موصل وأربيل الى الحكومة الجديدة(٣).

---

(١) لقبه الحقيقي البرزنجي، نسبة الى قرية برزنجة الواقعة الى الشمال الشرقي من مدينة السليمانية، ويذكره العديد من المؤرخين بلقبه هذا، منهم م.س. لازاريف، و س.هـ. لونكرك، والدكتور محمد مظفر الأدهمي الذي يريد بذلك أن يبعد عن الشيخ محمود ما يقال عن نسبه الى أشراف مكة، وهو مصيب في ذلك، فإن لقب الحفيد جاءه من نسبه الى جده كاك احمد الشيخ. ذكرته الصحافة العربية حتى خارج العراق بلقبه البرزنجي منذ تلك المرحلة المبكّرة من نضاله القومي (تنظر على سبيل المثال مجلة «العرفان»، صيدا – بيروت، الجزء الرابع، المجلد الثامن، كانون الثاني ١٩٢٣، ص ٢٨٠).

(٢) أُعلن الشيخ محمود حكمداراً في الأول من تشرين الثاني ١٩١٨ بحضور نوئيل مندوباً عن الحاكم المدني العام وكالة أرنولد ولسن. تأتي كلمة الحكمدار في اللغتين الكردية والفارسية بمعنى الحاكم والوالي والقائد والأمير والرئيس العام والعاهل (يُنظر توفيق وهبي وأدموندس، القاموس الكردي الإنجليزي، أكسفورد، ١٩٦٦، ص٤٨، ٦٧، كوردوييف ويوسوبوفا، القاموس الكردي الروسي، موسكو، ١٩٨٣، ص ٢١٤، الدكتور محمد آلتونجي، فرهنك طلائي، المعجم الذهبي فارسي – عربي، الطبعة الثانية، دار الملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٢٨).

(٣) قاطعت السليمانية الاستفتاء، وصوتت كركوك ضد الأمير فيصل، أما كرد اربيل والموصل فقد صوتوا بشرط ضمان حقوقهم القومية، بل إن المصوتين في أربيل أعلنوا صراحة أنهم يتراجعون عن قرارهم=

هكذا فقد اشتركت جميع الألوية العراقية أخيراً في الاستفتاء الذي أجري عدا لواء السليمانية، فيما صوت لواء كركوك ضد فيصل.

بعد تشكيل الدولة العراقية وتنصيب الملك فيصل الاول ملكاً على عرش العراق تحرك الكرد مرة أخرى ضد الحكومة العراقية والنفوذ البريطاني، وكان قد تمّ التنسيق بين الكرد والترك الكماليين، اذ حشدت تركيا قواتها على الحدود العراقية بقيادة اوزدمير، ودخلت منطقة كردستان مما زاد من فعالية الثوار الكرد الذين أجبروا القوات البريطانية على الإنسحاب من معظم أراضي كردستان. أما القوات التركية فقد وصلت مدن رانية وكويسنجق. وأما منطقة پشدر فقد كانت أساساً تحت الإدارة الكردية. لقد استغل الكرد تواجد القوات التركية في منطقة كردستان وانسحاب الإنجليز من السليمانية، هذه الاحداث دفعت بالإنجليز الى التفكير بإعادة الشيخ محمود الحفيد من منفاه في الهند لمعالجة الموقف. بعد عودة الشيخ محمود الحفيد بدأ العمل لإعادة التشكيلات الإدارية وتنظيم المسلحين الكرد في ألوية

السليمانية وأربيل وكركوك. واعلن الشيخ محمود تشكيل حكومة كردية في ١٠ تشرين الأول من العام ١٩٢٢، فأمام الأمر الواقع اصدرت الحكومتان البريطانية والعراقية بياناً مشتركاً في ٢٤ كانون الأول من العام ١٩٢٢ جاء فيه:

«ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة العراق تعترفان بحقوق الاكراد القاطنين ضمن حدود العراق لتأسيس حكومة كردية في المناطق التي يؤلف الكرد فيها الأكثرية المطلقة، وترجو ان تتوصل العناصر الكردية المختلفة فيما بينها الى إتفاق من شأنه تعيين شكل الحكومة التي يرغبون فيها وحدّودها، وان يبعثوا بممثلين رسميين الى بغداد للمداولة بشأن علاقاتهم السياسية والإقتصادية مع حكومتي بريطانيا والعراق».

إلاّ ان الحكومتين البريطانية والعراقية لم تكونا، كعادتهما، جادّتين في وعودهما، إذ لم تمض مدة طويلة حتى تراجعتا عن هذا البيان، فقد هاجمت القوات المسلحة العراقية

= حول تأييد فيصل «إذا ما ظهرت الظروف الواردة في المادة ٦٤ من معاهدة سيڤر» كما ورد نصاً في الصحيفة ١٥٤ من التقرير الخاص الذي قدمته الحكومة البريطانية باللغة الإنجليزية الى عُصبة الأمم عن سير الادارة في العراق في سنوات الانتداب، الذي طبع على شكل كتاب مستقل في لندن سنة ١٩٣١.

فؤاد عارف في الصف الرابع الإبتدائي في مدرسة الفضل ببغداد
سنة ١٩٢٧

يساندها الطيران البريطاني مدينة السليمانية فأحتلتها في تموز ١٩٢٤.

اتذكر جيداً هذه الاحداث. وبعد دخول القوات المسلحة العراقية مدينة السليمانية إنسحب الشيخ محمود الى قضاء (پنجوين) مما دفع بالإنجليز الى التفكير ثانية بالحل السلمي للمسألة الكردية بعد فشل إستخدام العنف ضد الشيخ محمود والمسلحين الكرد.

سمعت ان المستر (كورونواليس) مستشار وزارة الداخلية العراقية آنذاك جاء الى السليمانية في تشرين الأول من العام ١٩٢٦ واجتمع بالشيخ محمود في منطقة خورمال شرقي حلبجة، محاولاً الاتفاق معه، إلأ أن الشيخ محمود رفض شروط البريطانيين، مما دفعهم والحكومة العراقية الى إرسال الجيش الى قضاء پنجوين فاحتلته في ٢١ نيسان من العام ١٩٢٧ فأضطر الشيخ محمود هذه المرة الى قبول شروط الحكومة العراقية والمجيء الى مدينة السليمانية شخصياً والإجتماع بمتصرف السليمانية السيد أحمد عثمان واصطحبه الى بغداد[١] وكنت يومئذ تلميذاً في الصف الثالث الابتدائي بكركوك في المدرسة العلمية واعيش مع خالي فائق مصطفى مهندس التسجيل العقاري (الطابو) بكركوك و حين مَر الشيخ بكركوك نزل ضيفاً عند السيد احمد خانقاه رحمه اللّه، وأقيم له مأدبة الغداء على شرفه، فسافر في مساء اليوم ذاته بطريق القطار الى بغداد، وكان بصحبته خالي ماجد مصطفى. وبعد ان اتفق مع الحكومة العراقية أرسل أبنه الشيخ بابا علي الحفيد الى بغداد تعبيراً عن حسن النية فدخل هو مدرسة الفضل في الصف الرابع الابتدائي، ودخلت أنا في السنة ذاتها منقولاً من كركوك الى المدرسة نفسها في العام ١٩٢٧، وبعد نجاح الشيخ بابا علي بدرجة ثالثة أوفد الى الاسكندرية لإكمال دراسته في كلية فكتوريا، أما أنا فقد نجحت بدرجة خامسة فأدخلت المدرسة العسكرية بعنوان أبناء

---

(١) بعد عودة المندوب السامي كورنواليس من خورمال ارسل الشيخ محمود السيد احمد البرزنجي ممثلاً عنه الى بغداد في أواخر العام ١٩٢٦، وقد توصل مع المسؤولين الى إتفاق مبدئي وافق عليه الشيخ محمود «شرط تحقيق الوعود التي أعطته العصبة للكرد» كما ذكر في رسالة خطية بعثها الى كورونواليس بهذا الخصوص، وعندما تلكأ المسؤولون في تلبية مطاليب الشيخ دخلت قواته پنجوين استعداداً لمواصلة النضال المسلح من جديد، فتم إرسال قوتين الى المنطقة، الأولى تتألف من قوات الليفي البريطاني والثانية عراقية، مما أجبر الشيخ محمود على الإنسحاب من پنجوين، لكن آثار المقاومة أمتدت الى مناطق أخرى، مما أجبر المندوب السامي على المجيء الى پنجوين. في ظل هذه الظروف اضطر الشيخ محمود الى قبول الاتفاق، فجاء رئيس الوزراء الى السليمانية واجتمع به حيث أقنعه بالحضور الى بغداد ليعود بعد ذلك الى قرية پيران حسب منطوق الاتفاق.

رؤساء العشائر الذين كانوا يُفضلون على غيرهم للدراسة في هذه المدرسة.

وهكذا اتفق الشيخ محمود مع السلطات العراقية، وعين خالي ماجد مصطفى مديراً لناحية العزيزية. وفي بغداد عشت في بيت عمي السيد نوري البرزنجي، مدير مدرسة الفضل الابتدائية يومئذ. وبعد نجاحي من الصف الرابع دخلت المدرسة العسكرية قسم أبناء العشائر كما ذكرت.

الفصل الثاني

في الكلية العسكرية مع الأمير غازي

قبولي في الكلية العسكرية

دخلت الكلية العسكرية العام ١٩٢٨، وكان قبولي ضمن فئة المقبولين من أبناء رؤساء العشائر[١]. وهنا تجدر الاشارة الى أن الدراسة العسكرية كانت تجري على ثلاثة أقسام: القسم الاول، ويشمل من اكمل الدراسة الاعدادية، أي خريج المدارس الثانوية، ويقبل في الصف المتوسط. والقسم الثاني ويشمل الطلبة ممّن إجتازوا المرحلة المتوسطة، ويقبلون في الصف المستجد. اما القسم الثالث فيشمل أبناء رؤساء العشائر. وهؤلاء كانوا في مستوى معرفة القراءة والكتابة، ويشترط فيهم ان يكونوا قد اجتازوا مرحلة دراسة معينة. وقد قبلت في هذا القسم، وقبل معنا الملك غازي، وكان آنذاك يسمى الشريف غازي، وانما قبل ضمن فئة أبناء رؤساء العشائر لأنه لم يكن قد اجتاز مرحلة دراسية آنذاك، ولكن احتسبت دراسته في المملكة المتحدة، فقبل في الصف الثاني من المدرسة العسكرية لأبناء العشائر[٢].

لم يكن مجموع الطلبة آنذاك يتجاوز ألـ٧٠ طالباً. اما معدل الصف فكان يتراوح بين ٢٠–٢٥ طالباً. وقد تخرجت في الكلية العسكرية برتبة ملازم ثان العام ١٩٣٤.

اما كيف دخلت الكلية فإنني بعد ان درست في كركوك، كما ذكرت، انتقلت العام ١٩٢٧ الى بيت عمي السيد نوري البرزنجي الذي كان مديراً لمدرسة في بغداد، ودرست عنده في الصف الرابع الابتدائي. فقد جاء الى كركوك واخذني معه الى بغداد، وكان حريصاً على دراستي، ويملك حساً تربوياً. وقد اصبح في العام ١٩٣٢ مفتشاً لمعارف كردستان في كركوك. توفي العام ١٩٥١.

---

(١) كانت تعرف في البداية بالمدرسة العسكرية الملكية التي كانت تقبل يومذاك، بسبب ظروف البلاد، أقساماً ثلاثة من الطلاب، الأول كانوا ممن اكملوا الأعدادية والثاني كانوا ممن اكملوا الابتدائية وقطعوا اشواطاً في المتوسطة، اما القسم الثالث والاخير فكانوا ممن عرفوا بأبناء رؤساء العشائر الذين كان مطلوباً منهم ان يعرفوا القراءة والكتابة فقط، مما استوجب ان يقضوا في المدرسة مدة عامين او اكثر من زملائهم الآخرين، وان يأخذوا دروساً اضافية للتعويض عن نقصهم في التعليم.

(٢) التحق الأمير غازي بوالده في بغداد في الخامس من تشرين الأول السنة ١٩٢٤، وقد عهد أمر تدريسه الى هيئة خاصة، ثم أرسل الى لندن في نيسان من العام ١٩٢٦ للدراسة في مدرسة هارو العامة التي كانت من أرقى المدارس في التربية والتعليم، لكن النجاح لم يحالفه لأسباب شتى، مما دفع الملك فيصل الأول الى استدعائه من لندن في تشرين الاول سنة ١٩٢٨ وادخاله في المدرسة العسكرية الملكية التي تخرج فيها ضمن دورة العام ١٩٣٢.

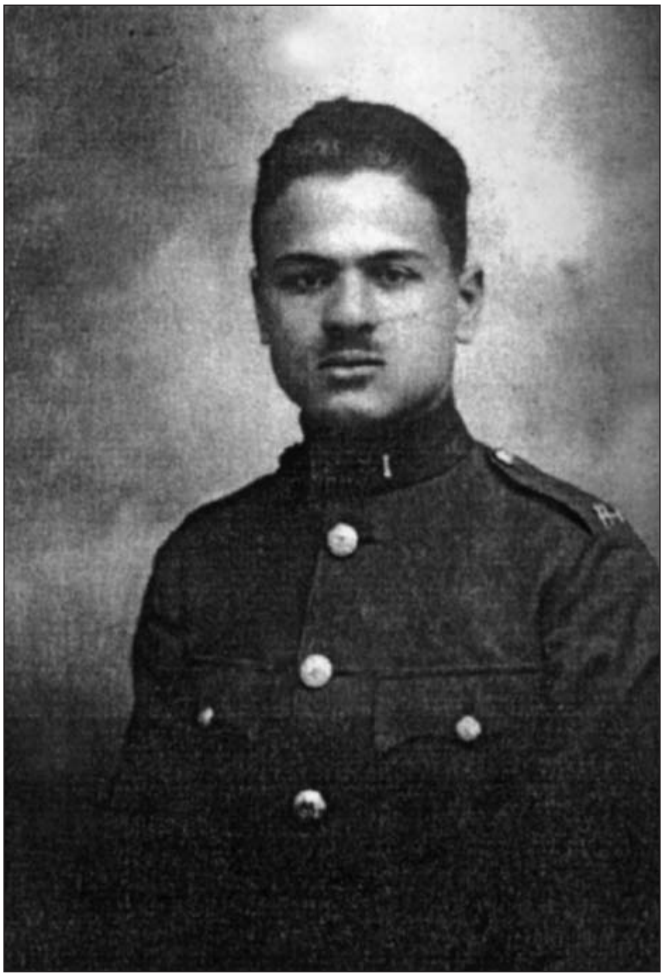

فؤاد عارف بالزي الخارجي في الصف الاول بالمدرسة العسكرية
سنة ١٩٣٢

فؤاد عارف بالزي الداخلي حين كان طالباً بالمدرسة العسكرية
التقطت الصورة في الأول من ايار سنة ١٩٣٠

فؤاد عارف اثناء عطلة نهاية الاسبوع للمدرسة العسكرية
سنة ١٩٣٠

ولما اكملت العام الدراسي عنده، نشأت لدي الرغبة في الدخول للمدرسة العسكرية. فقد استهوتني الحياة العسكرية آنذاك.

وهنا لابد أن اشير الى ان كلاً من السيدين توفيق وهبي ومحمد زكي قد بذلا ما بوسعهما من جهد لضمان قبولي في الكلية العسكرية آنذاك. وكنت سعيداً بهذا السلك وما زلت احب هذه الوظيفة رغم كل مشاقها، وهي الوظيفة المناسبة تماماً لي، ولو عادت عجلة الزمان الى الوراء، وخُيِّرت من جديد لما اخترت غير الحياة العسكرية.

وكان دخولي الكلية أثناء إشراف بعض االإنجليز على تدريسنا، فكان ناظر المدرسة بريطانياً وهو الكابتن (تيك). واول آمر عسكري عراقي للكلية كان المرحوم محمد امين زكي بك، ومن بعده اصبح المرحوم محمد توفيق وهبي آمراً للكلية. واعقبه بعد ذلك المرحوم خالد الزهاوي. وهنا لابد من الاشارة الى ان قوام الكلية العسكرية كان يمثل نخبة طيبة من الشباب العراقي.

اما زملاء الدراسة فهم عبدالكريم قاسم (الذي اصبح فيما بعد رئيساً للوزراء والقائد العام للقوات المسلحة العراقية)، وانور فرنكول، ومجيد حسن (امين العاصمة سابقاً)، وكاظم عبادي، واسماعيل محمود، واحمد محمد يحيى (وزير الداخلية في وزارة عبدالكريم قاسم)، وسعدي عبدالوهاب، ومنير مدلل، وبرهان عبدالكريم، وحسين فخري محمد علي واحمد صالح العبدي (رئيس اركان الجيش والحاكم العسكري العام في عهد عبدالكريم قاسم)، وعبدالقادر خوجه، وبسيم حسون، وبكر سامي، وصالح محمد (ابن اخ الشيخ محمود)، وعبدالقادر عزت، وعبدالقادر محمد ومحمود طه البرزنجي، ومعروف غريب (ابن اخت الشيخ محمود)، وبهادر مجيد، وفرمان امين، وداود صبري سلمان، ومحمد فتاح رشيد، وصبري رشيد، ومصطفى باين، ومحمد الشيخ سلام. حقاً ان معظمهم عرباً واكراداً كانوا اصدقائي، وامتدت علاقتي بهم وظيفياً وما زلت التقي بعضهم. انها رحلة طويلة حملت معها ذكريات كثيرة.

زمالة الامير غازي

اما الشريف غازي الذي دخل معي الكلية العسكرية في السنة ذاتها، فقد قبل في الصف الثاني. وكانت الكلية عبارة عن قاعتين. كنا ننام مع الشريف غازي في قاعة واحدة لثلاث سنوات تباعاً ما عدا السنة الأخيرة، فقد اخذ غازي ينام في غرفة ضباط الصف من التلاميذ وهم أربعة من مساعدي الضباط من الصف المتقدم، وكنا نتناول وجباتنا

الغذائية الثلاث معه على منضدة واحدة.

كان غازي يبدو طالباً اعتيادياً، لم نكن نشعر ان هذا الذي معنا هو (الامير غازي) والمرشح لعرش العراق من بعد أبيه. كانت علاقتنا به مثل علاقتنا بأي طالب آخر. كنا نتعايش معاً: النوم، الاكل، التدريب معاً، عدا يوم الخميس مساءاً، اذ كنا نترك الكلية وينزل غازي الى منزله، ونجده في اليوم الثاني الجمعة مساءً، وقد عاد الى الكلية. وكان المرافق الأقدم للملك فيصل، خالد الزهاوي مسؤولاً عن مرافقة غازي من الكلية يوم الخميس واعادته مساء الجمعة.

لقد كان للشريف غازي صداقة مع بعض الطلبة، ولكن بشكل عام، كان الامير غازي مسالماً، محباً لكل الطلبة، وقد لا أُصدقَّ ان قلت انه كان يشكو من بعض الطلبة ازاء بعض مواقفهم المزاحية التي لم تكن تناسبه. ومما اذكر انه جاءني مّرة يشكو من زميل كردي، وهو زكي عزيز (من كويسنجق) وقال لي، يافؤاد! أرجو أن تنبّه (زكي) ان يكف عن ممازحته لي...

اذكر اني دخلت مرة نادي الكلية، فناداني الامير غازي قائلاً:

تعال يا فؤاد! اجلس معنا، فقلت لا اجلس معكم. قال لماذا؟ قلت: اخشى ان تصبح ملكاً، ويصبح هؤلاء الجالسون معك وزراءك، فقال: وانت ماذا تريد؟ قلت حينذاك ارغب في أن اكون متقاعداً...

فضحكنا جميعاً، ولم اكن ادري ان الاقدار ستجعلني فيما بعد مرافقاً له، وموضع ثقة العائلة المالكة آنذاك.

كان الامير غازي يحب مهنته بوصفه طالباً في الكلية العسكرية. فقد كان نشطاً متميزاً بين أقرانه، يحب الرياضة كثيراً، وكان احسن فارس في الكلية، ومن المتقدمين بجدارة[1].

(١) كان الملك فيصل الاول يرغب في ان يتخرج ابنه غازي في المدرسة العسكرية الملكية ضابطاً خيّالاً فطلب الى وزير الدفاع ان تبذل العناية لتدريبه على ركوب الخيل والتمرن على الفروسية، ويبدو ان الملك فيصل كان يراعي ان صغر جسم الامير غازي كان يتلاءم مع تمارين الفروسية... ولهذا يمكن القول ان غازي تخرج في المدرسة العسكرية ضابطاً خيّالاً يحمل صفات الفارس الجريء الذي يتحلى بلياقة جسدية، وروحاً رياضية، وتعشقاً للفنون العسكرية...» الدكتور لطفي جعفر فرج، الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣ – ١٩٣٩، منشورات مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٧، ص ٣٤، ٣٩.

كان يبدو لنا سعيداً بدراسته في الكلية العسكرية، وربما كان مبعث هذا ما عاناه من الدراسة في بريطانيا، لأننا كما علمنا انه لم يكن راغباً في الدراسة خارج العراق، وقد تعثرت دراسته هناك، وانتقل من مسكن الى آخر، ومن مدرسة الى اخرى، وقد اختير له اكثر من معلم هناك، وتعددت التقارير عنه، وزادت من معاناته، إن اكثر من عامل كان له دوره في فشله الدراسي في انجلترا. فلقد كان غازي اساساً يحمل عقدة إزاء الانجليز حملها معه منذ الصغر، عندما وجد جده الحسين في حالة بائسة جداً من خلال المعاملة السيئة التي عومل بها. وهذا ما سنأتي عليه من بعد، الى درجة ان عينيه كانتا تمتلئان بالدموع عندما يتذكر جده الحسين وما آل اليه من حال بيد الإنجليز، حتى عندما اصبح ملكاً على عرش العراق لم تفارقه هذه الحالة. كذلك كان غازي متعلقاً بأمه، فلم يستطيع الابتعاد عنها في ذلك العمر المبكر، فقد كان في الرابعة عشرة من عمره حين أرسل الى إنجلترا، هذا علاوة على التعامل الخاص معه وشعوره بالاغتراب المفاجيء عن نمط الحياة الشرقية التي قد اعتادها في الحجاز وبعد وصوله الى العراق وهو في الثانية عشرة من عمره، وحينما فما وجد نفسه في الكلية العسكرية مع بني وطنه ومن دون تعامل خاص عادت ثقته بنفسه وانبسطت أساريره. لذا وجدناه في اقصى درجات التفاعل الاجتماعي مع مجتمع الكلية فعلاقاته كانت حميمة مع زملائه.

ومن الذكريات الطريفة التي اتذكرها اننا كنا نرمي الحجارة على نخلة كي يتساقط منها التمر جنياً قرب الكلية والأمير غازي معنا يفعل مثلما نفعل، وكنا نشعر بسعادة غامرة، ونحن نجمع التمر الزهدي المتساقط وبادره زكي عزيز قائلاً:

– اما عندك اربعة فلوس تشتري تمراً يا برنس! حتى جئت ترمي الحجارة لتسقط التمر!

قال الامير غازي:

– ياناس خاطر الله، مو آني هم يعجبني ألعب، واعمل مثلكم.

كان الامير غازي يقوم بأعماله بنفسه مثلنا، مثل صبغ الاحذية، وكذلك كان صندوقه يخضع للتفتيش، اذ كان لكل طالب صندوق لوضع حاجاته الشخصية ويجري التفتيش للتثبت من عدم وجود الممنوعات، فالأكل مثلاً كان ممنوعاً إدخاله الى القاعة او وضعه في الصندوق.

ومما اتذكر ايضاً ان بعض المدرسين كانوا يأتون الى الكلية لإعطاء دروس خاصة للأمير مثل فاضل الجمالي واحمد المناصفي وعبدالمسيح وزير، وكان يتلقى بعض

الشريف غازي اثناء التفتيش الاسبوعي في المدرسة العسكرية
سنة ١٩٣٠

الدروس الخاصة الاجتماعية تلبية لرغبة والده.

كان غازي يعامل في بعض المواقف بشكل قاس اكثر من الطلبة. وهنا يحضرني موقف لن انساه، سأذكره لأوضح كيف ان غازي لايعامل كباقي الطلبة فحسب، بل كانت المعاملة قاسية معه، اذكر اننا كنا نراجع العيادة الطبية في المستشفى القريب، حيث طبيب الخفر وللمريض ان يحصل على اجازة (استراحة مرضية) او يدخل المستشفى، وكان غازي رحمه اللّه مريضاً فعلاً عندما راجع الطبيب معنا كنا نحن متمارضين، وقد اعطاه الطبيب استراحة، ولما عدنا الى الكلية وقد منحنا الاستراحة، اخذ معاون آمر الكلية الرائد سعيد سلمان ورقة الاستراحة من يد غازي ومن دون ان يتأكد من حالته سحبه من يده وارسله الى التدريب حالاً، بينما ذهبنا نحن متمتعين بإستراحتنا التمارضية.

واذكر ان الرائد (رئيس اول) سعيد سلمان كان معاون آمر الكلية، وكان من خيرة ضباط الجيش العراقي آنذاك وكان جدّياً وحريصاً. أما آمر سريتنا فكان الرئيس (النقيب) سيد احمد محمود.

كان الملك فيصل رحمه اللّه يزور الكلية في أوقات مختلفة من دون سابق إنذار. ومما اتذكر انه زار الكلية في العام ١٩٢٩، وكنا نحن الطلبة في القاعة فى حالة غير نظامية، كل مشغول بأمره، طالب يغني، واخر يحلق لحيته، واخر يتحدث مع زميله بصوت عال، وفوجئنا بالايعاز (استعد) واذا نحن وجهاً لوجه امام الملك فيصل ومعه الفريق جودت باشا العزاوي رئيس المرافقين، اضطربنا نحن الطلبة وبدأنا نرتدي على عجل ملابسنا فقال: «على كيفكم ولدي». وجلس على كرسي صغير. وكان الأمير غازي آنذاك يصبغ حذاءه واخذ فيصل بدوره يعينه على ذلك. وبعد ذلك فتش دولاب غازي.

واذكر كذلك ان جلالته اقام حفلة عشاء لنا لمناسبة تخرجنا، وجاء بصحبته الوزراء وكانت الحفلة قد اعدت بثلاث موائد فقط. حقاً من خلال هذه الفرص القليلة التي تسنت لنا مشاهدة الملك فيصل استطعنا ان نلمس فيه التواضع الكبير والحب لنا بوصفنا طلبة. كان هادئاً وترى الطيبة والسلام على وجهه، وله شخصية جذابة، لايمكنك إلاّ ان تحترمها.

كنت في دراستي اكثر ميلاً الى الجانب العلمي من الدراسة. ومن الدروس التي تفوقت فيها كثيراً وكان لي حضور بارز فيها تدريب الحرية. ويحضرني الآن موضوع يسمى (الدقيقة المجنونة) في تدريب الحرية. وطبيعة هذه الفعالية تتطلب ان يكون المؤدي لها

قوياً تماماً، والا فلن يستطيع أداءها علاوة على ما فيها من متطلبات مهارية. فهي انواع من الطعن مع ضربات الاخمص علاوة على ضرب خمس اطلاقات، وقد تفوقت فيها. وقد صادف ان زار كليتنا جنرال ياباني وقد اعدت الكلية هذه الفعالية كي يطلع عليها الجنرال الياباني ضمن مشاهداته. وقد رتبّوا الأمر بحيث يكون الدور لي عندما يصل الجنرال، وانا مؤدي هذه الفعالية، وفعلاً نفذتها امامه وكنت موضع اعجابه، زد على ذلك ان الجنرال اعجب عموماً بكل تمرينات الكلية. كنت من هواة طفر الموانع، وقد تفوقت في موضوع الفروسية، وكنت فارساً جيداً في هذه المادة.

ومن ذكرياتي في الكلية مع مدرسيَ أنه كان الاستاذ أحمد المناصفي يدرسنا اللغة العربية، وهو سكرتير وزارة الدفاع في الوقت ذاته. وفي احد دروس العربية ذكر لنا حديثاً نبوياً، اذ قال: «قال محمد (ص): إياكم وخضراء الدمن، فسئل النبي ما هي خضراء الدمن يا رسول الله؟ فقال: المرأة الحسناء في منبت سوء».

وشرح لنا معنى الحديث الشريف، وذكر لنا ان هذا يمكن ان ينطبق على الرجل ايضاً.

في الحصة الاخرى لمادة العربية اردنا ان نصرف المدرس عن سير الدرس، وشجعني الطلاب وسمعتهم يقولون: «فؤاد اسأله اسأله!» فسألت المدرس قائلاً: «هلاّ حدثتنا، ايها الاستاذ، مرة اخرى عن خضراء الدمن؟» فأجاب المناصفي غاضباً: «انت لاتعرف العربية، وتريد ان تسخر مني» فأرسلني الى السجن.

ومن ذكرياتي أيضاً عن المناصفي انه كلّفنا مرة بإعداد تقرير في اللغة العربية، وكنا نسميه (اطروحة) وقد كلفت احد اصدقائي ممن كانوا يدرسون الشريعة كتابة الاطروحة، وفعلا كتبها لي ووضعت اسمي عليها وقدمتها للمدرس، وكانت على مستوى عال، فأعطاني الاستاذ صفراً، فذهبت اليه ممتعضاً. واتذكر اني قلت له: «ان هذا التقرير الذي قدمته لك جيد جداً، وليس فيه اخطاء، وكنت أتوقع درجة جيدة، لأنك كنت تعطيني درجات جيدة على تقارير دون المستوى» فقال: «نعم! كنت اعطيك درجات جيدة، لأنها كانت كتابتك اما هذا فواضح انه ليس كتابتك يا فؤاد! لهذا اعطيتك صفراً».

حقاً، كنا نعاني بعض الضعف في اللغة العربية، لكني كنت على أي حال أحسن من باقي زملائي الاكراد. ومن المفارقات اللغوية التي اذكرها، اننا كنا في مساء أحد الأيام وكان الجمعة، ونحن في طريق العودة الى الكلية في منطقة باب الأغا، وكان هنا بعض الحوانيت المتواضعة ومنها حوانيت لبيع الفاكهة، وكان الاخ المرحوم محمود طه معنا

وأراد ان يشتري فاكهة وهو لايجيد اللهجة العامية إذ كانت عربيته مدرسية فصيحة، فقال لبائع الفاكهة بالفصحى: «بكم تبيع الكمثرى؟» أجابه البائع:

– عمي آني ماعندي كمثرى!

قال محمود طه مشيراً

– هذا.

فقال البائع:

– عمي ليش ما تحجي عدل، وتكول عرموط؟!

اتذكر ان السينما كانت وسيلة ترفيهية نحبها. فما يحل يوم الخميس حتى كنا نجد انفسنا على مقاعد السينما مساءاً. حدث في إحدى الأمسيات اننا كنا جالسين في سينما «الوطني»، وكانت النسوة من المشاهدات يجلسن في المقاعد الأمامية، وقد احتجبن بعباءاتهن. ولم نكن نعرف من هنّ هؤلاء النسوة؟ وفي اثناء عرض الفلم قامت احدى الفتيات تاركة المقعد لتتحدث مع فتاة اخرى، وانتهز أحد الشباب الفرصة فجلس مكانها، فلمّا عادت الفتاة وهي لاتدري بذلك بسبب الظلمة ان شاباً قد احتل مكانها، فجلست في حضنه وصرخت. وما ان صرخت الفتاة، وكنت اراقب الموقف حتى انتفضت ورفعته محاولاً ان أرمي به الى الطبقة الثانية من القاعة، لأنها كانت تتكون من طبقتين، وتوقف عرض الفلم، واضيئت المصابيح وانا أسمع اصدقائي ينادون لا يافؤاد! لا! فقد باشرت بضربه ضرباً مبرحاً، الى ان تدّخل الانضباط الذين اشبعوه بدورهم ضرباً، ثم تركناه وعدنا الى الكلية، ونحن لانعرف من هؤلاء النسوة! ولكن ظهر من بعد انهن زوجات ضباط الكلية، اي عوائل الهيئة التدريسية للكلية والأركان. وكان مدرسو الكلية يعيشون في مساكن داخل الكلية العسكرية تماماً، وعندما سمعت النسوة بأسمي في اثناء ضربي لذلك المعتدي وعرفن من ملابسي انني طالب في الكلية العسكرية اخبرن ازواجهن بذلك.

وفي صباح اليوم التالي، اي السبت، ناداني المرحوم امين العمري الذي كان وكيلاً لآمر الكلية علاوة على انه كان آمراً لكلية الاركان يومذاك، وكنا في المذاكرة. وقال: «انهض يا فؤاد! اين كنت يوم الخميس ليلاً؟»

قلت:

– في السينما سيدي.

قال:

– ولماذا تشاجرت؟

فاخبرته بالقصة، ووجدته يعرف الموضوع، فوجه لي شكراً من الدرجة الاولى.

ومن ذكريات حياة التلمذة، اننا ذهبنا مرة الى حفلة اقامتها دار المعلمين الابتدائية، وكنا وعبدالقادر عزت وشيخ صالح شيخ محمد شيخ سلام وكانت خطيبته طالبة في دار المعلمات، وكان سعر البطاقة (٣) روبيات. واعتقد ان الحفلة كانت عبارة عن عرض مسرحي وعلى قاعة دار المعلمين في الكرخ. وكان مدير دار المعلمين الاستاذ متي عقراوي، واشترينا بطاقات (درجة اولى)، ولكن الكراسي الأمامية كانت محجوزة واجلسونا في الصف الثاني، واعترض أحد الزملاء وقال: «لماذا لانجلس في الصفوف الامامية ونحن نحمل بطاقات الدرجة الاولى؟» فقمنا تاركين أماكننا وجلسنا في الصف الأول، ومنعنا الاستاذ متي عقراوي، فما كان من أحد التلاميذ إلاّ ان أوقع بمتي عقراوي ضرباً، ولذنا بالفرار، وطلبة دار المعلمين يلاحقوننا واختفينا بين الأزقة، حتى بلغنا المقهى البيروتي، واخذنا سيارة (تاكسي) وعدنا الى الكلية. ويبدو ان الاستاذ متي عقراوي كان قد إتصل بوزير الدفاع واتصل الوزير بالكلية العسكرية، وما ان وصلنا الكلية حتى أوقفنا ضابط الخفر بتهمة السكر والعربدة، واحالونا الى طبيب المستشفى العسكري، وكان الطبيب الخافر المانياً، اسمه (فاينر) وهو برتبة رئيس، وكان يهوى جمع الطوابع، وكان احد الزملاء يملك طابعاً من ايام حكم الشيخ محمود الحفيد فأعطاه إياه، وشرح له معنى هذا الطابع، فكتب الطبيب تقريره بأنهم لم يشربوا المسكرات ولم يكونوا سكارى، وفعلاً لم نكن شاربين المسكرات.

وفي اليوم التالي لم نعاقب كثيراً، بل اكتفى بمعاقبتنا انضباطيا (سجن اسبوع) بحسب أمر وزير الدفاع.

نجدة الحوذي

لقد كانت بغداد ١٩٢٨ مدينة صغيرة، والكلية العسكرية كانت في منطقة الكرادة الشرقية، قرب الجسر المعلق حالياً، وكنا ناخذ من منطقة سيد سلطان علي قارباً (ماطور) ينقلنا عبر دجلة الى الكرادة واجرة الراكب اربع عانات يومئذ.

اذكر أنه كانت الساعة الحادية عشر ليلاً، وما من (ماطور) نهري في تلك الساعة، ولم

أكن أملك نقوداً لأجرة التاكسي. فحزمت أمري على المشي وعلى طريق السدة الذي يؤدي الى الكلية، وعبر الشارع الذي يسمى الآن شارع «أبو نواس». وكانت المنطقة بين شارع أبي نواس والسعدون منطقة بساتين وصولاً الى الكرادة. وقبل ان ابلغ منطقة البوليسخانه التي كانت تسمى (رخيته) وعبر الازقة الطويلة بين شارع أبي نواس والسعدون وجدت حوذياً (صاحب عربة) يستغيث في ذلك الليل المظلم ويصيح، ومصابيح العربة مضاءة، والموقف يوحي بوقوع حادثة وقعت او ربما ستقع، فما كان مني إلاّ ان اخرجت مسدسي واطلقت عدداً من العيارات، فوجدت عدداً من الرجال يولون هاربين، تاركين صاحب العربة، وقد اصابه الذعر، فطلبت منه ان يأخذني بعربته الى الكلية العسكرية، فقال: «تأمر سيدي». وهو لم يستطع ان يعرفني في ذلك الليل المظلم وتلك الحالة من الذعر وركبت العربة، وبلغنا الكلية العسكرية، ودخلنا الساحة المضيئة بمصابيحها، وهناك ترجلت فوجدني الحوذي صغيراً بالعمر، فأخذ يلطم ويضرب على رأسه قائلاً:

– هذا الصغير هو الذي أنقذني!

اي كان الحوذي خجلاً من نفسه، لأني أنا الذي انقذته وانا أصغر منه بالعمر كثيراً.

هذا بعض ما يحضرني من ذكريات تمتد الى فترة الدراسة. وعلى أي حال فالذكريات صدى السنين الحاكي كما يقول احمد شوقي.

مع الأمير غازي في العمادية

كنت أزور خالي ماجد مصطفى وهو قائممقام العمادية آنذاك في اثناء العطلة الصيفية (١٩٣٣).

وعندما عرفنا أن الامير غازي وصل العمادية وكانت مشكلة الآثوريين يومئذ قائمة. وقد جاء الى العمادية بصحبة متصرف الموصل والشريف علي كما اتذكر، احد اخواله. ومن الطبيعي اني لم اذهب الى استقباله، لعدم وجود صفة رسمية لي اذ ذاك، ولكن عندما ذهب الى السولاف اتصلوا بي هاتفيا، وقالوا ان الامير غازي يريد ان يراك فذهبت، وسلّمت عليه، وكان رحمه الله آنذاك برتبة ملازم ثان. ومكثت في السولاف يومين، ولم اكن قد تخرجت بعد، لأن غازي قد تخرج قبلنا.

وفي لقائي بالأمير غازي هذه المرة دارت بيننا أحاديث عذبة عن الدراسة. وأذكر انه عندما حل المساء جيء لنا بقناني البيرة واعتراني الخجل الشديد من موضوع شرب

البيرة، لأن خالي ماجد مصطفى كان جالساً ولم يكن يعرف اني قد شربت البيرة مبكراً. وعندما قدّم لي الامير غازي قنينة بيرة حاولت ان الفت انتباهه، وذلك بأن ضربت رجله برجلي من تحت المائدة، فقال غازي لخالي ماجد: «قل لفؤاد ان يشرب معنا، وألاّ يخجل»، فقال خالي ماجد: «والله ياسيدي اذا كنت تدري ان فؤاد قد شرب البيرة سابقاً فليشرب معنا، فهذا افضل من ان يشرب مع الغير. أما اذا لم يكن قد شربها بعد، فافضل ألاّ يشربها إلاّ بعد تخرجه من الكلية»، فأجابه غازي قائلاً: «ان فؤاداً يشرب البيرة، وقد شربها معي في بغداد». وهكذا قال خالي ماجد: «ليشرب اذن!» وبعد ذلك بدأت اشرب مع خالي في العمادية.

اني ما زلت اذكر اليومين اللذين قضاهما غازي في السولاف، فهو محدِّث عذب الحديث، يجعلك تشعر بسعادة كبيرة وأنت تجالسه. حقاً كان انساناً طيباً وبريئاً.

اما عن سبب قدوم الأمير غازي الى العمادية فانه قد جاء بوصفه نائب الملك، وكان الهدف من مجيئه على ما اعتقد تحقيق الهدوء في المنطقة. واذكر انه قبل قدومه شهدت المنطقة نشاطات خاصة بإسكان الآثوريين. فقد وصلت المنطقة فرقة خبراء ري من المهندسين برئاسة الدكتور احمد سوسه، وكانوا يحاولون دراسة إمكان سحب الماء من الزاب الأعلى الى منطقة دشتازي وحساب الكلفة لذلك فقد كانت النيّة إسكان الآثوريين في تلك المنطقة، بيد ان احداث الآثوريين وقعت، فحوصر احمد سوسة وجماعته في العمادية لإنقطاع طريق العودة.

وفي الحقيقة كان نوري السعيد قد جاء الى المنطقة لفترة سابقة واجتمع بمار شمعون وسرمه خانم عمة مار شمعون وجرت مناقشات معهم. كان الآثوريون حينها يطالبون الحكومة العراقية بالحكم الذاتي.

كان لمارشمعون خيمة في سر عمادية وكان له حرس خاص وقد زرته هناك وحللت ضيفاً عليه.

واذكر اني بتّ عند المار شمعون ليلتين. حقاً كان المرء يشعر انه امام انسان محاط بهالة من القدسية والاحترام، فرجاله الاشداء كانوا يحيطونه باحترام وقدسية، وكان لسرمه خانم شخصيتها القوية التي تفوق شخصية ابن اخيها المار شمعون. حقاً اني مازلت اتذكر زيارتي لهم وما تركوه في نفسي من حب وتقدير لهم.

تحدي وساطة ملكية

إن أروع ما اتذكره اليوم عن أيام دراستي مع الشريف غازي في الكلية العسكرية هذه الحادثة المعبرة التي أود أن اختتم بروايتها هذا الفصل من مذكراتي.

من اليمين إلي اليسار: مار شمعون، عمة مار شمعون سورمة خانم. نورى السعيد. في الخلف ماجد مصطفى قائممقام العادية قبيل حركات الآثوريين

مارشمعون مع ماجد مصطفى و فؤاد عارف و مارى والا مطران العمادية

كان المرحوم عبدالقادر خطيب آمراً للحظيرة التي كانت تضم الأمير غازي، وطالباً في الصف المتقدم في العام ١٩٢٨ – ١٩٢٩ الدراسي. اصبحت العلاقة بين غازي وعبدالقادر قوية، حتى في احيان كثيرة كان الأمير يأخذه معه الى القصر لقضاء يوم الخميس برفقته. من هنا فان عبدالقادر اصبح على صلة بكل من الملك والملكة.

يبدو ان عبدالقادر قد طلب منهما ان يطلبا من ادارة الكلية مراعاته، فبعث الملك مرافقه الأقدم الى الكلية لهذا الغرض، مما اثار ضجة كبيرة لم يتوقعها احد. فقد جمعنا ضابط الخفر، وقدمنا الى الرائد سعيد سلمان الذي كانت علائم الانفعال بادية على قسمات وجهه. توجه الرائد سعيد سلمان الينا وقال:

انني جمعتكم بأمر من ادارة الكلية حتى ابلغكم ان الطالب في الصف المتقدم عبدالقادر خطيب قد توسط لدى صاحب الجلالة لكي نساعده، مع العلم انه لايحتاج الى أي مساعدة لأنه ناجح في كل الدروس بحقه، وكان يتخرج ضابطاً مع زملائه، لكن الادارة قررت رفض وساطة صاحب الجلالة وطرد الطالب عبدالقادر خطيب من الكلية لأن من يكون بهذه النفسية لا يستحق ان يكون ضابطاً في الجيش العراقي، إلاّ ان عطف آمر الكلية العقيد توفيق وهبي عليه دفع الادارة الى تغيير قرار الطرد باعتباره راسباً في صفه حتى يكون عبرة لغيره.

ثم توجه الرائد سعيد سلمان الى الامير غازي، وطلب منه ان يخرج من الصف ويقف امامنا قائلاً له:

يا غازي قل لصاحب الجلالة ان الكلية العسكرية في ايد امنية، فلا داعي لأن يتدخل في أمورها، فلدى جلالته مهمات أخرى أهم من أمور الكلية. حقاً انه كان درساً رائعاً ما زال صداه يتردد في اعماقي.

الفصل الثالث

مرافقاً للملك غازي

من خصال الملك غازي وهواياته

من خلال زمالتي في الكلية العسكرية للأمير غازي ثم مرافقتي له بدا لي ان من أبرز صفاته التواضع. فقد كان الرجل متواضعاً بشكل غريب وكل من عَرف غازي استطاع بسهولة ان يكتشف تواضعه ومدى الطيبة التي كان يحملها للناس. كان بسيطاً في حياته وتصرفاته. واصدقك القول انه حافظ على علاقاته الاجتماعية مع أصدقائه، وكان كثيراً ما يبدو لنا كضابط في الجيش برتبة ملازم، وهي رتبته آنذاك، أكثر مما يبدو لنا ملكاً متربعا على عرش العراق. كان ضابطاً حقيقياً متشبعاً بالروح العسكرية، وكان يضيق ذرعاً بأشكال الحفاوة الرسمية، ولاسيما خارج اوقات الدوام الرسمي، فعندما كان يزورنا نحن المرافقين وننهض تحية له يقول متبرماً: «حتى في هذه الدقائق الخمس تضطهدوني». تصور انه كان يرى في إحترامنا له وقيامنا واخذنا التحية له اضطهاداً لحريته.

كان يتذمر كثيراً من أشكال الحماية. كان يهمس لي مرات، وانا مرافقه، كم يشتهي ان يجلس في مقهى (ابو علي) في شارع أبي نؤاس. واحياناً كان يقول لي: «هل تدري يافؤاد! من انا؟ انا سجين محترم، كم اتمنى لو اتمشى الآن في سوق السراي، وفي شارع الرشيد...»

كان الملك يميل كثيراً الى الإستمتاع بحريته الشخصية وأن لا يتصرف كملك اثناء واجبه الرسمي، حتى ان تواضعه وعفويته في التصرف كانتا تجلبان انتباه الضيوف الرسميين. عندما زار نجل شاه ايران محمد رضا، وكان يومئذ ولي العهد، وكان معه رئيس الوزراء آغاي جم، ذهبت لإستقباله مع الأمير عبدالاله ورئيس الديوان الملكي على الحدود الايرانية في منطقة (المنذرية): اذ كان قد جاء بسيارة. ومن بغداد سافر بالطائرة الى مصر لخطبة شقيقة الملك فاروق لنفسه، ووجد محمد رضا بهلوي من تصرفات الملك غازي ما أثار في نفسه العجب(١). فقد وجد ان الملك غازي يقدم بيده السيجارة لوزرائه، او انه يعطي بيده الشاي لهم، او احياناً يوقد عود ثقاب لوزير يريد ان يدخن. لقد استغرب نجل الشاه هذا التصرف.

---

(١) على العكس تماماً من الامير غازي كان ولي العهد الايراني محمد رضا بهلوي ينتمي الى اسرة متواضعة، فان والده رضا شاه (١٨٧٨ – ١٩٤٤) كان من أسرة ملاكية متوسطة في سوادكوه، من اعمال مازندران في شمال ايران، حتى ان المصادر الايرانية نفسها تختلف في تحديد نسب اسرته، بدأ حياته العملية جندياً بسيطاً في فرقة القوزاق التي اسسها في حينه ناصر شاه.

لقد كان غازي مغرماً بخبز الجيش (الصمون الاسمر العسكري) ولم يكن يأكل خبزاً غير هذا في مأدبة الغداء او العشاء الرسمية، كنت تجد الصمون العسكري على مائدة الملك غازي دوماً. وفي حفلة العشاء التي اقامها الملك غازي على شرف نجل شاه ايران جلب الخبز الاسود انتباه نجل الشاه فسأل الملك؟ ما هذا الذي تأكل؟ قال انه صمون الجيش... ومنذ ان كنت طالباً في الكلية العسكرية وانا لا استطيع ان أكل غير هذا...

ان هذا التواضع كان يمكن ان تجده في مأكله اليومي وفي ملبسه، فلم تكن مائدته اليومية مختلفة عن اية مائدة عراقية لأي موظف اعتيادي. اما اناقته فكانت اعتيادية وكان (وارمه) الخياط الهندي في بغداد يخيط ملابسه.

وصفة اخرى واضحة كانت في شخصية غازي. انه كان جريئاً ويميل الى التحدي. ولو استعدنا طبيعة العلاقات العراقية البريطانية في الثلاثينيات ومواقف غازي من السفارة البريطانية وتدخلها في شؤون العراق لعرفنا كم كان هذا الرجل جريئاً في مواقفه على الرغم من انه كان محاطاً برجالات اغلبهم يكنون الولاء للسفارة أكثر مما يكنون الولاء للعرش العراقي. وهذه حقيقة لايمكن تجاهلها وربما أتينا إليها فيما بعد. ومن اشكال جرأته ايضاً حبه للمجازفة في قيادة الطائرة او السيارة، نعم انه كان فارساً جريئاً وقد كان الاول على طلبة الكلية في الفروسية، وبجدارة من دون أي اعتبارات أخرى.

وكان الامير غازي اجتماعياً الى درجة لافتة للنظر، كان يحب إقامة علاقات صداقة صميمة، ويميل في صداقته الى رفع الكلفة والى المصارحة والفكاهة. ومع ذلك كانت له قدرة لأن يقضي ساعات طويلة وحده، وهو يمارس هواياته الشخصية. وعلى الأغلب كان يسهر وحده في الليل وفي الغالب في قصر الحارثية، وهو يشاهد فلماً سينمائياً من جهاز عرض خاص به، يقوم بتشغيله بنفسه. فعندما اصبح ملكاً تحدّدت علاقاته واختلفت عما كان عليه فى الكلية، فقد كان منشرحاً وسعيداً. ولسبب جوهري في اعتقادي ان الكلية او طبيعة الحياة في الكلية العسكرية كانت تشعره بأنه مثل كل الناس وانه جزء من هؤلاء الناس، لأنه لم يكن يرغب في العزلة عن الناس، ولم يرغب في ان يبدو شيئاً مختلفاً عنهم او مميزاً.

ومن صفاته التي اتذكرها جيداً انه كان شديد التأثر والانفعال في بعض المواقف، لكنه كان غالباً ما يهدأ، وتجده قد غيّر من رأيه وقراره اللذين جاءا في ثورة انفعاله. وكان في بعض المواقف يبدو شديد الخجل الذي يرتسم واضحاً على وجهه.

الملك غازي مع مرافقيه. من اليسار العقيد رشيد علي و الملازم الاول فؤاد عارف و الرئيس الأول عبدالقادر ياسين التكريتى. التقطت الصورة بعد افتتاح مطار البصرة سنة ١٩٣٨

الملك غازي يرافقه فؤاد عارف أثناء استقباله للطيار الذي قاد طيارته الخاصة «بلوبيرد». في الصورة زوجة الطيار

الثاني الى اليسار الملك غازي يستقبل الطيار البريطاني و زوجته

الملك غازي قبل الصيد. ظهر في الصورة من اليمين الى اليسار كل من الشيخ حميد الياور و الطيار عبدالجبار محمود زوج الأميرة راجحة شقيقة الملك و اسماعيل فتاح طيار الملك الخاص و المرافقين المقدم طاهر الزبيدي و العقيد رشيد علي و الملازم الاول فؤاد عارف و الملك غازي و اخيراً نديم الملك السيد طه السقاف

الملك غازي بعد الصيد وهو يرتدي ملابس الصيد

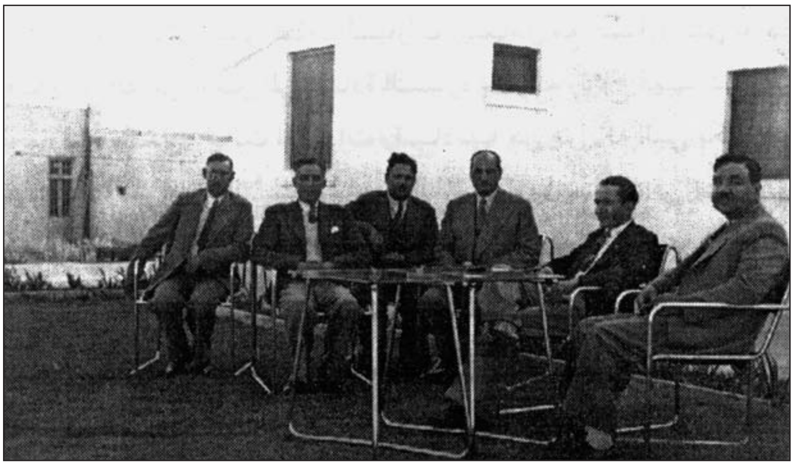

الملك غازي والى يساره خاله الامير حسين بن ناصر، والى يمينه العقيد رشيد على و الملازم الاول عارف و اكرم مشتاق آمر القوة الجوية و الرائد عبدالقادر ياسين.
التقطت الصورة في ١٧ نيسان ١٩٣٨

الملك غازي يقدم كأس سباق الخيل الى الأمير عبدالله. يظهر في الصورة جميل المدفعي و فؤاد عارف

كان الملك غازي يهوى قيادة السيارات ويتعامل مع السيارة مثل تعامل الخيّال مع الفرس، ويميل الى قيادة السيارة بسرعة وبروح فيها شيء من المجازفة، وكذلك كانت الطائرات وقيادتها من هواياته التي يكثر من ممارستها. وقد كان ميالاً لمتابعة أخبار الطائرات وما يستجد في صناعاتها واللقاء بالمتخصصين في هندسة الطائرات والحديث معهم عن انواعها ومواصفاتها. وما زلت اذكر متابعته المستمرة لأخبار طائرة صنعت بحيث تعمل بوقود خليط من البانزين والنفط، وتطير، ثم تعود لتهبط في موضع اقلاعها. كان شغوفاً بتتبع مثل هذه الاخبار. كما اتذكر مدى اهتمامه باستقبال الطائرة (بلوبيرد) التي جيء بها بناءا على رغبة الملك غازي، وهي طائرة ركاب تحمل ستة ركاب، مريحة. وقد جلب الطيار الإنجليزي زوجته معه الى بغداد والتقطا صوراً كثيرة تذكارية مع الملك غازي وكانت فرحته كبيرة بهذه الطائرة وبأحاديث الطيار الانجليزي الذي مكث في بغداد أياماً عدة. وكان يميل الى فتح وتركيب الاجهزة وتصليح السيارة وصيانتها بنفسه قدر الامكان، وكذلك اجهزة التصوير والسينما والاذاعة الخاصة به، ومن هنا جاء ميلهُ الى مجالسة (عبوش) مثلاً المصور الخاص به، لأن معظم الأحاديث بينهما كانت تدور عن الأجهزة، أي كانت هناك لغة مشتركة بينهما من حيث الاهتمامات.

ومن هواياته الصيد، وكثيراً ما كنا نذهب الى مسافات بعيدة معه في رحلات لصيد الغزلان ومن دون حماية، ويصاحبنا في ذلك بعض الاشخاص من المنطقة، أي ممن يعرفون المنطقة جيداً، وكان شغوفاً بالصيد فلا يكل عن مطاردة الغزلان، وما ان نصيد عدداً منها حتى نعود الى الخيمة الخاصة بإستراحته، وعند العودة يوزع ما إصطاده من الغزلان على الوزراء وكبار رجال الدولة. وكذلك كان ميالاً الى الرياضة وخصوصاً لعبة التنس. وكان يكثر من الذهاب الى تل الملح حيث يزاول بعض هواياته هناك.

وفي الحقيقة اننا كنا نذهب الى مناطق مختلفة، ولكن أذكر اننا أرسلنا مرة فى طلب الشيخ حميد عم الشيخ عجيل الياور، ورافق الملك كشخص عارف بأمور الصيد وبالمنطقة. واتذكر أننا قمنا بنصب الخيام فى منطقة جسر الحرية، وكان للملك سيارة مرسيدس خاصة بالصيد، وكان يقودها بنفسه، وكان مجموعنا ستة اشخاص في السيارة والملك يلاحق الغزلان التي كانت تلوذ بالفرار من ملاحقة السيارة لها، والملك يقود السيارة بيد ويسدد البندقية بيد أخرى... لقد كانت قيادته فيها الكثير من المجازفة. واذكر أننا سقطنا مرة في حفرة، وبسبب السقوط ثارت البنادق التي كانت معنا وجرحت

يدي، وقام الملك يضمد يدي بنفسه، ثم امر بإعادتي الى بغداد للمعالجة. وعلى كل فان ذكريات الصيد مع الملك غازي كثيرة.

كلبا هتلر

كانت في حديقة قصر الزهور بعض الحيوانات التي كان الملك يهتم بها، وهو عموماً يحب الحيوان.

وعلى ذكر الحيوان والاهتمام بها أتذكر ان هتلر كان قد أرسل كلبين ألمانيين ضخمين هدية الى الملك غازي ومات احدهما بصعقة كهربائية بعد ان لامس جهازاً كهربائياً. وبقي الآخر الذي كان بدوره ضخماً كالنمر ولفيصل الثاني صورة يمتطي هذا الكلب.

تأثر الملك غازي لموت احد الكلبين فأرسلت رسالة الى عباس محمود آغا رئيس عشائر البشدر آنذاك اطلب منه ان يرسل لنا كلباً ضخماً، ووصل الكلب الذي نقله سيارة لوري من السليمانية، وجيء به الى القصر. وكان الملك نائماً ودفعت اجرة اللوري، وعلى طريقتنا الكردية قدمنا للكلب الوجبة الاولى من الطعام، وهي عادة ان يقدم للكلب الجديد الذي يدخل أول مرة الدار وجبة من البيض المقلي بالسمن. ثم اتصلت بالملك واخبرته بوصول الكلب من السليمانية. وفي تلك اللحظة سمعنا عواءاً وصياحاً غير طبيعين للكلب الذي بدأ يهجم. وعندها فقط عرفنا ان الكلب لاحظ نفسه في المرآة، فقد كانت هناك مرآة كبيرة جداً، ولما رأى الكلب نفسه في المرآة ظن ان هنالك كلباً آخر. ثم جاء الملك ورأى الكلب الجديد واعجب به. ثم طلب إحضار الكلب الألماني، وقال : «لنشهد جولة مصارعة بينهما»، وكان الكلب الجديد يجيد القتال. فما ان رأى الكلب الالماني حتى نظر اليّ وكأنه يستميحني ان يهجم، وفي لحظة ما هجم على الكلب الالماني الضخم وصرعه، وكان في منتهى الشراسة والتوحش، حتى اننا لم نكن ندري ما يمكن ان نفعل لإنقاذ الكلب الهتلري من هذا الكلب الذى قدم من كردستان.

وصاح غازى: «يافؤاد! ماذا عسانا ان نفعل؟ ان الكلب الالماني سيموت...» قلت: «سيدي، لااستطيع ان افعل شيئاً. فمن يستطيع ان يقترب؟» وما كان من الخدم إلاّ ان يربطوا خرطوم الماء (الصوندة) الذي كان في الحديقة بحنفية الماء الساخن ورش الكلب بالماء الساخن فإنسحب الكلب المتوحش وهكذا أنقذنا الكلب الالماني من موت محقق، وهو يعاني جروحاً وآلاماً بدت من عوائه المستغيث.

ازداد اعجاب الملك غازي بهذا الكلب فأخذه معه، وكان يبدو وكأنه اسد يمشي في القصر والحديقة، واخذ يدربه على الحراسة، حتى تحول هذا الكلب الى كلب حراسة من الطراز الأول. كان الملك ينام في السطح، وقال لي ان الكلب ينام تحت سريره مباشرة. وكان من الضخامة والقوة انه عندما كان ينهض من تحت السرير كان السرير الذى ينام عليه الملك والملكة يتحرك فوق ظهر الكلب، وكان الكلب الذي احبه الملك والملكة ينزل مرات عدة في الليل من السطح ليفتش الدار، ويصعد مرة اخرى ليدور حول السرير ثم يضطجع ثانية تحت السرير.

الملك غازي يداعب كلبه في قصر تل الملح. التقطت الصورة في ١٧ نيسان ١٩٣٨

الملك غازي يوزع الجوائز على الفائزين بالمدرسة العسكرية الملكية. الى يساره فؤاد عارف و رئيس الوزراء جميل المدفعي. التقطت الصورة في ٢٣ كانون الاول ١٩٣٧

عندما توفى الملك ابى الكلب ان يأكل شيئاً حتى هلك... وقيل ان حصانه قد بكاه ايضاً.

لقد أخذ الكلب الى بيت أحد الاشخاص خارج قصر الزهور، لأنه كان منفعلاً ومهتاجاً وكأنه كان يدرك الحدث... وحاولوا كثيراً اطعامه فأبى ان يأكل طعاماً او يشرب ماءاً حتى الموت. هكذا كان هذا الكلب الكردستاني.

وعلى ذكر تل الملح، فأنه يقع في منطقة أبي غريب. وكان هناك مطار صغير، حيث يمارس غازي هوايته في التحليق والهبوط، وكذلك في قيادة سيارة السباق السريعة وركوب الخيل، كنا نشرب معاً الشاي، وأحياناً كنا نشرب البيرة. وما ان يحل المساء حتى نكون في طريق العودة. والحقيقة انه كانت هناك دار بسيطة. وكثيراً ما كان الملك غازي يلتقي بعض اصدقائه المقربين هناك. لقد كان مكاناً للترويح والتنزه. ان كل نزهات الملك غازي لم تكن تتجاوز قصر الملح او قيادة السيارة مساءاً في منطقة الباب الشرقي.

ومن المواقف التي اتذكرها اننا كنا في طريقنا ذات مرة الى تل الملح فحصل عطب في إطار السيارة، وكان غازي يقودها وأنا بجانبه، فنزل الملك بنفسه واخرج الرافعة (الجك) وهي لم تكن سهلة كما هي اليوم، فتطلبت منه ان ينبطح الى جانب السيارة محاولاً

ادخال الرافعة ووضعها في المكان المناسب لرفع السيارة ثم بدأ يعمل على ملء الاطار المعطوب هواءاً ووضع الاطار الاحتياط. ولقد حاولت كثيراً ان اثنيه عن اصلاح الاطار بنفسه في الشارع، لكنه رفض وقال: «يافؤاد! اذا لم يكن بمقدوري حل هذه المشكلة الشخصية بنفسي فما هي قيمتي إذن؟ والانسان يجب ان لايشغل الآخرين بمشكلاته الخاصة، ولاسيما اذا كان قادراً على حلها بنفسه». والحقيقة اني اذكر ان بعض السيارات كانت تقف ويبدي اصحابها الاستعداد للقيام باصلاح السيارة، لأنهم كانوا يعرفون الملك وسيارته، لكنه كان يرفض ويصرفهم شاكراً، وعندما أتم عملية إبدال الاطار نهض، وملابسه مغبرة متربة ويداه متسختان، لكنه كان في تمام الانشراح والسعادة، فواصلنا السير الى حيث كنا نريد.

غازي والاعرابي

وحادث آخر اذكره، ونحن نجول بالسيارة... كنا في طريقنا الى تل الملح الوقت عصراً، وكانت السيارات قليلة في شوارع بغداد في الثلاثينات، والسيارات الخاصة غير مميزة من سيارات الاجرة. اوقفنا اعرابي مع بعض العفش، اذ رفع يده طالباً الوقوف، فوقف الملك، وبادر الاعرابي الذي ظن ان الملك سائق سيارة اجرة، قائلاً بلهجة بدوية:

– ياصبي، هل تأخذني الى خان ضاري بروبية واحدة؟

اجابه الملك:

– لا، روبيتين.

اصر الاعرابي على ان تكون الاجرة روبية واحدة فقط، فوافق الملك، ولما تصور الاعرابي أن الملك (سائق) وافق وقال له:

– انزل وضع هذا العفش في مؤخرة السيارة، اي الصندوق الخلفي.

نزل الملك ونزلت معه، ووضعنا تلك الاشياء في الصندوق، وجلس الاعرابي على المقعد الخلفي، وسارت بنا السيارة، وكانت مكشوفة. وبعد فترة، ونحن في الطريق، قال الملك للاعرابي:

– سوف اوصلك ولكن بروبيتين، وليس روبية واحدة.

ماكان من الاعرابي الاّ ان نهض من مقعده، وطوق عنق الملك بيديه يريد ان يخنقه، ويصيح: «لقد وافقت بروبية واحدة، والآن تتنصل».

فوافق الملك ضاحكاً من اعماقه على الروبية، حتى وصلنا خان ضاري، وكان ثمة عدد من رجال الشرطة في المخفر، يعرفون سيارة الملك طبعاً، فلم يشأ الملك ان ينزل الاعرابي قريباً من المخفر تفادياً للحرج، فأنزله بعيداً عنهم بعض الشيء ونزل معه وفتح الصندوق الخلفي وانزل العفش وارتمى بنفسه في السيارة يقودها وهو لايلوي على شيء، ضاحكاً منشرحاً، وقد تملك الاعرابي العجب من هذا السائق الذي لم يطالبه حتى بالروبية الواحدة.

وعندما التفتنا الى الوراء وجدنا الشرطة وقد أحاطوا بالاعرابي، وهم يستفهمون منه، كيف ركب سيارة الملك؟ لاندري ماذا دار بينهم من حديث...

وضع غازي المالي

وفيما يتعلق بوضع غازي المالي، خصص له على ما أتذكر نحو ٨٠٠ دينار، يدفع منها مخصصات لجميع الموظفين في البلاط والقصر بمن فيهم رئيس الديوان. حقاً لم يكن الملك غازي في وضعية مالية مترفة كملك. وفي بعض الحالات كان يشعر بضائقة مالية إزاء ما هو مخصص له من الميزانية. على سبيل المثال ان سيارة جاءت الى العراق نوع (بكرد Pickard) موديل ٣٧ على ما أذكر وكانت معروضة للبيع وسعرها (٤١٠) اربعمائة وعشرة دنانير فقط، وقد ملكت هذه السيارة جوارحه وأراد ان يشتريها، لكنه لم يكن يملك النقود الكافية لشرائها. أذكر ان ناظر الخزينة السيد حقي بك كان يقول له:

«والله أحب ان تشتريها ياسيدنا، ولكن ماعندنا فلوس». هذا ما جعل الملك يفكر بتحسين أموره المالية عن طريق الزراعة كما عرفت، فقد امتلك مزرعة في خانقين[١] خاصة به طمعاً في ان تغطي وارادتها بعض مصاريفه.

اذكر أنه عند شرائه لسيارة مثلاً بحدود ١٣٠– ١٤٠ ديناراً كانت ميزانيته المالية تتأثر تماماً. واحياناً كان يحتاج الى (٥٠) ديناراً، ويحتار كيف يحصل على هذا المبلغ، لذا كانت صلاحيته محدودة جداً ولم يكن مترفاً لا في مال ولا في طعام ولا في ملبس ولا...و...

(١) إقتنى المزرعة في الاصل والده الملك فيصل الاول، وقد خصصها لزراعة القطن، وكان يتفقدها شخصياً بين الحين والآخر، كما كان يمتلك مزرعتين أخريين قرب بغداد.

حرصي على حياة الملك

بعد إنقلاب بكر صدقي نقلت من اربيل، حيث كنت ضابطاً في حاميتها الى مستودع تدريب الموصل. وبعد ذلك نقلت الى الحرس الملكي. اما كيف تم اختياري الى الحرس الملكي فلا أدري ومازلت لاأدري.

ان فوج الحرس الملكي كان يتكون من سريتين، سرية الخيالة وتسمى سرية المراسيم وهي في البلاط، وسرية الحراسة وهي في قصر الزهور. وكنا في سرية الحراسة وآمر سريتنا النقيب عبيد عبدالله المضايفي، وكانت هذه السرية تتكون من ثلاثة فصائل، فصيل بأمرة (رحمة الله) عبدالله الطالباني، وفصيل بأمرة محسن مكي شبوط. وانا آمر الفصيل الثالث. وكان مقر الفوج في البلاط. لقد قضيت فترة آمرية فصيل الحرس الملكي ومن ثم تم تعييني مرافقاً للملك. وطبيعي ان مهمة الحرس الملكي حراسة الملك، حياته وحياة اسرته.

والحراسة كانت تقوم على نظام معين، فقد قسم قصر الزهور الى ثماني نقاط حراسة ودوريتين.

وكان رجال الحرس يضعون الأحذية المطاطية في اقدامهم بدلاً من الأحذية العسكرية حفاظاً على الهدوء، خصوصاً في الليل، خشية إزعاج الملك. وكانت مهمة الضابط الخافر القيام بدورة اعتيادية تفتيشية في منتصف الليل. والحقيقة اني كنت شخصياً لا أنام حتى اتثبت من ان الملك انصرف للنوم: اذ كان على الأغلب يسهر في قصر الحارثية.

ومن الأمور التي صادفتنا اثناء الخفارات الليلية وربما هي اكثرها اقتراباً من ذهني، حادثة (وصل)، وهو اخو الملك بالرضاعة، وكان يسكن في قصر الحارثية، وهو متزوج من إمرأة من خانقين. وكان مقرباً جداً من الملك.

كنت في جولة تفتيشية والملك في قصر الزهور يشاهد فيلماً سينمائياً وقد انتصف الليل. و اثناء التفتيش في مسالك القصر اصطدم بي فجأة شخص يركب دراجة في الظلام، وسقطنا على الارض معاً، انا وهو، وسمعته يقول (العفو). وفي الحقيقة عرفته من صوته، انه (وصل)، ولكني نهضت وحملت الدراجة الى الأعلى، وهويت بها على رأسه، ثم اشبعته ضرباً ووجدت الدم ينزف من رأسه. وبدأ (وصل) يستغيث بأعلى صوته، كي يسمع الملك، ويقول: «سيدي، إلحقني، انهم يقتلونني». وسمعت الملك يصيح بصوت عال: «ماذا جرى هناك؟» وركض (وصل) صوب الملك وذهبت بدوري الى مقري فجاؤوا بالطبيب

لمعالجة (وصل) واعتقد ان مدير مستشفى الصالحية كان الدكتور يحيى رفعت، وكان رشيد علي المرافق الاقدم مرافق الخفر في القصر فأرسل يطلبني. وما ان دخلت عليه حتى نَهرَني بإنفعال قائلاً: «كيف تضرب وصل، اخا الملك؟ ان نتيجة سيئة تنتظرك». فقلت «اعمل بما يمليه القانون». فقال: «طيب أخرج!»، وسمعته يتصل هاتفياً بدائرة الانضباط العسكري يعلمهم ان لديه ضابطاً موقوفاً ويطلب منهم انضباطاً و(كلبچة)، ثم سمعته يتحدث مع الملك تلفونياً ويقول له: «سيدي عرفنا الضابط، انه فؤاد». ويبدو ان الملك طلبني، لأني سمعت رشيد علي يقول: «هل آتي معه؟» ثم أرسل معي عريف إنضباط وقال: «اذهب؟ الملك يريدك».

دخلت القصر، وصعدت الى الطبقة الثانية منه، حيث كان الملك جالساً في شرفته، يتناول العشاء ونهض هاشاً باشاً ومحيياً، وقبلني ثم قال:

«اجلس يافؤاد». قلت: «عفواً سيدي». لكنه كان مصراً. وتحدثنا عن ذكريات الدراسة العسكرية. ثم سألني عما حدث بالتفصيل، فنادى الملك غازي وصلاً الذي دخل ولفافات الضماد تغطي رأسه، فقال: «ياوصل! اعتذر من الملازم، لأنك انت المعتدي، وفؤاد كان يؤدي الواجب، وانت اصطدمت به بالدراجة، فماذا تريد ان يفعل؟ هيا قبل يديه». فقلت: «لاسيدي، انا سأعتذر من وصل على ما فعلت به». فرفض الملك، وجاء (وصل) يعتذر مني. وبعد ذلك اخبرت الملك ان الانضباط في طريقه من دائرة الانضابط الى القصر، لأخذي مخفوراً ولمعاقبتي.

فاتصل الملك تلفونياً بالعقيد رشيد علي، وقال:

«اما تدري، ان فؤاد اخي؟ وهو يضرب من يشاء في القصر. دعك من القيد (الكلبچة) والانضباط... لقد سوي الموضوع واعتذر (وصل) منه» فوضع السماعة ونهضت محيياً، وغادرت، ثم وجدت العقيد رشيد علي وقد تغيرت ملامحه. فبعد ان كان مقطب الجبين ويريد ان يرسل بي الى التوقيف اذ به يقول وهو يبتسم قائلاً: «لم اكن اعلم ان الملك يحبك الى هذه الدرجة».

بعد حادثة وصل رغبت في ترك العمل في القصر الملكي، وفضّلت العودة الى وحدات الجيش الاعتيادية، فراجعت الفريق بكر صدقي، وكان آنذاك رئيس أركان الجيش، واخبرته ان في نيتي الزواج، وافضل النقل الى مدينتي السليمانية، فوافق وخابر مدير الادارة هاتفياً، وقال له: «انقلوا فؤاد عارف من الحرس الملكي الى السليمانية».

لم اكن امتلك أية خبرة في التعامل الإداري، واعتقدت ان هذه المكالمة تعني النقل، ولم اكن ادري ان عليَّ ان انتظر صدور الأمر والتوقيع عليه، ثم الانفكاك والمباشرة. ولم اكن اعرف كذلك ان ثمة اجراءات يجب ان تحصل بين وزارة الدفاع ومقر فوج الحرس الملكي... على أية حال لم أعد الى القصر، بل قصدت محطة القطار وسافرت الى كركوك، ومن هناك الى السليمانية، وفي السليمانية راجعت آمر الحامية وقلت له: «اني منقول عندكم»، فقال لي: «انا لم اسمع انك منقول الى السليمانية». ومكثت في السليمانية ثلاثة ايام انتظر وصول أمر النقل. وفي اليوم الثالث وصلت برقية الى الحامية تقول:

«سفروا الملازم فؤاد عارف الى بغداد». وجاءت سيارة الى دارنا واُركبتها حالاً، ولا ادري ما الموضوع؟ وقد جزعت والدتي رحمة الله عليها؛ اذ اعتقدت بأني موقوف، وكما جزعت انا ايضاً. وفي الواقع لم اكن اعرف الغاية من هذه البرقية، وفي بغداد اخذت الى القصر، وهناك التقيت آمر الحرس الملكي، وكان المقدم شكري جميل، وكنت اعتقد اني موقوف، لكني فوجئت بموقف آمر الحرس المجامل الذي نهض يرحب بي بحرارة بالغة، واخبرني بأنه قد تم تعييني مرافقاً لصاحب الجلالة الملك غازي.

مع الملكة عالية

ولأول مرة رافقت الملك غازي، ركبت الى جانبه، وهو يقود سيارته. وقد ركبت الملكة عالية رحمها الله وابنها الملك فيصل ومربية فيصل في المعقد الخلفي، واتجهت بنا السيارة الى تل الملح، واعتقد ان الوقت كان حوالي الخامسة مساءاً، فنزل الملك والملكة وجلسا في الحديقة ومكثت انا في السيارة، ثم جاء الخادم واسمه محمد، وقال: «تفضل، ان سيدي يريدك».

فذهبت، ووجدت الملك والملكة يجلسان الى مائدة عليها شيء من الفاكهة، فطلب مني ان اجلس، فجلست، وقال: «ياأخي فؤاد! هل تدري انك أول شخص يجلس مع الملكة عالية من خارج العائلة؟».

في الحقيقة لم اكن قد رأيت الملكة قبل ذلك، رغم اني كنت اعمل في القصر. فقلت: «هذا شرف عظيم يا جلالة الملك». ثم قال: «هل تدري اني أنا لم اخترك مرافقاً لي، بل الملكة هي التي اختارتك، وانا شاكر لإختيارها لك، فنعم الإختيار!» والتفتت إليّ الملكة عالية رحمها الله، وقالت: «ياخي فؤاد! انتم لاترونني ولكني اشاهدكم واحداً واحداً، وانا داخل

القصر، واراقبكم وقد راقبتك كثيراً، عندما كنت تؤدي واجبك في الحراسة والتفتيش وبيدك العصا بكل جدية وإخلاص. وكان الملك قد حدّثني عنك كثيراً، وعن ايام دراستكما في الكلية العسكرية، ثم استغربت حين لم أجدك أياماً عدة في القصر فسألت الملك: اين صديقك الكردي؟ لعله مريض؟ لأننا لانسمع في هذه الايام صوته وهو يرعد ويزبد مفتشاً ولانسمع صوت العصا بيده. هلا ارسلنا له باقة ورد اذا كان مريضاً».

فأجاب الملك: «انك نقلت الى السليمانية، فطلبت منه ان يعيدك، وهكذا... فقد أعادوك مرافقاً لجلالته». فشكرت الملك والملكة على ثقتهما العالية بي، لقد اتصلت بوالدتي هاتفياً واخبرتها ان لاتقلق، واني لست بموقوف، بل أصبحت مرافقاً للملك.

هل يصح ان يكون مرافق الملك كردياً؟

اتذكر ان بعض الضباط بدأوا يتحدثون عن إختيار الملك لي مرافقاً وكان حديثهم فيه شيء من الحسد على مايبدو وما جُبِلَت عليه نفوسهم المريضة من هواجس التفرقة.

فمن الأمور التي تحدثوا بها حول تعييني مرافقاً، هو استغرابهم ان يكون مرافق الملك كردياً... وما ان سمعت بمثل هذه الهمسات حتى اسرعت الى الملك غازي، وطلبت منه إعفائي من مهمة مرافق... لقد تمت اجراءات سريعة حول هذا الموضوع، فتمَّ تأنيب هؤلاء الضباط في حينه، كما اتصل الملك بجميل المدفعي الذي كان وزيراً للدفاع، وقال: «ان أحد اسباب اختياري لك كوزير دفاع هو الحفاظ على الوحدة الوطنية في العراق، ولا اريد ان اسمع اي خلاف بين عربي و كردي في هذا الوطن». وأرسل جميل المدفعي يطلب هؤلاء الضباط وجرى التحقيق معهم حول الموضوع، وكان بعضهم من غير العراقيين، وقد هددهم جميل المدفعي بتسفيرهم حالاً خارج العراق اذا ما دسوا انوفهم في هذه الامور. كما جرى توبيخ الضباط الآخرين.

وعند صدور امر تعييني مرافقاً للملك اعلمت ان الفريق بكر صدقي، رئيس اركان الجيش، يريد ان اذهب اليه، فذهبت حالاً، وهنأني على هذه الوظيفة التي لاتمنح إلاّ من تثق به الدولة والملك، وكان شرفاً كبيراً بالطبع ان يصبح ظابط مرافقاً للملك ولاسيما ملك مثل الملك غازي الذي أحبه الشعب العراقي حباً كبيراً ووثق به ثقة عالية وتجلى هذا الحب يوم بكى العراق شهيده الملك غازي، وربما اتينا الى هذا الموضوع فيما بعد. قلت هنأني بكر صدقي وكان برفقته محمد علي جواد آمر القوة الجوية. وقال بكر: «ابني فؤاد ان ترشيحك مرافقاً للملك غازي جاء من لدن جلالته شخصياً، فهو الذي اختارك لهذه

الواقفون من اليمين (١- الرئيس الاول عبدالقادر ياسين التكريتي ٢- ملاحظ رئيس الديوان الملكي و مترجمة فكتور بحوشي ٣- العقيد رشيد علي المرافق الاقدم)
الجالسون من اليمين (١- الملازم الاول فؤاد عارف المرافق ٢- العقيد أكرم مشتاق آمر القوة الجوية ٣- جلالة الملك غازي)

من اليمين عبدالقادر ياسين، فؤاد عارف، الملك غازى، خلفهم المرافق الاقدم رشيد علي، اكرم مشتاق، والاميرال احمد رشدي عام ١٩٣٨ عند افتتاح مطار البصرة علي يخت الملك فيصل الاول

زيارة الملك غازي الى المتحف العراقي. من اليمين الشيخ محمد رضا الشبيبى وزير المعارف و عبدالله الدملوجي رئيس التشريفات و الملك غازى و فؤاد عارف و ساطع الحصري مدير الآثار العام. يظهر في التمثال النصفي للمس بيل مؤسسة المتحف

الملك غازي ينتظر مرور طلبة المدرسة العسكرية الملكية امامه. التقطت الصورة في ٣٣ كانون الأول ١٩٣٧

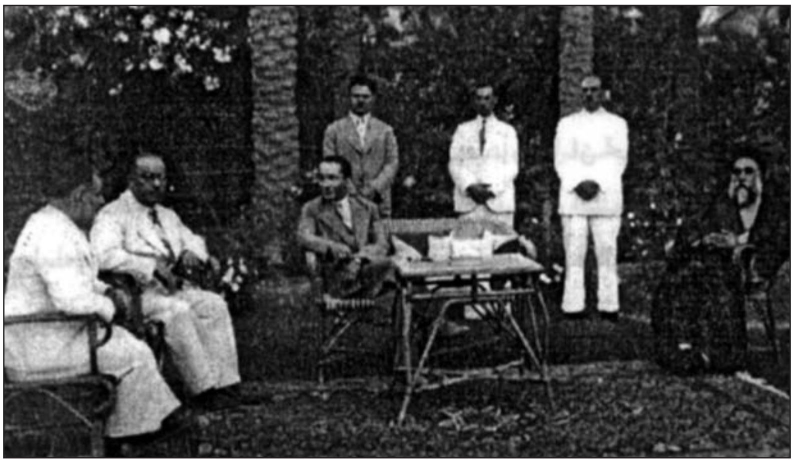

حفل العشاء الذي اقامة الملك غازي لأعضاء البرلمان. الجالسون من اليمين: السيد محمد الصدر رئيس مجلس الاعيان والملك غازي و جميل المدفعي رئيس الوزراء ومولود مخلص رئيس مجلس النواب. الوافقون من اليمين: العقيد رشيد علي والرئيس الاول عبدالقادر ياسين التكريتي و الملازم الاول فؤاد عارف

المهمة. لكني أود ان أبدي لك ثلاث نصائح أراها ضرورية نظراً لموقعك الحساس، الاولى: نصيحة لك، والثانية والثالثة تعليمات مهمة». قلت: «تفضل ياسيدي!» قال: «اولاً انك ستعمل في مجال يمكن ان يدر عليك بالمال والشرف، ولكنك لاتستطيع ان تحصل عليهما معاً، فإما ان تحصل على المال وتثري فتفقد الشرف، أو ان تحصل على الشرف (السمعة). اما المال فلا تفكر فيه، وانت حر في اي الشيئين تختار الحصول عليه من هذه المهنة، ولكن فقط اود ان اذكرك بأن المال اذا ذهب، يمكن ان يأتي فيما بعد، لكن الشرف اذا ذهب فلن يعود...

ثانيا: ان غازي الآن هو ليس ذلك الشخص الذي كنت تمزح معه عندما كنتما زميلين في الدراسة. انه الآن ملك العراق، وانت احد رعاياه. وعليك ان تتذكر هذا دوماً.

ثالثاً: عليك ان تتذكر أن ما يتفوه به غازي اليوم يعتبر ارادة ملكية واجبة التنفيذ، ولكن

قد تشعر احياناً بأن الملك في حالات انفعالية ويطلب منك شيئاً انت تعلم ان تنفيذ هذا الشيء قد يعود بالضرر على جلالته من بعد؛ لأن الأمر قد يجيء من حالة انفعالية او غير طبيعية، او قد يكون الملك قد أمرك امراً منفعلاً في ساعة متأخرة من الليل، لذا حاول قدر امكانك ان ترضي الملك من ناحية وان تحاول ان لايقع في مأزق نتيجة ذلك، او ان يندم على أمر ما، كان يمكن تأجيل تنفيذه الى حين او الى اليوم التالي، وقد تجده عدل عن رأيه...».

الدكتور سندرسن

كان الدكتور سندرسن هو طبيب الملك فيصل الاول، ومن بعده طبيب الملك غازي والعائلة الملكية، وكانت علاقته بالملك والاسرة قوية[١] فكثيراً ماكان يزور القصر، ومعه زوجته التي كانت تزور الملكة، وقد أدى الدكتور سندرسن دوراً كبيراً في المجال الصحي في العراق، وفي تأسيس كلية الطب العراقية. وبرغم انه كان طبيباً، ولكن كان دوره السياسي وتأثيراته المباشرة في كثير من الأمور بحكم علاقاته الوطيدة بالقصر كبيراً.

كان الدكتور سندرسن يتردد كثيراً على القصر كما ذكرت، ولم أكن أشك في إخلاصه للعائلة الملكية، لكني لم أكن مستعداً، مع ذلك، ان أتساهل حتى مع شخص مثله في موضوع حماية الملك غازي، فقد كنت احس ان واجبي في القصر هو واجب مقدس يفرض عليَّ ان اكون هكذا[٢].

---

(١) هاري سندرسن المعروف عادة بسندرسن باشا، كان طبيب العائلة الملكية على مدى حوالي ثلاثة عقود، فقد رافق الملك فيصل الأول وبقي في خدمة أسرته ببغداد حتى العام ١٩٤٦، لم يكن مرتاحاً من تصرفات الملك غازي، ولم يستطع ان يؤدي دوراً مؤثراً في حياته على الرغم من أنه وعد والده الملك فيصل الاول بأنه «في حالة موته قبل اوانه سوف يهتم اهتماماً ابوياً بوريثه، لكن غازي لم يكن يرحب بالنقد، وبعد بعض اجتماعاتي معه عدت الى داري وانا مقتنع بأن خدمتي في العراق هي على وشك الانتهاء» (مذكرات سندرسن باشا، ص٢٢٣).

(٢) «كنت كمستشار وطبيب اتعرض (في عهد الملك غازي) لوقت عصيب، كذلك كان غازي الذي كان يخشى ان يتوقف قلبه عن النبض فجأة، ولاسيما خلال ساعات الظلام. لقد كنت في بعض الاحيان أُستدعى من فراشي ثلاث مرات على الأقل مابين غروب الشمس وشروقها. لقد كان هذا الخوف الذي جعله يضيق ذرعاً بتعزيزي له، وقد اثارت هذه الزيارات المتكررة الريبة لدى الحراس في مدخل القصر. وعندما دعيت في احدى المناسبات مرة ثانية خلال ساعة واحدة من الزمن أخبرني الحراس ان =

قصور الملك

اما قصر الزهور فكان مبني على الطراز الفرنسي. انه كان قصراً متواضعاً مكوناً من طابقين، الطبقة الأولى فيها مكتبة وغرفة مرافقين، والطبقة الثانية مكرسة للمعيشة والنوم العائلي.

اما قصر الحارثية فهو عبارة عن بيت صغير، فيه مايسمى بالصالون او (الهول) وثلاث غرف نوم، وتحيطه حديقة واسعة (٢٠٠٠) متر مربع، وأمامه حديقة صغيرة للحيوانات، ويفصل بين القصرين الزهور والحارثية، نهر الخر.

اما قصر الملك في تل الملح فلم يكن قصراً، بل هو مبنى اعتيادي يتكون من غرفتين وصالون وحمام، وهو بناء قديم، وفيه مطار. وتل الملح هذا منطقة تقع قرب ابي غريب، وقبل منطقة خان ضاري.

كان الملك غازي يتكلم اللهجة العراقية في القصر، ويلاحظ فيها بعض المفردات الحجازية. اما اللغات الإجنبية فكان يجيد منها الإنجليزية والتركية، وكثيراً ماكان يتحدث مع الملكة عالية باللغة التركية.

مؤامرة

في بداية عملي مرافقاً للملك، أي في زمن وزارة حكمت سليمان وقبل اغتيال بكر صدقي، لم نكن نشعر أبداً بوجود خطر على حياة الملك غازي، ولم تكن لدينا أية محاذير إزاء أي شخص يرغب في زيارته، ولا أتذكر أننا قمنا بتفتيش أية منطقة قبيل زيارته لها، اي لم تكن لدينا احتياطات أمنية أو احترازية سابقة، واقصى أشكال الاحتراز والحيطة ظهرت مع بعض المارة الذين كانوا يعبرون فوق جسر الخر، لأن هذا الجسر كان يفصل بين قصر الحارثية وبين قصر الزهور، فوضعت كميناً (ضابط صف واربعة جنود) تحت الجسر لتفتيش المارة الذين يعبرون فوق هذا الجسر في ساعة متأخرة من الليل، عندما يكون الملك في قصر الحارثية، ولما يعد بعدُ الى قصر الزهور.

= انتظر الى ان استطاع الضابط الذي يقوم بالخفارة ان يتحقق من أسباب عودتي السريعة التي تثير الشكوك. ولقد حجزت في الانتظار لبضع دقائق واخبرت سائق سيارتي ان يعود بي، وحين اختفينا على مسافة ما اطلقت طلقة نارية على السيارة، لكنها مرت وهي تصفر من فوق رؤسنا» (مذكرات سندرسن باشا، ص٢٢٣).

أما بعد عودته الى قصر الزهور فكان الكمين يترك موقعه، وفي فترة ما بدأنا نجد بعض الاشخاص ممن يحومون قرب القصر، وكانت المنطقة مشجرة. وعندما كنا نمسك بهم، كانوا يدّعون بأنهم هواة جمع الحشرات... وكنا نسلمهم الى التحقيقات الجنائية. وأعتقد أن التحقيقات كانت تطلق سراحهم حالاً. وتذهب بي الظنون الى ان هؤلاء كانوا ينتمون إلى جهة ما، ربما من احدى الكتل السياسية المتواطئة مع الانجليز، وربما من السفارة البريطانية مباشرة، لاستطلاع موقع القصر. والله اعلم... من يدري؟!

وكنا نسمع بعض الشائعات الضعيفة، وطبيعي أن واجبنا كان مرافقة الملك. أما دراسة هذه الشائعات ومدى صحتها فتعود الى الملك نفسه والى جهات أخرى معينة. ولكن أتذكر موضوع فتح مطار البصرة، إذ كانت هناك شائعة عن وجود مؤامرة تستهدف حياة الملك غازي الذي سيذهب الى افتتاح المطار. وكان للملك غازي استخباراته الخاصة به، وقد سمع بهذه الشائعة حول احتمال وجود مؤامرة تستهدف حياته أثناء الإحتفال بإفتتاح المطار.

لذا كلفني بالذهاب الى البصرة قبل موعد الاحتفال بيومين. فسافرت بطائرة خاصة، وكان معي الطيار المهندس جواد حسين، وكان برتبة رئيس (رائد).

أوصاني الملك بالتثبت من موضوع المؤامرة ومراجعة آمر الحامية المقدم الركن علي غالب اسماعيل، وأمرني بإبلاغه انه المسؤول الأول والأخير عن حياة الملك وموضوع المؤامرة من لحظة نزول الملك من الطائرة في البصرة حتى لحظة مغادرته لها. حقاً كان معظم الضباط وضباط الصف الذين هم في البصرة آنذاك من جماعة بكر صدقي، حيث نقلوا اليها مبعدين بعد مقتل بكر صدقي وتغيّر الأوضاع، وكان عدد غير قليل من هؤلاء الضباط وضباط الصف من الاكراد، اذكر منهم عزيز قزاز وأمين رواندزي وبهادر عبدالمجيد.

وحال وصولي اجتمع المقدم الركن علي اسماعيل بأمراء السرايا، وأقام الترتيبات الأمنية اللازمة. والحقيقة ان الخوف كان قد دبّ الى قلب الملك غازي بعد مقتل بكر صدقي، اذ كان يعتقد انه المرشح الثاني للإغتيال بعد بكر صدقي: لأن مسألة تخويل بكر صدقي وإستحواذ الإنجليز على الحقيبة التي كانت مع بكر، وهو في طريقه الى الالتقاء بهتلر، وربما عرجنا على هذا الموضوع في مجال آخر.

لقد اتخذ المقدم الركن غالب علي اسماعيل اجراءاته المحكمة لحماية الملك، فجعل العديد من الجنود يرتدون الألبسة المدنية وهم يحلمون السلاح تحت أرديتهم وجلسوا مع

الضيوف والمدعوين، وكذلك اقتضت تعليماته منع الوقوف ابتداءاً من هبوط الطائرة. أذكر أم جميل المدفعي عندما اراد النهوض لتحية الملك منعه علي غالب اسماعيل وقال: «ارجو عدم النهوض، ان جلالة الملك هو الذي سيأتي ليسلم عليكم بنفسه». وكانت السيطرة محكمة على المطار.

وعندما ذهبنا الى البصرة، نزل الملك والمرافقون وآمر القوة الجوية العقيد اكرم مشتاق في باخرة عراقية (يخت) كانت راسية في شط العرب. اما الوزراء فقد استضيفوا في فندق شط العرب. وبعد إنتهاء حفل إفتتاح المطار اقام الملك غازي حفلة عشاء لضيوفه في الباخرة، ثم قمنا بسفرة بشط العرب والفاو والخليج العربي على متن الباخرة. واستغرقت جولة الملك البحرية أسبوعاً. وأذكر أن الملك غازي كان ينام من دون حراسة، وطاقم السفينة خليط من البريطانيين والهنود. وكنا نجلس مع الملك جلسات مسامرة الى منتصف الليل. حقاً، انه برغم عدم وجود خطة لحراسته، فقد عزَّ علي ان ينام جلالته دون حراسة. لذا كنت أقوم من الليلة الاولى بالحراسة وحدي حتى الصباح. وعند الصباح كنت انام. وفي إحدى الليالي على ما اذكر خرج الملك غازي من مخدعه، بعد ان كان مَنْ على السفينة نائمين، فوجدني ساهراً أحرسه فقال:

– يافؤاد! ماذا تعمل؟:

قلت:

– أحرسك سيدي.

قال:

– وهل كنت تحرسني كل ليلة في الباخرة؟

قلت:

– نعم، سيدي.

قال:

الآن علمت لماذا تبقى نائماً في الصباح، والكل يستفيقون، كنت أتصورك تحب النوم، ولم أكن أعلم أنك الساهر الوحيد على هذه الباخرة!

ونادى على المصور عبوش، وطلب التقاط صورة معي تخليداً لتلك الليلة. بدأت الشكوك تساورني من اشياء تجري أو تحاك بعد مقتل بكر صدقي وسقوط وزارة حكمت سليمان...

نشاطات نوري السعيد، تصرفات التحقيقات الجنائية، وبعض رجالات الدولة من المتزلفين للسفارة البريطانية، وضغوط الحكومة ومراقبتها وتحديدها لتصرفات و تحركات الملك هذه بمجموعها أعطت مناخاً نفسياً غير اعتيادي، يختلف تماماً عما كانت عليه حياة الملك قبل ذلك. أذكر مرة ان طلب الشيخ محمد الصدر، وكان يومئذ رئيساً لمجلس الاعيان، ان يقيم الملك حفلة شاي يدعو فيها الوزراء، وأراد الصدر من خلال الحفلة أن يعيد العلاقات الى سابق عهدها، وان يرأب الصدع. ووافق الملك على فكرة الصدر فأقام مأدبة شاي في قصر الملح، دعا اليها الوزراء ورئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الاعيان، وبعض كبار رجال الدولة.

وقد جلب إنتباهي في ذلك المساء كثرة السيارات المسلحة، أي سيارات (البك آب) الحاملة للرشاشات، وكثرة سيارات الشرطة على الطريق المؤدية الى قصر الملح، وبشكل أثار انتباه الملك ايضاً، فسألني عن معنى وجود هذه السيارات المسلحة في الطريق، فقلت له: «ربما قصدت هذه السيارات منطقة خارج بغداد كالبادية أو الرمادي!» ولاذ الملك بالصمت ولم يعلق اي تعليق.

وعندما وصلنا قصر تل الملح، وكان الملك ينتظر الضيوف، وشاهدنا سيارة تدخل ويترجل منها شخصان، ظن الملك أن هذه السيارة تُقل الشبيبي، ولكن وجدنا أن الشخصين نزلا من السيارة ليقفا الى جانب الحرس الملكي!

عندها أمر الملك أن استفهم حقيقة الأمر، فذهبت وسألتهما من يكونان، وما هويتهما؟ فأجابا بأنهما من التحقيقات الجنائية (أي مديرية الامن العامة اليوم) فعجبت لوجودهما في هذا المكان. فقد كان للملك حرسه الخاص. وما كان مني إلاّ ان بدأت بضربهما، ثم أوقفتهما. عندما وصل الوزراء سألني وزير الداخلية مصطفى العمري عن أمرهما، قلت: «إنهما من التحقيقات الجنائية» وطبعاً كانت التحقيقات الجنائية تابعة لوزارة الداخلية، فأمرني بأطلاق سراحهما فرفضت قائلاً: «لايمكن إخلاء سبيلهما إلاّ بعد اعلام الملك بذلك ولأمره له في الموضوع». ثم جاء جميل المدفعي، رئيس الوزراء وطلب مني إطلاق سراحهما، فرفضت. وشعر الملك بذلك، لأنه كما أعتقد كان يراقب الموقف، فأحس بضرورة تدخله فجاء مخاطباً مصطفى العمري والمدفعي: «خيراً؟ ماذا تريدون من فؤاد؟» بادرته أنا قائلاً: «سيدي، هؤلاء من التحقيقات الجنائية، ولا افهم مبرراً لوجودهم هنا، ولا أعلم من الذي أرسلهم؟».

في الحقيقة تأثر الملك غازي من وجود هذين الشخصين، إلاّ أنه أمر فيما بعد بإخلاء

سبيلهما. وأظن أن الملك كان على علم بما يجول ويدور، لكنه كان ضعيفاً في تلك الفترة، أي فترة ما بعد وزارة حكمت سليمان.

في الواقع كان مجيء هذين الشخصين مدعاة للريبة، علاوة على كثرة سيارات الشرطة المنتشرة التي ذكرناها. وهناك أكثر من احتمال لمثل هذا التصرف، وعلى أي حال لقد كانت الحكومة أداة توجهها السفارة البريطانية.

الملك صار مراقباً ونشطت التحقيقات الجنائية في تلك الفترة وكثير من العاملين في القصر استبدل بمن مهتهم مراقبة الملك، والهواتف أصبحت مراقبة، الحراس، الخدم، العمال كلهم أُستبدِلوا بهم.

غازي والانجليز

كان الملك غازي يحمل حقداً واضحاً على الإنجليز، ربما امتد هذا الحقد في أسبابه الى مسألتين، كان غازي يتحدث عنهما بإنفعال وتأثر واضحين، الأول موقف الانجليز من جده الحسين واشكال المعاملة السيئة التي عامل بها الأنجليز الحسين ونفيه الى قبرص. وكثيراً ماكان لايقاوم دموعه عند ذكر هذا الموضوع كما اسلفت سابقاً. أما الثانية فكان يؤكد ان الأشخاص الذين أتوا مع أبيه من الحجاز كانوا عملاء للإنجليز مما جعل رجال الدولة يكنون الولاء للسفارة البريطانية أكثر من ولائهم للدولة العراقية. كان يشعر أن هؤلاء يمثلون دور الوطنية والقومية وما هم بوطنيين أو قوميين. لقد كان غازي يمقت الزيف ويعشق الصراحة والوضوح في المواقف. لذا كنت تجده كثيراً مايعلق على هؤلاء الاشخاص الذين جاؤوا مع فيصل ولعبوا دوراً في السياسة الاولى للدولة العراقية قائلاً: "لقد زرع هؤلاء زرعاً انا اليوم آكل نتاجه".

إن هذا الموقف من الانجليز والمتعاونين معهم جعل الملك غازي يلتفت جدياً الى ضرورة خلق جيل عراقي متحرر من عقدة الأجنبي، والانجليز بصورة خاصة؛ إذ كان كثيراً ما يقول: "أريد أن أبني شباباً عراقياً يحل محل هؤلاء ليديروا البلاد بعيداً عن هيمنة البريطانيين و سفارتهم". لذا لم تكن سياسته تقليدية، وكانت مواقفه عموماً منغصة ومقلقة للسفارة البريطانية ورجال الدولة من المتعاطفين سراً وعلناً مع السفارة البريطانية في بغداد. حقاً إن موقف الملك غازي من الإنجليز أتضح على حقيقته في تحدّيه لهم وعدم تنفيذه لرغباتهم في أحداث الآثوريين، مما أثار حنق الإنجليز عليه. إن نشاط السفارة البريطانية إزاء هذا الموقف كان على نوعين، أو بعبارة أخرى إن السفارة

اتبعت طريقتين: الطريقة الاولى عبرت عنها بكل محاولاتها في كسب ود غازي، والسياسة البريطانية على مايبدو كانت تريد في البداية أن يكون غازي قوياً متمكناً، على أن يكون في الوقت ذاته ضمن المسار البريطاني لأن بريطانيا كانت تدرك تماماً أنها اذا سيطرت على غازي الممسك بزمام الأمور، تكون بذلك قد امسكت تماماً بحاضر ومستقبل العراق مدنياً وعسكرياً، أي أنها تريد أن يكون غازي كماشة بيد بريطانيا شريطة أن تكون هذه الكماشة قوية، وهذا أجدى لها من الوزراء الذين يتغيرون بين حين وآخر.

ويقال، إن غازي أراد في بداية تسلمه عرش العراق أن يكون دبلوماسياً مع بريطانيا، ويشعرها بأنه على نهج أبيه، لكن الأيام أثبتت تدريجياً أنه لا يستطيع أن يكون ممثلاً للمصالح البريطانية في العراق، برغم المحاولات التي كانت تبذل بين حين وآخر لإنعاش العلاقة بين الملك والسفارة البريطانية في بغداد. ويمكن ان تكتشف لنا في هذا المجال ثلاث قنوات لتحسين العلاقة بين غازي والسفارة البريطانية: القناة الأولى هي المحاولات الدبلوماسية من السفير البريطاني، والقناة الثانية محاولات الدكتور سندرسن الذي كان في الحقيقة جزءاً مكملا للنشاطات الدبلوماسية الصادرة عن السفارة، اما القناة الثالثة فكانت تتمثل بالمحاولات غير المباشرة التي تبدر من رجالات الدولة العراقيين من المتعاطفين مع السفارة البريطانية، من خلال ما يؤمنون به بين حين وآخر، تبعاً للمواقف. هذه هي الطريقة الأولى. أما الطريقة الثانية فكان محاولة القضاء على غازي جماهيرياً ببث الاشاعات الرخيصة عنه، ثم القضاء عليه نهائياً.

لما وجد الإنجليز أن غازي حظي بجماهيرية واسعة وصار زميل الشعب العراقي في الخلاص النهائي من التدخل الأجنبي في شؤون العراق، وان غازي لن يمثل مصالح بريطانيا، حاول الإنجليز وعملاؤهم في العراق تشويه سمعة غازي وبدأوا ينسجون القصص عنه، لعلهم يصيبون في تلك مأرباً، وبدأوا يبثون الشائعات هنا وهناك: أن للملك غازي تصرفاتٍ ماجنةً ويميل الى معاقرة الخمر. اما أنا شخصياً بوصفي مرافقاً لهذا الرجل فلم أجد في سلوكه ما هو مشين، ولم أجد لديه ماكان يثار عنه من شائعات. أذكر أن شخصاً جاء ذات مرة يسألني: «اين كان غازي ليلة أمس؟» قلت:

– في القصر

قال:

– كلا، لقد قضى ليلته في الصالحية، وفي دار إمرأة تدعى (فرحة).

قلت:

– يا أخي إني انا الضابط الخافر، ولم يغمض لي الجفن، والملك لم يغادر القصر، كما لم تغادر القصر أية سيارة ولا دخلت اية سيارة، وكل الابواب الداخلية والخارجية مقفلة، ولنا ثماني نقاط حراسة ودوريتان متجولتان، فكيف خرج الملك وعاد ونحن لاندري؟!

وهكذا كان الانجليز وعملاؤهم يحاولون تشويه سمعة غازي والقضاء على ما له من جماهيرية في قلوب الناس.

إن غازي لم يكن إلاّ كأي ضابط، كما ذكرت، يميل الى الصداقات مع الضباط وضباط القوة الجوية بصورة خاصة، وأشكال الترفيه لديه لم تكن تتعدى ممارسة هوايته الشخصية التي سبق أن ذكرتها، وحاولت السفارة البريطانية وعملاؤها استغلال مسألة شرب غازي الخمر استغلالاً كبيراً. في الحقيقة ان غازي لم يكن يخفي على الناس هذه المسألة، اي أنه لم يدعِ يوماً انه لايشرب. لقد كان يشرب مع اصدقائه، ويتبسط معهم في الحديث والمسامرة،، علاوة على أنه كان يداري وحدته بالشراب مساءاً، ولكني لم أجده يوماً ثملاً او في سلوك شائن او معيب، إلا أن خصوم غازي أرادوا استغلال هذه المسألة، فنسجوا عنه قصصاً وكان هو أرفع مما يشاع عنه تماماً. كان غازي يحب زوجته الملكة، رحمها الله وسعيداً بطفله فيصل، ومن الغريب أنه بعد مقتله وتسنم عبدالإله الوصاية على عرش العراق، كفت تلك الألسن عن تدوير تلك الشائعات عن عبدالإله ولعل القارىء يدرك ما أقصد.

مقتل وصل شقيق الملك بالرضاعة

وعلى ذكر الشائعات حول الخطر على حياة غازي، أذكر أنه بعد مقتل بكر صدقي مباشرة ساور الملك الاعتقاد بأن الانجليز سيحاولون التخلص منه كما ذكر، ويعزز هذا الاعتقاد بأن حادث مقتل (وصل) أخ الملك غازي بالرضاعة كما ذكرت، وتبريرات معقولة جعلت غازي يتصور أن هناك أيادي تدبر له سوءاً في الخفاء.

أما مقتل (وصل) فهو كالآتي: كنت مرافق ضابط الخفر في إحدى أمسيات أيلول العام ١٩٣٨ عندما اتصل بي الملك غازي هاتفياً، يخبرني أن (وصلاً) قد قتل في دار الاذاعة الخاصة بالملك أي في القصر، وهُرعت الى مقر الاذاعة لأجد (وصلاً) ملقى على كرسي، وقد سقط المسدس من يده على الأرض، واتصلت بحاكم التحقيق الأستاذ أحمد طه، ونتيجة التحقيق أظهرت أن وصلاً قد قتل بمسدسه الذي سقط منه، عندما كان في حالة

سكر شديد، ولما سقط المسدس من يده وانطلقت منه رصاصة فأردته قتيلاً، ولكنه في الحقيقة أنا والملك لم نستطع أن نصدق هذه القصة، بيد أننا لم نستطع أن نتهم في الوقت ذاته شخصاً معيناً، ولكن في اعتقادي أن العملية كانت تحذيراً للملك كي يكف عن أحاديثه الوطنية في الإذاعة، وعن مطالبته بالكويت والطعن بالسياسة البريطانية. في الواقع لم يمضِ على مقتل (وصل) ستة اشهر حتى قتل الملك غازي نفسه.

في أواخر العام ١٩٣٨ أبلغني الملك غازي أن جميل المدفعي يريدني مرافقاً، وفي النية استبدالي بثلاثة مرافقين آخرين، قلت: «ياسيدي، لا أريد ان أكون مرافقاً لأي شخص بعد الآن». قال: «طيب، إذن سأنقلك الى آمرية السرية في الحرس الملكي في قصر الزهور». فأديت التحية، وخرجت موافقاً، ولكن فوجئت بالمرحوم جميل المدفعي يطلبني في اليوم ذاته في الوزارة، وابتدرني قائلاً: «يافؤاد رجاءاً لاأريد أن تبقى همزة وصل بين الحكومة والملك، وبصراحة لانريد أن تبقى قريباً من الملك وبإمكانك أن تختار أي مكان تريد بعيداً عن القصر الملكي». فطلبت نقلي الى السليمانية، وذلك عندما عرفت شدة الصراع بين الملك والحكومة وكيف أن الملك لم يعد قادراً حتى على اختيار أو التوكيد على إختيار أحد مرافقيه. لاأدري، هل كان إخلاصي الشديد هو السبب في إبعادي عنه؟ من يدري؟

إستمرار القلق وتوالي الأحداث

أذكر أن الامير زيداً، وهو عم الملك، عندما جاء الى العراق، وكان يومئذ وزيراً مفوضاً في ألمانيا، فاتحني بقلقه على الملك وقال: «إن الملك وحده، وانت يافؤاد! أثق بك ولا أشعر بأنك مرافقه، وأنما أرى فيك أخاً له. وكم كنت أود لو كان في العراق حزب أو جمعية لإسناد غازي». فشعرت في حينه أن الأمير زيداً أراد أن يبلور التأييد الجماهيري لغازي بتنظيم ما لكي يتصدى به للمؤمرات التي كانت تحاك للملك والتي يبدو أنها أصبحت هاجس الأمير زيد، وكانت فكرته تقوم على أساس تأليف كتلة سياسية، قوامها العشائر علاوة على العناصر السياسية، أخص منهم بالذكر حكمت سليمان الذي توطدت بينهم علاقات ودية وأواصر ثقة عالية، وكذلك الشيخ محمد الصدر وهو من أبرز الشخصيات، وقد استطا ع أن يستأثر بإحترام الملك وحبه. لقد كان يحترمه ويميل الى مجالسته. وكذلك الشيخ محمد رضا الشبيبي الذي كانت له مكانة سامقة لديه ويثق به ويحترمه جداً، وجميل المدفعي الذي يحظى بحبه واحترامه وثقته بشكل واضح ومميز.

السفير البريطاني السير ارشيبالد كلارك يقدم اوراق اعتماده. فؤاد عارف
في الصف الاول، الثاني من اليسار

الملك غازي في الباخرة "كنك فيصل" سنة ١٩٣٨. معه في الصورة هيئة قيادة الباخرة
وآمرية القوة الجوية. المرافق فؤاد عارف بين الواقفين (الثالث من اليمين).

السفير البلجيكي يقدم اوراق اعتماده. فؤاد عارف الاول من اليمين

الملك غازي في مطار البصرة. فؤاد عارف الثاني من اليمين.
التقطت الصورة في ٢٥ آذار ١٩٣٨

كان الملك غازي يميل الى مجالسة بعض النواب الأكراد أيضاً، وأخص بالذكر كلاً من النائبين الكرديين فارس آغا الزيباري وميران قادر بك، وكان يرى في الشيخ محمود الحفيد رجلاً مناضلاً ومحترماً، وأكثر من ذلك قريباً من أقربائه. كما كان في الكلية العسكرية يزامل الطلبة الأكراد ويحبهم.

كان بعض رجالات الدولة يحاولون دائماً تحسين العلاقة بين الملك والسفارة البريطانية، فقد كانت الولاءات للأسف كما ذكرت سابقاً، متجهة غالباً الى السفارة البريطانية اكثر من اتجاهها الى البلاط الملكي، حتى ان أقرب الوزراء الى قلب السفير كان من يستطيع أن يستميل الملك الى جانب البريطانيين. فقد كانت السفارة منزعجة من موقف الملك الوطني من جهة ونزعته للتعامل أو الانفتاح على دول المحور وتطوير الجيش العراقي بسلاح حديث من جهة أخرى.

أذكر أن هذه المحاولات "الإنعاشية" في تحسين العلاقة هي الدعوة المتبادلة بين السفير البريطاني والملك قد باءت بالفشل. ومن الطريف أن أذكر هنا، انني كنت أنا السبب في هذا الفشل الدبلوماسي...

لقد طلب بعض الوزراء من الملك غازي محاولة تحسين العلاقة مع البريطانيين وأن تكون الخطوة الأولى دعوة شاي يقيمها الملك في قصره للسفير وأركان السفارة البريطانية ويحضرها بعض الوزراء في قصره، فعلاً أقيمت هذه الدعوة التي تخللتها لعبة التنس. وأتذكر ان وزير الخارجية كان توفيق السويدي، وكانت الحفلة ممتعة وأشاعت بين الحضور من كلا الجانبين جواً من حسن النية والانفتاح المتبادل، ووجه السفير في ختام الحفلة الدعوة الى الملك لزيارة السفارة، إذ أعرب عن رغبته في إقامة حفلة شاي للملك مع فرصة للعبة التنس ايضاً. وقبل الملك الدعوة شاكراً، وفعلاً بعد اسبوع لبى الملك الدعوة، وكنت أنا برفقته واستقبلَنا السفير وأركان السفارة، ووجدنا وزير الخارجية العراقي توفيق السويدي ورئيس التشريفات عبدالله الدملوجي هناك، إذ كانا قد سبقا الملك الى السفارة كي يكونا في إستقباله هناك، وكان الترحيب بالملك ترحيباً حاراً،، ثم بدأوا يلعبون التنس ويلتقطون الصور الفوتوغرافية على سبيل الذكرى وتوثيق هذه الزيارة الودية للملك.

لقد إسترعت انتباهي إمرأة جميلة شقراء هيفاء كانت تحاول التقرب من الملك خلسة من أجل ان تلتقط صورة منفردة معه بينما كان المصور متخفياً بين الأشجار التي كانت

متكاثفة، ولاحظت أنها كانت تشير للمصور الذي كان بدوره ينتظر اللقطة المناسبة والملك لايدري، إذ كان مشغولاً في الحديث مع الآخرين وفي لحظة وجدتها تمسك بيد الملك وتسحبه نحوها ويلتقط المصور صورة لهما بهذه الوضعية... فهرعت الى المصور وسألته بصوت عال: «هل إستأذنت من الملك أن تأخذ له صورة منفردة مع سيدة؟» فقال: «لا». وعندما سمع السفير البريطاني صوتي العالي والمنفعل جاء مع جماعة من السفارة، وعندما وقف على حقيقة الأمر مع الملك الذي سألني عما حصل فأخبرته، عندئذ تناول السفير البريطاني آلة التصوير وفتحها وأخرج الفلم الذي فيها وفتحه ليحترق في الضوء وعم الوجوم وهربت البسمات من على وجوه الحضور ووجوههم ووجوهنا، وبعد إنتهاء حفلة الشاي غادرنا السفارة، الملك وأنا والكل شعر أن الحفلة باءت بالفشل بسبب تصرف المصور وتلك المرأة.

وفي السيارة قلت لنفسي لعل الملك غضب من تصرفي. فلقد كنت في الواقع صادقاً وأميناً في موقفي إذ ذهب بي الظن إلى أن هناك مؤامرة لتصويره مع إمرأة لايدري من هي (ربما ساقطة). وربما نشرت تلك الصورة على أغلفة المجلات العالمية لتشويه سمعة الملك... ولذا ابتدرت الملك في السيارة قائلاً: «سيدي اعتذر عن موقفي الذي أساء الى الحفلة» وأوضحت له الدوافع التي دفعتني الى محاسبة المصور وبإنفعال، فقال رحمه اللّه «أبداً، فؤاد، حسناً فعلت، وأنا أشكرك». هذه الحادثة هي التي جعلتني أقول، ربما كنت سبباً في إفشال هذه المحاولة الإنعاشية لعلاقة السفارة البريطانية بالملك غازي، ولكني لست بآسف على ماحدث، فقد كنت أقوم بواجبي وبما أملته علي مشاعري المخلصة إزاء غازي. وقد سمعت أن السفير كان قد علق على هذه المسألة بقوله: «إن لغازي بعض المرافقين الصعبي المراس». كما حاول أن يدعو غازي مرات الى السفارة بعد تلك الزيارة، بيد أنه لم يلب الدعوة واعتقد أن هذه المسألة عجلت في إنهاء خدماتي مرافقاً للملك.

أذكر أيام مغادرة السير كلارك كير، سفير بريطانيا في العراق ومجيءبيترسون ليحل محل كلارك، إذ نقل الأخير الى الصين، ويبدو أن كلارك هذا كان على علاقة طيبة مع غازي، تمتد الى أيام طفولة غازي عندما كان يدرس في بريطانيا.

أقام الملك غازي دعوة شاي في قصر الزهور لمناسبة انتهاء أعمال السفير في العراق، وعندما وصل السفير استقبله وزير الخارجية، السيد توفيق السويدي، ورئيس التشريفات، وكانت زوجة السفير معه، فذهبت الى الملكة لتجالسها بإنفراد؛ لأن الملكة كانت لا تشترك

في مثل هذه الجلسات وكانت منعزلة. وعلى ما أذكر أن الملكة قدمت هدية تذكارية الى زوجة كلارك في تلك الزيارة. لقد صحب السفير في تلك الزيارة أركان السفارة. وبعد أن تناولوا الشاي إنفرد السير كلارك بالملك غازي بعيداً عن الحضور مدة قصيرة، ربما كانت نحو ربع الساعة، ثم عادا. وغادر السفير مودعاً. وبعد مغادرة السفير أعتقد أن وزير الخارجية حاول أن يعرف ماذا قال السفير للملك. أجاب غازي أنه طلب منه أن يحدثه لا كصاحب جلالة؛ إذ قال: «اسمح لي أن أحدثك لا كسفير يحدث ملكاً، لأنني أتذكر، اننا كنا نتمشى معاً في حدائق لندن عندما كنت صغيراً ونتكلم بصراحة كأصدقاء، وأسمح لي أن أقول لك يا «عزيزي غازي أن بناء المملكة يشبه بناء البيت. وعندما تشيد داراً يجب ان تصممه بحيث يتحمل حرارة الصيف وزمهرير الشتاء، وبعد أن تنتهي من ذلك يمكنك أن تفكر بموضوع الحديقة التي ستحيط بهذا البناء، وأنت الآن في بلد فيه العرب وفيه الأكراد والشيعة والتركمان، وبعد ذلك لك أن تطل برأسك الى الحديقة،، لذا أنصحك الآن بالكف عن مسألة الكويت والمسائل الأخرى ذات العلاقة بخارج العراق– وأعتقد أنه كان يقصد فلسطين–، وانصرف الآن الى بناء العراق». هذا ما أتذكره مما قاله الملك غازي عن نصيحة السير كلارك له في آخر لقاء بينهما.

ومن الذكريات الطريفة أنه في العام ١٩٣٨، وعندما احتلت ألمانيا النمسا، أقام الدكتور غروبا، الوزير الألماني المفوض في بغداد حفلة، فبعث بثلاث بطاقات دعوة الى البلاط الملكي، بإعتبار أن في البلاط ثلاث دوائر أساسية: هي رئاسة التشريفات، ورئاسة الديوان الملكي، ورئاسة المرافقين.

أمرني الملك غازي رحمه اللّه أن ارافق خاله الشريف حسين بن ناصر الى الحفلة التي أقيمت في نادي العلوية، فذهبت مع الأمير حسين. وطبيعي اننا استقبلنا ببالغ الحفاوة، مع الأمير حسين، خال الملك وقد مثلنا البلاط في تلبية الدعوة. وأذكر وقوف الوزير المفوض وأعضاء السلك الدبلوماسي تحية له. وفي الحفلة راقص الأمير حسين زوجة الوزير الألماني، ولم أكن أعرف الرقص، إذ لم أكن قد رقصت في كل حياتي، فجلست وحيداً، أنظر الى الناس، والكل يرقصون. ووجدت أن زوجة المفوض الأمريكي تتّجبه نظرتها نحوي ويبدو أنها أشفقت علي. في الحقيقة أن الأصول تقتضي أن يطلب الرجل مراقصة المرأة، لكن هذه المرأة هي التي جاءتني بنفسها وسألتني: «لماذا لاترقص؟» فقلت: «انني لاأعرف الرقص». فقالت: «اذا كنت لاتعرف الرقص لماذا حضرت الحفل».

قلت: «انني جئت مرافقاً بأمر من صاحب الجلالة الملك غازي». إلاّ أنها طلبت مني ان أرقص معها، فاعتذرت منها، فاعتبرت إعتذاري إهانة لها، ثم جاءت زوجة الوزير الألماني التي طلبت مني ان أراقص زوجة الوزير الأمريكي حتى تتأكد بنفسها بأنني لا أجيد الرقص فعلاً. وللمناسبة طلبت مني زوجة الوزير المفوض الأمريكي ان أزورها في دار المفوضية حتى تعلمني اللغة والرقص. وطبيعي أني لم أذهب. وكنت قد حدّثت الملك حول ماجرى لي في الحفلة من إحراج رغم أنني لم أكن قد نويت الذهاب الى المفوضية الأمريكية ملبياً الدعوة من زوجة الوزير المفوض، لكني أتذكر أن الملك غازي قال لي: «يافؤاد! إن الناس ستراقبك، وسيقولون عنك إنك قد أصبحت جاسوساً علينا»، فقلت له لايمكن أن أذهب سيدي...

آخر لقاء بين الملك غازي وبكر صدقي

وعلى ذكر مقتل بكر صدقي أذكر ان آخر لقاء بين الملك غازي وبكر صدقي تم قبل مقتل بكر بليلة واحدة، حين جاء عصراً الى تل الملح وهو يروم الاستئذان بالسفر، إذ كان في طريقه الى تلبية الدعوة الموجهة اليه من تركيا لحضور المناورات العسكرية. وكان ينوي أن يسافر من هناك الى ألمانيا لمقابلة أدولف هتلر. ويبدو ان الملك لم يكن ميالاً الى سفر بكر صدقي، اذ قال له:

"بكر لاتذهب؛ لأن الوضع ليس في صالحك".

ثم أردف الملك قائلاً:

"يابكر ان مصطفى كمال أتاتورك منذ ان قام بإنقلابه(١) لم يغادر تركيا".

وأذكر أن محمد علي جواد كان حاضراً آنذاك وأجاب بكر صدقي قائلاً:

"سيدي! إن شاكر وادي واسماعيل آغا موجودان، وأنا مطمئن إلى أنه لن يحدث شيء". ثم قال: "لقد اشتريت (بيبين عمبة) هدية لأتاتورك، واحدة بإسمكم والأخرى بإسمي". ويبدو أن أتاتورك كان مغرماً بالعمبة.

حينئذ شعرت أن الملك غازي كان قد خول بكر صدقي بالتفاوض بإسمه حول تسليح

---

(١) يقصد حركة التحرر التي قادها مصطفى كمال منذ العام ١٩١٩، والتي انتهت بطرد قوات الاحتلال الاجنبية من تركيا، ومن ثم إلغاء السلطنة والخلافة وإعلان الجمهورية.

الجيش العراقي، والاتصال بدول المحور، حتى انهما انفردا يتحدثان بعيداً عنا. ومع هذا لم يستطع غازي أن يخفي قلقه من مغادرة بكر صدقي للعراق آنذاك. وقد حمل بكر صدقي معه رسالتين إحداهما لهتلر والثانية لموسوليني حول التفاوض مع دول المحور باسم الملك غازي بشأن تطوير الجيش العراقي الى فيلقين وتجهيزه بالمعدات العسكرية الحديثة، من ذلك تجهيزه بـ (٢٠٠) طائرة قاصفة ومقاتلة، علماً بأنه كان الدكتور فرتز غروبا الوزير المفوض لألمانيا في بغداد يومئذ، وكان على قدر كبير من النشاط الدبلوماسي، كان له دوره في الانفتاح على ألمانيا في شتى الميادين التجارية والثقافية. فقد كان ثمة اتصالات بين بكر صدقي وغروبا الذي برز نشاطه بعد انقلاب بكر صدقي على الصعيد العسكري أيضاً فبدأت وزارة الدفاع تفاوض الشركات الألمانية حول عقد صفقات السلاح التي كانت تشمل الطائرات ومدافع ضد الجو، وقد سمعنا في حينه أن العلاقات العسكرية تجاوزت شراء السلاح الى الاستشارة العسكرية، فقد استقدم بكر صدقي عن طريق غروبا مستشاراً عسكرياً، جيء به بصفة جيولوجي، وكان يدعى (هانتير) وأكثر بكر صدقي من الالتقاء به وقام هذا بمسح عسكري لشمالي العراق ودراسة إحتمال الهجوم وصد الهجوم على بغداد من ايران عبر المنطقة الشمالية، كل هذا كان يحدث والبعثة العسكرية البريطانية في بغداد.

واذكر كذلك ان فون شيراخ وزير الشباب الألماني الذي كان يحظى بتقدير هتلر وإهمامه، لدوره الكبير في تنظيم الشباب الألماني وتعبئته، قد التقى الملك غازي أثناء زيارته بغداد في حفلة شاي بقصر تل الملح، وكنت حاضراً في هذه الحفلة مع باقي المرافقين، وكان لهذه الزيارة في العام ١٩٣٨ وتلك المقابلة مع الملك غازي دورهما في إثارة الصحافة الأجنبية، وكتب الكثير عن هذه الزيارة القصيرة، برغم أنها كانت زيارة مغلقة لم تعرف تفاصيلها. هذا من جهة، ومن جهة اخرى فقد أشرت الى توجيه العراق لعقد صفقات مع ألمانيا في مجالات مختلفة، أهمها المجال العسكري، بالإضافة الى قيام نوع من العلاقة الودية بين هتلر والملك غازي، فقد أرسل هتلر سيارة مرسيدس خاصة هدية الى الملك غازي مازالت موجودة الى يومنا هذا في حديقة الزوراء. كما كان قد أمر بإرسال بيرة ألمانية خاصة الى غازي طبع الحرف الأول من إسمه (غ) على كل قنينة.

لقد كان الملك غازي وطنياً عراقياً متحرراً، رأى في تقربه من ألمانيا أملاً في تقليص

النفوذ البريطاني في العراق وإضعاف هيمنتهم على كثير من رجال الدولة، إن كثيراً من الوزارات العراقية التي كانت تقوم لتسقط بعد حين لم تكن إلا بتدخل مباشرة من السفارة البريطانية.

في اثناء حادث مقتل بكر صدقي مباشرة طلبني الملك غازي مساءاً وعلى عجل، فقصدت قصر الزهور، وما ان دخلت القصر حتى وجدت الملك وخلفه الملكة ينزل من الطابق الفوقي الى تحت وعلامات القلق والإرتباك بادية على وجهه، فابتدرني قائلاً: فؤاد، لقد قتل بكر". وقد بدت عليه علائم التألم والتأثر الشديدين. في الحقيقة إني في بادىء الأمر تصورت أنه لم يمت، وربما كان جريحاً، فسألته: «هل مات؟»، فقال: «نعم، انتهى»، فترحمت عليه. وفي تلك اللحظة شاهدت الملكة عالية مقبلة علينا، وكانت تعلم بما حدث، وربما كانت قد سمعت حديث غازي. ويبدو أنها كانت قلقة على غازي، خوفاً من أن لاتكون المحاولة مقتصرة على بكر صدقي، إذ وجدتها توجه الكلام لي وتقول: «يا أخي فؤاد! انتبه الى سيدنا الملك غازي». فقلت لها: «لاتقلقي سيدتي، مادام الجيش في خدمة الملك...»، فأردفت قائلة، والتحسر باد عليها: "أنا لاأعتمد على جيش يقتل رئيس أركانه". لقد بدا الملك قلقاً علاوة على تألمه على مقتل بكر صدقي. ومما زاد من قلقه الخوف على مصير الرسالتين الموجودتين في حقيبة بكر صدقي الموجهتين الى هتلر وموسوليني... لقد طلب مني الأتصال بأمين العمري الذي كان آمراً للموقع وقد ملك زمام الأمر في الموصل بعد مقتل بكر صدقي مباشرة. وعندما تم الاتصال معه تحدث مع أمين العمري هاتفياً سأله عن الحقيبة التي كانت مع بكر صدقي وطلب منه أن يبحث عنها وأمره بعدم فتحها وتسليمها له شخصياً أي للملك غازي. ثم أمرني الملك أن أكرر الاتصال بأمين العمري حول موضوع الحقيبة فأخبرني أن الحقيبة غير موجودة، وبرغم البحث عنها فانه لم يجدها في أي مكان وجد فيه بكر صدقي قبل مقتله وبعده. ففي الساعة الثانية ليلاً أخبر الملك غازي عن طريق إستخباراته الخاصة أن المستر تومسون ضابط الاستخبارات البريطانية قد عبر نهر الكوير متوجهاً الى الموصل، حينذاك دبّ اليأس في قلبه من العثور على أي أثر للحقيبة.

ذكرياتي عن بكر صدقي

ومن ذكرياتي عن بكر صدقي أني في بداية تعييني ملازماً ثانياً، كان الفريق بكر صدقي آمر المنطقة الشرقية في كركوك، إذ لم تكن عهدئذ تشكيلات للفرق بعد. وكنا نشاهده دائماً

يأتي للإشراف على تدريبنا، وكان يهتم إهتماماً كبيراً بموضوع التدريب العسكري... إن بكر صدقي بشهادة جميع ضباط الجيش العراقي ممن عرفوه كان ضابطاً من الطراز الأول في قدراته وعلومه العسكرية(١). وكان يُعنى بالتدريب و الفنون العسكرية عناية فائقة، لكنه لايهمل في الوقت ذاته الجانب النظري والتثقيفي. لهذا كنا نجده كل يوم إثنين يجمعنامن أجل إلقاء محاضرة علمية أو ثقافية، سواء مما له علاقة بصميم العلوم العسكرية أو بأحد العلوم الأخرى باعتباره جزءاً من التثقيف الضروري لإكتمال شخصية الضابط. وكان يلقي بنفسه بعض المحاضرات علينا، أو يكلف أحد الضباط بإعداد وإلقاء المحاضرة.

وكان يسهم في مداخلات جادة في كل محاضرة، فيناقش ويعلق ويتابع، وكان قد عودنا على إقامة حفلة ساهرة ترفيهية كل يوم ثلاثاء في النادي العسكري. كنا نخلق جواً من الحب والتواد بين الضباط وكأنهم اسرة واحدة، ونتنقل من أجواء التدريب والجد الى أجواء من الانطلاق والانشراح. وأذكر أنه كان يدعو المتصرف وبعض كبار الموظفين في كركوك، ومن طريف ما أذكر أن أحد الضباط وهو برتبة رائد، لا أذكر اسمه، صادف ذات مرة ونحن في إحدى ليالي النادي العسكري في كركوك نتسامر كعادتنا حول طاولة واحدة، إذا بالفريق بكر صدقي يباغتنا بالجلوس معنا وانطلق في سرد النكت والأحاديث الطريفة، إبتدره قائلاً: "ما السر في أنك الآن معنا ياسيدي، في ذرورة الانطلاق والبشر وكم لطيف انت الآن، بينما تنقلب خنزيراً في الصباح اثناء الدوام الرسمي؟" انفجر الجالسون ضحكاً.

---

(١) ورد في وثيقة بريطانية خاصة عن بكر صدقي انه "ولد في بغداد السنة ١٨٩٠ من أبوين كرديين، تخرج في الكلية العسكرية التركية في الاستانة سنة ١٩٠٨، وحصل خلال الحرب على رتبة مقدم، وعين في الأركان العامة، إنتمى الى الجيش العراقي في سنة ١٩٢١. درس في كلية الأركان في كمبرلي سنة ١٩٣٢، وكانت التقارير عنه جيدة... ربما كان أحسن قائد في الجيش العراقي، انيطت إليه القيادة العليا للقوات التي حشدت على الفرات لقمع انتفاضات العشائر في نيسان ومايس سنة ١٩٣٥، فأثبت كفاءته مرة أخرى: (العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦، إختيار وترجمة وتحرير نجدة فتحي صفوة، البصرة، ١٩٨٣، ص٦٠).

اما العقيد صلاح الدين الصباغ الذي لم يكن الود نحو بكر صدقي؛ لأنه؛ كما يقول عنه "لايعترف بعروبية العراق"، فقد كتب عنه يقول بكر صدقي ضابط ركن قدير في الجيشين العراقي والعثماني، وكان كثير الطموح، يكره الاستعمار، ويمقت الانجليز وأذنابهم "(فرسان العروبةفي العراق، طبعة ١٩٥٦ ص١٧).

كان بكر صدقي يباغتنا بالتفتيش في فترات غير متوقعة: وفجأة كنا نشاهده بيننا، راكباً جواده يفتشنا، أو فجأة كان بعض الوحدات البعيدة تجده في ساعة غير متوقعة منها وقد وصل اليها بسيارته لذا كنا نشعر وكأنه بيننا في اثناء التدريب في كل لحظة. وكان في منتهى الجدّية. فهو يختلف تماماً في تصرفه معنا خارج الواجب وكأنه شخص آخر.

كان يحب ضباطه ويقيم علاقات ودية بينه وبينهم، يهتم كثيراً بإقامة علاقات ودية بالضباط الصغار، ولاسيما ممن يُعيّنون حديثاً او ينقلون حديثاً، كنت تجده ينهض ويتجه نحو الضابط الجديد او غير الجديد، اذا كان جالساً وحده، فيجلس على مائدته ويتبسط معه، محاولاً الاستفسار عن حياته ومشكلاته ومعاناته. وكثيراً ما كان يطلب قنينة بيرة له و للضابط الصغير لرفع الكلفة بينهما، ولكي يخلق جواً من المودة: لأنه في الواقع لم يكن سهلاً اقامة علاقة ودية غير متكلفة بين ضابطين احدهما برتبة ملازم ثان والآخر برتبة لواء أو فريق. وكان يكرر لقاءاته ويتابع مشكلاتهم ويحاول تذليلها، لأنه كان مؤمناً بضرورة التثبيت من الوضع النفسي للضابط، لهذا كنا (نحن الضباط الصغار) نشعر برغم صلابة هذا الرجل وجدّيته، بحالة من الاطمئنان النفسي؛ لأن القائد يرعانا ولأن علاقة خاصة تربط كل ضابط به.

وكنا نعرف ان لبكر صدقي الاستعداد الكامل لتقديم استقالته من الجيش ان اقتضت الحاجة أو الموقف بسبب احد ضباطه، ان لم يُنصف هذا الضابط.

والأمثلة على اخلاقيته هذه كثيرة... يقال، ان خليل زكي كانت له هذه الصفات ايضاً، وهو احد كبار ضباط الجيش العراقي، ولكن للأسف لم تتسن لي فرصة التعرف عليه. وكان حقاً لهذا الرجل اي بكر صدقي من الخلفية الثقافية العالية والتجربة الشخصية ما مكّنه من امتلاك هذه الاخلاق المطلوب توافرها في القادة العظام.

أذكر أننا عندما كنا في تدريب الحروب الجبلية في معسكر آغجلر، زارنا مرة تلامذة مدرسة قرية عسكر، وهي القرية التي ينتسب اليها بكر صدقي وجعفر العسكري، وكنا مرابطين في منطقة قريبة، فقد زارنا هؤلاء التلامذة، فأرسل بكر صدقي يطلب أقرباءه واقرباء جعفر العسكري وعدد من ابناء عسكر وجميع ضباط المعسكر، والقى علينا وعلى الحاضرين جميعاً محاضرة في دور الثقافة والعلم في تقدم الشعوب. واذكر انه قال: "انظروا"، وهو يوجه كلامه الينا نحن الضباط وتلامذة المدرسة ومعلميهم و الحضور"

انظروا هؤلاء انهم ابناء عم جعفر العسكري أحد مؤسسي الجيش العراقي، أما هؤلاء وهو يشير الى اقاربه فأنهم ابناء عمي، وانا اليوم فريق في الجيش، فلولا أننا اكملنا درب الدراسة لما وصلنا إلى هذه المرتبة، وان هؤلاء هم الذين أنجبونا وأنجبوا الكثير من امثالنا". فحث الحاضرين على الأخذ بأسباب العلم والمعرفة وكان يريد ان يمنح التلاميذ وآباءهم شيئاً من النقود هدية لهم، لكنه لم يكن يملك شيئاً فأخذ قرضاً (سلفة) من ميزانية المعسكر ووزعها عليهم.

وبعد إنصرافه قرر امراء الفوج تقديراً لهذه القرية التي انجبت جعفر العسكري وبكر صدقي اكساء التلاميذ بالملابس الخاكي، فبدأ الخياطون في المعسكر بأخذ مقاسات التلاميذ وأعدوا لهم ملابس شبيهة بملابس الكشافة لكل تلاميذ قرية عسكر، وكذلك اشترينا لهم أحذية أرسلناها مع الملابس. وقد تبرعنا نحن الضباط في المعسكر بأثمان الملابس والأحذية لأطفال مدرسة عسكر.

لقد كان بكر صدقي مسرفاً وكثيراً ماكان ينفذ ما معه من مال. ومن الطريف انه طلب ذات مرة إجازة لمدة شهرين للترويح عن نفسه خارج العراق، فذهب بعض الضباط لتوديعه في محطة قطار كركوك، وكان بين المودعين متصرف كركوك السيد جميل باشا الراوي، لكننا فوجئنا ببكر صدقي يعود بعد اسبوعين ويقطع اجازته ويباشر، ولما سألوه عن السبب، اجاب بكل صراحة: "والله خلصت فلوسي" فلم يستطع العيش خارج مقر وظيفته، فعاد...

واذكر أني كنت في الفوج السابع، وقد نقلت من هذا الفوج بصورة مؤقتة الى مستودع مشاة المنطقة الشرقية كآمر فصيل لتدريب الجنود الجدد. وفي لحظة إنفعال ضربت أحد الجنود، اسمه (ضمد) وكان ابوه سائسا للسيد احمد رشيدي باشا، فنزل الدم من رأسه، فأخذ الى مستشفى وذهبت أمه تشتكي عند آمر المنطقة، وهو المرحوم الفريق بكر صدقي. واذكر ان المقدم محمود حلمي كان آمر مستودع التدريب، فطلب مني ركوب العربة مع (ضمد) والذهاب الى مقر المنطقة، وذهبت مع ضمد واسمه حاتم الذي كان منفعلاً، فقال لي: "ستجد كيف أقلب المنطقة على رأسك". والحقيقة أني لم احتمل صياحه علي فنزلت، وكنت احمل بيدي عصاً، فهرب الرجل وأنا الاحقه راكضاً والعربة تلاحقنا من خلفنا، وحتى ادركته قرب مقر المنطقة فأشبعته ضرباً، تجمهر علينا عدد من الجنود فأنقذوه مني وحملوه الى المستشفى العسكري مثخناً بالجراح. اما انا فقد توجهت الى مقر المنطقة

فأُدخلت على بكر صدقي وانا في حالتي المنفعلة. اتذكر ان شخصاً كان يعمل في مقر الفرقة واسمه المقدم عبدالوهاب، ابو دگه، ناداه بكر صدقي فقال له: "خذ فؤاد وأعطه شربت زبيب، وبعد ان يستريح تماماً أرجع به إلي". وبعد ان شعرت بالراحة وبزوال الانفعال، دخلت على بكر صدقي ثانية فسألني قائلاً: لماذا ضربت الجندي؟ فأجبته قائلاً: لأنه لم ينفذ التدريب جيداً.

فأرسل يطلب الجندي فسأله: لماذا ضربك الملازم فؤاد؟ فقال: سيدي لم يضربني. قال بكر صدقي: لقد اشتكيتم منه، ووالدتك جاءت تشتكي.

قال الجندي: "كلا ياسيدي، إنه عمي ولم يضربني، بل ان البندقية التي كانت في يدي ارتطمت برأسي، ونزف مني الدم! وحتى اذا ضربني يوماً، فهو مثل والدي. وعلى كل حال، فقد شكل بكر صدقي مجلساً تحقيقياً.

وأذكر أنه رحمه اللّه قال لي في حينه: "انت ضابط جيد، ولكنك معلم سيء". ثم اردف يقول: "مع هذا فلست انت السبب في هذا. لقد كان المفروض ان يرسل ضابط كبير السن لمثل هذه المهمة التدريبية التي يحتاج الى صبر ونفس طويل، وانت مازلت قليل التحمل. وبعد إنتهاء التحقيق كلف آمر الفوج بتقديم النصيحة لي.

اما بشأن مقتل بكر صدقي فأذكر أن المقدم الطيار موسى علي كان آمر القاعدة في منطقة الموصل آنذاك، فقد حدّث جلالة الملك وأنا حاضر مع الحاضرين عن تفاصيل هذا الموضوع. فقد ذكر أن محمد علي جواد التحق ببكر صدقي في الموصل وقد جاءا الى نادي القوة الجوية، وعندما كانا جالسين في حديقة النادي عصراً لشرب الشاي وجد، أي السيد موسى الطيار، السيد محمود هندي يشير الى أحد ضباط الصف (عريف) وكأنه يعرفه قائلاً: بأن ذاك هو بكر صدقي، ولما اقترب هذا الشخص اعتقدوا بأن لديه عريضة يريد أن يقدمها الى بكر صدقي، ولكن يبدو أنه كان يخفي تحتها مسدساً، وما أن اقترب منه حتى سدد المسدس الى بكر صدقي فهجم عليه محمد علي جواد، وسمع العريف يقول: سيدي أنت ما عليك فأطلق النار على بكر صدقي. ولما علم أن محمد علي جواد يحاول أن ينتزع المسدس منه، وربما قتله، أطلق النار على محمد علي جواد أيضاً وأرداه قتيلاً(١).

---

(١) يروي العقيد الطيار المتقاعد موسى علي الطيار الحادث هكذا: في مطار الموصل دخلنا انا وبكر صدقي في مواضيع أخرى، فكان يتكلم بصوت منخفض مما إضطرني إلى أن اقرب رأسي إلى رأسه، وإذا بي اسمع محمد علي جواد يتساءل شتريد– ماذا تريد؟» –، ولما أدرت رأسي إلى الخلف وجدت=

وأما عن التحقيق في مقتل بكر صدقي فقد وصلت هيئة تحقيقية الى الموصل، وكانت مكلفة بإجراء التحقيق في موضوع إغتيال بكر صدقي، وكانت الهيئة برئاسة انطوان لوقا الذي منح رتبة عسكرية مؤقتة للقيام بالتحقيقات، وقد صدرت من هذه الهيئة بعض التصرفات غير المتزنة إزاء بعض الضباط علاوة على تجاهلها التام لآمر الموقع السيد أمين العمري، فطلب هذا في البدء إبدال هيئة التحقيق، ولم ينفذ الطلب له، ويبدو أن الوزارة كانت متحمسة للهيئة تحقيقية أيضاً، فوقف اللواء الركن أمين العمري إلى جانب ضباطه ضد الهيئة تحقيقية وفشلت ألهيئة في مهمتها فشلاً ذريعاً، وأهينت، وأعيدت إلى بغداد ثم قطع اللواء الركن أمين العمري علاقته ببغداد مع إستمرار علاقته برقياً بمعسكر الوشاش أي بالعقيد (سعيد التكريتي) وكذلك بـ (قائد فرقة كركوك، اللواء أمين زكي). وفي الحقيقة أنه اسفرت الاتصالات بين العقيد سعيد التكريتي واللواء الركن أمين العمري عن ضرورة إيجاد حل وسط، فقد أضحى الموقف خطيراً، فهناك العناصر المؤيدة لحكمت سليمان والمتألمة من مقتل بكر صدقي، والعناصر المؤيدة لنوري السعيد. وكان الجيش منشقاً على نفسه، والملك لم يكن راغباً البتة في نوري السعيد من جهة، ومن جهة أخرى كان

= جندياً خيالاً حاسر الرأس، يلبس ثوباً خاكياً مع سروال قصير ولفاف وكيتر فوق الحذاء الطويل واقفا خلفنا ويداه وراءه، وهو على بعد حوالي خمسة أمتار فظننت انه من مريديه، وانه لابد ان يكون قد أتى لغرض ما، فأعدت رأسي بعد هذا الى الوضع الذي كنت فيه، أما بكر صدقي فأنه لم ينظر الى الخلف بل بقي ثابتاً في كرسيه، إذا بي اسمع صوت إطلاقات نارية، فأدرت رأسي الى الخلف فوراً لمعرفة مصدرها، إذا بي ارى الجندي الذي كان واقفاً يطلق بمسدسه بإستقامتي وسمعت بكر صدقي يئن أنة واحدة فقط وبعدها سكت من دون حراك، وفي الوقت نفسه قفز محمد علي جواد فجأة من محله ووقف أمام بكر والقاتل ورفع يديه الى الاعلى مؤشراً بها الى القاتل ان يوقف الرمي... ولما كان وقوفه أمام القاتل مباشرة سيعرضه الى الاصابات المباشرة، فقد قفزت فوراً من محلي، فاحتضنته صارفاً النظر عن مواصلة الرمي، وسحبته الى خارج خط النار، ولكني شعرت انه فقد توازنه، ووقعنا كلانا على الأرض... قال محمد علي فجأة: اصبت بطلقتين ناريتين... (ثم) سحب رأسي قرب رأسه وقبلني وقال: إنتهى أمري ياموسى،، احلف لي بأنك لاتدع القوة الجوية تموت... ومالبثت أن شعرت برخاوة ذراعيه اللتين إنفصلتا عن صدري ومال رأسه الى اليسار فلفظ أنفاسه الأخيرة... أما بكر صدقي فالظاهر انه فارق الحياة فور سماعي أنينه دون أن يتحرك قيد أنملة، فكانت اصابته في نخاعه الشوكي ودماغه، اما إصابة محمد علي جواد فكانت في قلبه ورئته... (موسى على الطيار، أضواء على مقتل الفريقين جعفر العسكري وبكر صدقي، بغداد، ١٩٨١، ص٥٢–٥٣).

الضغط متزايداً على إسقاط وزارة حكمت سليمان، ولم يكن مع فكرة السيطرة على الموصل عسكرياً، إذ كان يقول: "كيف نرسل جيشاً يقاتل جيشنا؟!" برغم أن الملك في الأيام الأخيرة، أي قبل أن تنفرج الأزمة حمّل امين العمري المسؤولية التامة بصفته القائد العسكري في الموصل، واستمرت العلاقة مقطوعة بين الموصل وبغداد عسكرياً.

وافق الملك على ماتوصل اليه كل من سعيد التكريتي وأمين العمري في ضرورة مجيء حكومة محايدة. وقد اقترح اسم جميل المدفعي لتشكيل الوزارة لإعتبارات عديدة، منها أن الملك كان يثق به، والمعروف عنه أيضاً أنه كان يحمل الولاء للملك، ثم إنه مقبولاً عند معظم الفئات العسكرية والمدنية في تلك الفترة، فكان الاتجاه أن يأتي جميل المدفعي لتحقيق سياسة اسدال الستار على مامضى. وهكذا أبرق الى جميل المدفعي للتوجه الى العراق، وكان طول تلك الفترة في لبنان، فوصل الى بغداد، وكلف بتشكيل الوزارة ليسوي الأمور التي كانت قد ساءت واضطربت. في الحقيقة ان شخصية جميل المدفعي كانت ناجحة ومناسبة تماماً لتلك الفترة، فهو رجل متزن ومحايد، ولايعرف الحقد. فعادت الأمور الى نصابها بعد فترة عصيبة، وتم نقل الضباط وضباط الصف الموالين لبكر صدقي من مواقعهم الى البصرة كما أشرت سابقاً.

ولكن بعد فترة استطاع نوري السعيد أن يصبح رئيساً للوزراء برغم عدم رغبة الملك فيه، لكنه اضطر تحت ظروف ضاغطة أن يكلفه بتشكيل الوزارة، إذ اضطر المدفعي إلى الإستقالة. الحقيقة اني لم أكن في هذه الظروف في بغداد، وكانت قد انتهت خدمتي من الحراسة الملكية ومرافقة الملك غازي.

ولما كان معروفاً عن بكر صدقي موقفه السلبي من السياسة البريطانية وانحيازه الى سياسة دول المحور، كنا نشعر أن بكر صدقي مستهدف، لقد أثار حنق الإنجليز وتشجع الملك غازي كثيراً في الفترة التي سيطر فيها بكر صدقي على الجيش بصورة خاصة، وحتى على سياسة البلد واتجاهه. ففي عهده خرقت المعاهدة العراقية البريطانية، عندما شرع العراق لايشتري السلاح من بريطانيا. فقد وافق الملك غازي على شراء سرب من طائرات بريدا من ايطاليا، وكذلك خمس طائرات قاصفة من نوع سافوى بالاضافة الى تحديد بل شل صلاحيات البعثة العسكرية البريطانية، هذا من جهة ومن جهة اخرى فأن المناوئين من جماعة نوري السعيد كانوا يحاولون الاستمرار في القضاء على بكر صدقي بأية طريقة؛ لذا كنا نتوقع ان تظهر محاولات لإغتياله، ولكني بحسب اعتقادي ان بكر

صدقي كان لايخشى هذه المسألة؛ ربما لانه كان لايصدق بأنه سيغتال أو ستنجح محاولة ما في إغتياله، لأني على ما أذكر كانت الحراسة بسيطة في بيته. ولو اراد احد ان يحاول قتله في بغداد او في داره لما كان الأمر صعباً، حتى انه حينما اغتيل لم يكن مرافقه الشخصي معه، ولم تكن ثمة أي حراسة خاصة في نادي المعسكر للقوة الجوية الذي اغتيل فيه. ولو كان بكر صدقي محاطاً بحماية مشددة في تلك اللحظة لما اُغتيل، هذا رأيي. وأذكر انه كان ثمة عريف يرافق بكر صدقي، وهو الحارس الشخصي له وكان مخلصاً جداً له، معجباً به، ويبدو انه قد سمح له في تلك الايام في الموصل بالذهاب لزيارة ذويه ولما عاد ووجد بكر صدقي جثة هامدة لم يحتمل الموقف فإنتحر، لكنه لم يمت، إذ أسعف، وحين تماثل للشفاء في المستشفى العسكري عاد ثانية فإنتحر.

وفي رأيي ان ثلاثة عوامل اشتركت معاً في اغتيال بكر صدقي يمكن ان تتراءى لنا في ثلاث هويات:

١- ضباط قوميين متحمسين للقومية العربية.

٢- شخصيات مدنية وضباط عرفوا بتعاطفهم مع السفارة البريطانية، لابل كانوا عملاء لها وبشكل غير خاف على الناس.

٣- ضباط لم يكونوا مدفوعين بدوافع سياسية، بل كانوا قد اصطدموا مع بكر صدقي لأسباب شخصية فأرادوا الانتقام منه.

هذا واقع الكتلة التي خططت لإغتيال بكر صدقي ونفذته ولكل جانب غايته في التخلص منه.

وبالطبع كانت بريطانيا تقف في الاساس وراء القضاء على بكر صدقي بوساطة عملائها العسكريين والمدنيين من العرب والاكرد(١). وان أكثر البراهين وضوحاً في

(١) سبق وان نقلنا رأي صلاح الدين الصباغ الذي قال عن بكر صدقي انه كان "يكره الاستعمار ويمقت الانجليز وأذنابهم" (يراجع الهامش رقم ٢٢ في هذا الفصل). سجل لنا شاهد عيان آخر هو العقيد الطيار المتقاعد موسى علي الطيار معلومات في غاية الأهمية بهذا الصدد، ففي رأيه حاولت "ثلاث جبهات" التخلص من بكر صدقي، يسمي الأول منها الجبهة الامبريالية التي كانت تخشى كما يؤكد. انهاء بكر صدقي السيطرة البريطانية لسياسة العراق والسياسة المالية والعسكرية، وتأميم مصالحها من دون إستثناء وفي مكان آخر من كتابه يضيف على ذلك قوله: كان محمد علي جواد يشرح لي مواقف بكر صدقي في صموده تجاه البعثة العسكرية البريطانية، وكيف كان هؤلاء =

تخطيط بريطانيا لعملية الاغتيال هذه وتنفيذها في نظري هو ما صرّح به الكابتن هولت السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية الذي حضر حفلة افتتاح مطار البصرة وبحضور الملك غازي. طبيعي ان عدد الضباط من أعوان بكر صدقي في البصرة كان كبيراً، فقد تم نقلهم ضباطاً وضباط صف الى البصرة بعد مقتل بكر صدقي. وفي اللحظة التي افتتح الملك المطار سمعت تحسين علي متصرف البصرة الذي كان ضمن الواقفين وراء جلالة الملك. يقول: «كان من المفروض ان يكون بكر صدقي بيننا اليوم حاضراً، لأنه هو الذي خطط لمثل هذا المطار وهو الذي أختار الموقع، وهو الذي كان متلهفاً لأن يكون للبصرة

= يتضايقون منه، ويرغبون في ابعاده بشتى الطرق والوسائل، وقد اشتدت هذه الرغبة بعد ان قام بكر بإنقلابه العسكري... كما اشتدت كراهية بكر الى البعثة العسكرية البريطانية، بعد تسلمه رئاسة اركان الجيش، اذ حدّد واجباتها، واصدر اليها الأوامر الصريحة التي لاتقبل الشك والجدل في ان يقتصر عملها على الاستشارة فقط وليس لها حق التدخل في شؤون وحدات الجيش وأمورها الإدارية، كما ليس لها الحق مطلقاً بتقديم أي طلب بإحالة هذا الضابط، او ذاك على التقاعد، او على كشف نصف الراتب، او ايقاف ترفيعه، او تحويله، او غير ذلك، الأمر الذي شلّ حركات البعثة وسيطرتها، كما شدد في طلباته الخاصة بضرورة الاسراع بتسليح القوة الجوية والجيش معاً بالسلاح الحديث، وإلاّ فإنه سيستعين بما تقدمه الدول الاوربية الأخرى من المعونات العسكرية وغير ذلك من الأمور التي ترفع مستوى الجيش. وفي إحدى الامسيات صرح لي محمد علي جواد قبل تسلمي مطار الموصل، بأن بكر صدقي قد جمّد أعمال البعثة العسكرية بصورة عامة، واعمال مفتش القوة الجوية بصورة خاصة، وانه أخبر اعضاءها بصورة قاطعة انه لايقبل أية أوامر أو تعليمات ما عدا التقارير الإستشارية التي يكون من حقه ان يقبلها او يرفضها او يحورها حسبما يتراءى له من المصلحة. كما انه طلب من محمد علي جواد تقليص عدد البريطانيين الفنيين في السلاح الجوي بقدر المستطاع، والاستعاضة عنهم بالعراقيين، وان وجد صعوبة في ذلك فليرسل من يجد فيه القدرة والكفاية في دورات خاصة لأغراض التخصص وغير ذلك من الأمور التي تجعلنا نحن منتسبي القوة الجوية نعتقد بأننا ولدنا مجدداً، اذ اخذ دولاب الحركة والتقدم يدور لمصلحتنا، هكذا جمد بكر صدقي اعمال المفتشين فأصبحوا رموزاً فقط». وأخيرا ينقل لنا موسى علي الطيار بهذا الصدد قولاً مهماً لقائد القوة الجوية محمد علي جواد الذي أسرّه به بإعتباره من أقرب اصدقائه؛ اذ قال له في لقاء خاص بينهما: «يتهمني الناس بأنني من قتلة جعفر باشا العسكري، ولذا فهم يعدون الخطط لإغتيالي مع بكر صدقي، وأكبر الظن ان الامبريالية تقوم بهذه المؤامرة لأن بكر اوقف اعمال المفتشين الانجليز، ولإتصاله المستمر بالدول الأوربية لشراء الطائرات والاسلحة، ولقوته الشخصية في إعادة تنظيم الجيش ونحو ذلك» (موسى علي الطيار، أضواء على مقتل الفريقين جعفر العسكري وبكر صدقي، ص٤٠، ٧٣، ٧٥-٧٦).

مطار»، فأجابه الكابتن هولت فوراً بنص العبارة الآتية التي اصابت الواقفين بالوجوم قائلاً: «لقد قررت الحكومة البريطانية ان يزول بكر صدقي ويموت، وكانت قد خصصت لموته نصف مليون دينار إلاّ أن اغتياله لم يكلفنا سوى ٧٠٠٠٠ دينار فقط، واعيد الباقي الى الخزينة البريطانية». واذكر ان متصرف البصرة السيد تحسين علي، تألم كثيراً من هذه العبارة التي ذكرها الكابتن هولت.

وثمة دلائل كثيرة اخرى على دور الإنجليز في اغتيال بكر صدقي، فان كل الشخصيات السياسية المعروفة بتعاونها وتعاطفها الواضح مع الانجليز لم تكن مع بكر صدقي، بل كانت معارضة له ولحكومة الانقلاب (وزارة حكمت سليمان) وكان معظم هؤلاء قد غادروا العراق وان كل رسائلهم ونشاطاتهم التي نجدها اليوم موثوقة في الكتب التي بدأت تجد طريقها للنشر تتحدث بوضوح عن المحاولات التي كانت تجري لتأليب الداخل والخارج على حكومة الانقلاب.

مازلت اذكر بعد سقوط وزارة الانقلاب، ان الملك غازي اعرب لي عن رغبته في اللقاء بحكمت سليمان، لكنه كان في شبه اقامة جبرية في بيته، ولربما فسرت هذه الاقامة بطريقتين حفاظاً على حياته اولاً؛ اذ قد يكون مستهدفاً والسفارة البريطانية ضده، وربما نشط سياسياً وهذا ما تخشاه السفارة، ثانياً، لذا لم يخرج حكمت سليمان بعد مقتل بكر صدقي وسقوط وزارته من داره كما لم يكن سهلاً ان يلتقيه الملك غازي علانية. فقلت للملك: «ان بالامكان ان احضره الى القصر الملكي» فقال: «كيف؟» قلت: «ان دار حكمت سليمان ملاصقة لدار خالي ماجد مصطفى واستطيع المجيء به ليلاً في سيارة خاصة ليست من سيارات القصر»، فواقف الملك، وفعلاً نفذت الفكرة، والتقى الملك بحكمت سليمان، ولا ادري ما الذي دار بينهما. ثم اعدته الى دار خالي ماجد مصطفى، وقد وجدت بعض الكتب تتحدث عن هذا الأمر بشيء من المبالغة، اذ تصور الموضوع وكأن لقاءات عديدة جرت بين حكمت سليمان والملك غازي عن طريقي، والواقع، وبحسب علمي، ان الملك لم يلتق حكمت سليمان اكثر من مرة واحدة وهي التي كانت بعلمي وبوساطتي.

وفي صباح اليوم الثاني كانت هذه الزيارة قد عرف بها رئيس الوزراء ووزير الدفاع جميل المدفعي، فقد جاءنا الى غرفة المرافقين وامسك بيدي وخرجنا الى خارج الغرفة، وسألني: «من كان عند الملك ليلة امس؟». قلت: «والله سيدي، لو قلت لم يكن عنده احد لكذبت، اما اذا كنت تريد معرفة من كان عند الملك ليلة امس فاذهب واسأله بنفسك...».

قال لي، اي جميل المدفعي وهو رئيس الوزراء ووزير الدفاع يومئذ وانا ضابط برتبة ملازم: «ابني ما بيها شيء، بس نعرف منو كان يم سيدنا». قلت: «سيدي، اذا ما بيها شيء، لماذا لاتسأله بنفسك؟»، ثم اضفت قائلاً: «سيدي، انتم الضباط الكبار تعلموننا الاخلاق العسكرية واحترام الاسرار والوفاء والثقة والاخلاص والآن اراك تريد مني ان اكون جاسوساً؟ لذا ارجوك سيدي ان تأمر بنقلي من هنا الى وظيفة اخرى، فلن اكون جاسوساً لأحد، واذا اردت فأبعدني حتى عن السلك العسكري»، ثم أديت له التحية، فما كان منه إلاّ ان قال لي: «اهنئك ابني على هذا الخلق العالي». فقلت: «شكراً سيدي».

فقال: «كم وددت لو كان لي ولد مثلك»، فقلت: «سيدي نحن كلنا اولادك»، فعانقني بحرارة.

حقاً لقد كانت لجميل المدفعي مواقف إنسانية معي بعد ذلك، وقد اتحدث عنها فيما بعد...

خلاصة آرائي في الملك غازي

انني أحمل أفضل الذكريات عن المرحوم الملك غازي، ومهما اطلقت العنان لفكري فلايمكنني ان أفي هذا الانسان الطيب والفاضل حقه، لذا أُلخّص آرائي عن الملك غازي بما ذكرته عنه في تقديمي لكتاب «الملك غازي» الذي نشر في العام ١٩٨٧(١)، اذ سجلت عنه ما نصه بكل قناعة: «كان غازي الاول، رحمه اللّه، انساناً بسيطاً في مأكله وملبسه، متواضعاً في تعامله، صادقاً مع نفسه وغيره، اقل الناس حقداً، صريحاً اكثر مما يجب، وجريئاً بما فيه الكفاية، كان شديد الحب للعراق والعراقيين، بعيدا عن كل انواع التعصب العنصري والطائفي، لكنه كان ينقصه دهاء والده وحنكته، فهو لم يفهم ألاعيب السياسة، ولم يجد فنونها. لم يعرف كرهه للإنجليز حدوداً؛ اذ كان يرى فيهم ناكثين للعهود، متجنين على جده الحسين ومن هنا جاءت حساسيته المفرطة تجاه الساسة التقليديين الذين رافقوا والده باستثناء اثنين منهم هما محمد الصدر ومحمد رضا الشبيبي رحمهما

---

(١) يقصد كتاب الدكتور لطفي جعفر (الملك غازي ودوره في سياسة العراق، في المجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣– ١٩٣٩) الذي كان في الاصل رسالة دكتوراه قدمها الى كلية الاداب/ جامعة بغداد، ونشرتها مكتبة اليقظة العربية سنة ١٩٨٧ في كتاب مستقل يقع في ٢٩٢ صفحة. طبع تقديم صاحب المذكرات على الغلاف الأخير من الكتاب.

اللّه. حتما ما كان بوسع غازي، مثل غيره، ان يمتلك نزاهة الدراويش والرهبان الورعين الصادقين، فقد كان يحب الانطلاق، ويعد نفسه «سجيناً محترماً» على حد تعبيره، ولكن لاشك في ان اعداءه بالغوا في تصوير جوانب معينة من حياته الخاصة، فتجنوا عليه، وحاولوا النيل من فضائله الأصيلة التي لمستها فيه منذ ان كنا زملاء في الكلية العسكرية... سأبقي احتفظ بحبي وتقديري لهذا الانسان النبيل.

مرافق الملك غازي/ اللواء المتقاعد فؤاد عارف».

ملاحظاتي الاخيرة

وقعت في عهد الملك غازي حركات مسلحة في منطقة بارزان وبله عرفت بحركات خليل خوشوي(١)، في العام ١٩٣٥ كنت ملازما ثانياً في فوج حدود رواندوز، وكان خليل خوشوي لايزال يقود بعض البارزانيين المسلحين الكرد في المنطقة وهم يمثلون بقايا البارزانيين بعد قيام حركتهم. وكان تواجدهم في بارزان وميرگەسور وراوندوز. كانوا يقومون بأعمال ضد الحكومة العراقية. سبق أن تشكلت قوة باسم (قوة شيربارز) وهي كلمة منحوتة من شيروان مازن وبارزان، قوامها فوج الحدود الأول في بله وفوج الحدود الثالث في رواندوز، والفوج السابع في اربيل جيء إلى ميرگه سور مع ٢٤ مفرزة شرطة غير نظامية، اي العشائر التي تتلقي مالا لقاء اشتراكها في الحركات مع القوة النظامية،

(١) بدأت حركات خليل خوشه وى في أواسط العام ١٩٣٥، وهي في واقعها كانت إمتداداً لإنتفاضة العام ١٩٣٢، اتخذت اجراءات واسعة لقمعها شملت التنسيق بين القيادات العسكرية والادارية في محافظات الموصل وأربيل وكركوك (تُنظر «العالم العربي»، ٢١ تموز ١٩٣٥)، وأعلنت الأحكام العرفية في زيبار وشيروان مزن و عقره وغيرهما، وشكلت محكمة خاصة برئاسة عبداللّه النعساني لمحاكمة المشتركين في الحركة، وقد تم تنفيذ حكم الاعدام بأعداد كبيرة منهم، كما تعرض الآخرون للسجن والنفي (تنظر «العالم العربي»، ١٨و ٢٩ آب و ١٠ ايلول ١٩٣٥). والنعساني هو نفسه الذي عرف بمحاكماته التعسفية أيام الوثبة وما بعدها، وقد جرى تعاون وثيق بين السلطات العراقية والتركية لمطاردة انصار خوشه وى تنظر «العالم العربي»،، ٤ اب و ١٩ و ٢١و ٢٢و ٢٩ ايلول ١٩٣٥)، بفضل كل هذه الاجراءات أصبح بالإمكان إحتواء حركة خوشه وى، ففي المعركة التي وقعت في الثامن من آذار العالم ١٩٣٦ تم اسر زوجة خوشه وى التي اشتركت في جميع المعارك جنباً الى جنب زوجها، وبعد أقل من اسبوع قتل خليل خوشه وى ايضاً، ولكن مقاومة انصاره استمرت حتى اواسط نسيان العالم نفسه (تنظر «العالم العربي» ١١ نيسان ١٩٣٦).

وكانت تسمى (چته). وكنا نقوم بتجميع سكان عدد من القرى في قرية واحدة ونضع ربية عسكرية في المجمع لأسباب الامن والسيطرة على المنطقة وبالتالي قطع المؤن عن خليل خوشه وي وجماعته، ومما اذكر انه كان معي من الضباط الملازم نامق مصطفى آمر السرية والملازم عبدالوهاب علي (مقدم لواء) والملازم عبدالكريم فيصل. وبعد فترة تم تعييني آمراً لحامية پيران، وكنا قد جمعنا القرويين في هذه المنطقة ايضاً.

في الحقيقة كنت اشعر بالحالة المزرية للناس البسطاء والمساكين هناك، فأخذت أوزع عليهم الارزاق المخصصة لي من حسابي الخاص عندما ازورهم، مثل السكر و الشاي من دون تسجيل وزيادة على ما هو مخصص للجيش.

وبسبب موقفي من أهالي المنطقة وتعاطفي معهم بوصفي كردياً، أُبلغ عني بأني استبدل الارزاق الجافة التي كانت متوافرة لدينا كالرز والعدس والحمص بالخضروات التي كانت تزرع في المنطقة على أساس الفائدة المتبادلة للطرفين، وكنا بحاجة الى هذه الخضر، إلاّ ان عملية المقايضة هذه سجلت علينا وعدّت مخالفة. وعلاوة على ذلك مَنعتُ منعاً باتاً إعتداء أي عسكري على الاهالي او الدخول في بساتينهم، كما طلبت من الاهالي فتح مخازنهم ودكاكينهم لبيع منتجاتهم الزراعية لنا نحن العسكر، ففرحوا بهذا المشروع كثيراً وكسبت ودهم.

وكان من الطبيعي ان لايغض النظر عن الاخباريات والوشايات ضدي، فبعد فترة تسلمت امراً بإحالتي الى المجلس العرفي من خلال برقية تقول: «سلم الحامية الى الملازم داود النعمة وعد معه الى شيروان مازن»، ولكن المرحوم امين رواندوزي بعث لي برسالة، وكان آنذاك برتبة نقيب (رئيس) وآمر سرية يخبرني بأن أحذر، لأنهم سيحققون معي حول المؤن الى الشقاة (كذا).

وصل الملازم داود النعمة عصراً وكنت قد تهيأت للتحرك الى شيروان مازن. ولما حلّ الظلام جاءني رجل اسمه عبدالله بك، وهو من رؤساء عشيرة شيروان، أشار لي بيده، فعرفته أنه يريدني في أمر ما على جانب من الخطورة. اقتربت منه فقال لي: «ان احمد بيدود[١] وغيره من المقاتلين من جماعة خليل خوشه وى يريدون اللقاء بك» وكان لأحمد بيدود هذا وزنه بين رجال الحركة الكردية أي حركة خليل خوشه وي، قال لي: «انهم ينتظرونك عند النبع بجانب المقبرة».

---

(١) نسبة الى قرية بيدود القريبة من ميرگەسور التي كانت ضمن منطقة الحركات العسكرية.

فكرت مع نفسي: «هل اذهب؟ فان ذهبت فان الجنود انفسهم سيصبحون شهوداً علي ويعتقدون بأني على صلة بالحركة وانا ضابط الجيش، واذا لم اذهب فهذا أمر معيب في عرفنا الكردي». فسألت عبدالله بك هل يأتي معي؟ أجاب بالنفي لخشيته من مغبة مجيئه. ثم فكرت في ان اصحب معي بعض الجنود للحراسة، فتخليت عن هذه الفكرة ايضاً، لأني خشيت ان يصبحوا شهوداً علي ايضاً. ثم قررت قراري الاخير وهو ان اذهب الى الملتقى وحدي. حملت مسدسي معي وسرت لمسافة كليومتر تقريباً، حتى وجدت احمد بيدود ينتظرني في جنح الظلام فسلمت عليه وحاولت ان اناورهم، فقلت لهم: «انكم مطوقون بالجيش الآن»، فقال: «منذ ان خرجت من المعسكر حتى وصولك كان يراقبك اثنان من جماعتنا من دون ان تدري». سألته عما يريد مني، قال: لقد جئنا لنسلم انفسنا على شرفك وشرف الحكومة. علما انه منذ اكثر من سنة كان من المستعصي جداً ان يستسلم احد. وكانت بحوزتهم بعض البنادق. فكرت ما الذي يمكن ان اعمل في تلك الليلة. فطلبت منهم ان يحملوا بنادقهم فحملوها. ثم ناديت عبدالله بك فأعطيته نقوداً لسد نفقات اولئك الرجال، وتأمين طعامهم ريثما اعود الى الحامية لدراسة الموقف. فاذا تمت الموافقة فسأرسل أحداً لإبلاغهم وستكون كلمة السر باللغة الكردية (بهخێر هاتن)، أي قدمتهم خيراً، اشارة الى حصول الموافقة، وتسليم انفسهم وان الموقف في مصلحتهم. اما اذا كانت كلمة السر (هەر ماون لێره)، أي: هل مازلتم هنا، فان معناه عدم حصول الموافقة، وليس لهم الا الهروب حالاً: لأن الجيش سيباغتهم ويحاصرهم.

بعثت ببرقية الى قيادة شيرباز وكان اللواء محمد امين زكي باشا قائد شيرباز. اما المجلس العرفي فكان برئاسة العقيد اسماعيل حقي آغا. وكان المقدم الركن فهمي سعيد مقدم اللواء في مقر قوة شيرباز، فاخبرت القيادة في برقيتي ان احمد بيدود مع عدد من الاشخاص يريدون تسليم انفسهم مع اسلحتهم على شرفي وشرف الحكومة، وعند حصول الموافقة ارجو اخباري بذلك، واني وضعت شروطاً في البرقية على النحو الآتي:

ماشروط عفوكم عنهم؟ في حالة العفو عنهم اين سيسكنون؟ عند عدم حصول الموافقة ارجو اخباري بذلك. اما اذا وافقتم على العفو، ثم نكثتم العهد لأي سبب فأرجو اعتباري احد رجال خليل خوشه وى.

في الواقع كان كل من امين زكي واسماعيل حقي آغا وفهمي سعيد رحمهم الله ضباطاً على جانب من الحنكة والتفهم والانصاف. فبعد نصف ساعة تسلمت جواب برقيتي، مؤداها انهم شاكرون لهذا الموقف، فما دام هؤلاء الرجال عازمين على الاستسلام على

يدك و على شرف الحكومة فهم على استعداد لإسكانهم في اي مكان يختارون مع تأمين حياتهم وتقديم كل المساعدات الممكنه لهم شريطة تسليم السلاح اولاً. فأرسلت للتو في طلب عبدالله بك اطلب منه ان يذهب الى احمد بيدود وجماعته ويقول لهم: «بخيرهاتن» وبعد اقل من ساعة وجدنا عدداً من الرجال المسلحين يصلون المعسكر، ويدخلون، فدهش الضابط داود النعمة ومن معه من الجنود من دخول هؤلاء (العصاة) المعسكر. قلت للملازم داود الذي جاء ليرافقني بالاساس الى شيروان ويتسلم مني المعسكر بسبب التقارير المرفوعة عني، قلت له مازحاً: «ان هؤلاء الاكراد ايها الملازم انما جاءوا لحراستي».

بعد نصف ساعة وصلت برقية اخرى تشكرني وتقول:

«اعتبر موضوع استقدامك الى شيروان ملغى، نرجو البقاء في مكانك وحاول الاتصال عن طريق هؤلاء الرجال الذين سلموا أنفسهم، بالآخرين من زملائهم لكي يستسلموا ايضاً».

قلت لداود النعمة: «انت ستسافر غداً، واني آتي معك»، فتعجب من الموقف وبيّنت له الوضع الجديد. وقد تم تعيين وتشغيل المستسلمين، وهكذا جاء الآخرون ايضاً وبدأت المنطقة تعيش في أوضاع هادئة نسبياً.

وعندما حل الخريف، شعرنا ان الجبهة تتقلص والغيت قوة شيرباز وعادت الوحدات الى معسكراتها. اما انا فبقيت في ميرگه سور مع الفصيل، وعين معاون الشرطة حمزه شاسوار آمراً لمفارز الشرطة. اما مدير الناحية فكان أمين افندي من أهالي كركوك.

ولما حلّ الشتاء تسلمنا برقية فيها تعليمات حول سير العلاقة بيننا وبين الشرطة والادارة في المنطقة، اذ تقول التعليمات: «اذا وجد ضابطان في المنطقة احدهما من الجيش والآخر من الشرطة فالمسؤول الاول يكون من الجيش والآخر يكون معاوناً ادارياً له اذا كانت رتبته اقل من رتبة رائد. اما اذا كانت رتبة ضابط الشرطة برتبة رائد فما فوق اي (مدير الشرطة) فإنه يصبح هو المسؤول الاعلى ويصبح ضابط الجيش الذي دونه في الرتبة العسكرية معاوناً عسكرياً له. اما اذا كانت رتبة ضابط الجيش رئيساً (نقيباً) فما فوق وجب بقاؤه قائداً عسكرياً (المسؤول العسكري الاول) في المنطقة.

لقد اصبحت انا المسؤول العسكري الاول واصبح حمزة شاسوار المعاون الاداري لي. ثم تسلمنا برقية اخرى من شرطة ناحية كاني ماسي تعلمنا ان خليل خوشه وي ومعه بعض

الرجال سيعبرون من نهر الزاب الأعلى وقد رأوا راعياً وطلبوا منه قراباً لإستخدامه للعبور. وعند ذهاب الراعي لجلب القراب اخبر الشرطة عن مكان خليل خوشهوي. وعند محاولته العبور من النهر اطلق عليه الرصاص فقتل. واني لم اشترك في هذا الحادث. فقد وصلتني برقية تسألتي: «هل اشتركت فعلاً في قتل خليل خوشه وى؟» اجبت بالنفي، لأني في الحقيقة لم أذهب بنفسي لمباشرة العملية. وعندما جاءت برقية مماثلة الى حمزة شاسوار تسأله عن اشتراكه الشخصي في مقتل خليل خوشه وي، اجاب: «نعم!» فرفع الى رتبة رئيس تقديراً على عمله.

وكان يضحك مني ملء شدقيه لأني اجبت بصدق. في الواقع ان حمزة شاسوار نفسه لم يشترك في قتل خوشه وي، وانما اجاب كذلك طمعاً في الحصول على تكريم (كذا) وفعلا حصل على ما يريد.

ولعل القارىء الكريم يسأل عما دار بيننا من احاديث؟ نعم لقد تحدثنا عن ايام القتال واذكر انني كنت قد سمعت مرة أنهم ذبحوا عجلاً في قرية بيدود، فاتجهنا الى القرية التي ينتمي اليها احمد بيدود، ولكننا عندما وصلناها لم نجد احداً في القرية، فجلسنا على النبع، وقلت لأحد الجنود ان يجني لنا عنباً. فوضعنا العنب في النبع. وكان الليل مقمراً تماماً، والحقيقة انه لم يكن يسمح لنا بإخراج مفرزة ليلاً... اكلنا العنب وعدنا الى موقعنا في قرية پيران. وبعد ان سلم احمد بيدود نفسه عرفت منه اننا كنا مطوقين تماماً، وان رجاله كانوا قد حاصرونا على شكل طوق، ولكن احمد منع رجاله من اطلاق النار علينا حتى انتهينا من اكل العنب فعدنا الى المعسكر. ولو اراد احمد بيدود آنذاك ان يبيدنا لإستطاع ذلك بسهولة... ولكن تصرفاتي كما اعتقد في المنطقة وعدم اعطائي المجال للجنود ان يقوموا بالاساءة الى اهاليها، هما اللذان اكسباني ودهم وتقديرهم لي، فلو حلّ غيري على النبع في ذلك الليل لمزقته بنادقهم.

ومما اذكر ان عمر علي كان آنذاك برتبة ملازم اول، وكنا في فوج واحد. وكان اقدم مني. وعندما اراد الاتجاه نحو (خيره زوك) كان يريد وضعي في منطقة پيران ليواصل هو السير الى خيره زوك. وكان هو القائد؛ لأنه اقدم مني كما ذكرت. وصلنا جبل پيران وكنا نعتمد الحيوانات في نقلياتنا، وضاعت اربعة بغال لنا محملة بالبطانيات خاصة بـ (عمر علي). وطبيعي ان وراء هذا الضياع مسؤولية كبيرة... رجاني ان ابقى هناك، ليأخذ هو حظيرة معه للبحث عن البغال الضائعة، فذهب عمر علي ولكنه تأخر كثيراً

واستبطأت عودته، فناديت أقدم عريف واخبرته اني قلق على عمر علي فأوكلته مسؤولية الفصيل؛ لأني قررت الذهاب للبحث عن عمر علي وجماعته، الحقيقة اني كنتُ ضابطاً مغروراً، فذهبت بمفردي، وسلكت طريقاً وعرة، وليس معي سوي مسدس، حتى عثرت على عمر علي. وبعدها وجدنا البغال من بعيد، فكلفني ان اذهب الى پيران ريثما يعود هو بالبغال. حقاً خجلت ان اطلب منه اعطائي اثنين من الجنود المسلحين؛ اذ كان في معيته اربعة جنود مسلحين. وقد بدأت للتو اشعر ان الطريق غير آمنة، فأحسست ان المقاتلين يرمونني بالحجارة ويستهدفونني، غير اني رددت عليهم بإطلاق النار من مسدسي، وقابلوني باطلاق النار، وكان بإمكانهم قتلي لو ارادوا، وأنا وحدي.

وعندما لحقت بالفصيل تحركنا نحو پيران. وبعد وصولنا سألني عمر علي عن صوت الاطلاقات التي سمعها، فحدثته عما جرى في طريق العودة.

اوفد عمر علي الى الهند في دورة خاصة، فحل الملازم الاول كريم فيصل محله في خيره زوك، وبقيت انا آمراً لربية پيران. ومما اذكر ان منطقة عسكرية تركية كانت تقابلنا على الحدود العراقية التركية، وكان آمر الجندرمة اسمه مظفر بك. فقد ارسل لنا مظفر بك هذا رسالة تعبير عن رغبتهم في زيارتهم لنا ففرحنا به، وكان وضعنا جيداً بالنسبة للأغذية، ولدينا الكثير من الغذاء الجاف. ولقد كنت ضابطاً يحب الاناقة والاهتمام بملابسه، فطلبت من افراد الفصيل ارتداء احسن ما لديهم من الملابس وملابس التفتيش وكذلك طلبت من (جورج زيا عكام) متعهد حانوت الفوج ان يجلب المشروبات والمعلبات واعطيته النقود من حسابي الخاص. واذكر انه كان لدي حاكٍ واسطوانات كثيرة. وعندما وصل مظفر بك مع جنوده استقبلناهم بحفاوة بالغة. وفي المساء اعاد جنوده الى حيث اتوا وابقى معه اربعة منهم فقط. وسهرنا سوية ليلة عندنا في المعسكر، وتحدثنا احاديث عامة، وهو يستفسر عن الاسعار مثل الحاكي الذي اعجب به وبدا له دليلاً على الغنى والثراء. ثم لم يلبث ان اخذ يتحدث عن وضعهم المزري. والحقيقة انهم لم يكونوا في وضع جيد، ملابسهم مهلهلة، هندامهم غير منظم.

ظهر ان مظفر بك كان من زملاء الفريق صالح الجبوري اذ جمعتهما الدراسة العسكرية العثمانية، وعندما اعدت زيارتهم في معسكرهم بعد فترة اطلعت على بساطة وضعهم... لكنه قدم لنا الغذاء من زبدة وعسل فقط، والزبدة والعسل من الاهالي طبعاً، اي من القرويين الكرد القاطنين قرب المعسكر.

ومن الطريف ان اذكر لمناسبة الحديث عن خليل خوشه وي، موقفاً مضحكاً بالرغم مما كان ينطوي عليه من خطر. فقد تسلمنا خبراً في پيران ان جماعة خليل خوشَوي اخذوا يتجمعون في منطقة ما، فاستصحبنا حظيرة من الجنود فجراً وتحركنا في اتجاه قمة پيران.

وما ان توغلنا قليلاً حتى انهالت علينا الحجارة وحسبنا ان جماعة خليل خوشة وي هم الذين يقذفون علينا الحجارة الضخمة ويدحرجونها بحكم موقعهم في الاعلى، ولكن لم نلبث ان اكتشفنا ان الدببة هي التي كانت تدحرج الحجارة وترمينا بها.

فسدّدنا اليها البنادق. اذكر ان احد الدببة اتجه نحوي مهاجماً، فلو لم يسارع احدهم بإطلاق الرصاص عليه من الوراء لما نجوت منه، وبعد صرع الدب اخذناه الى المعسكر وسلخناه، ثم ملأنا جلده ملحاً وتبناً اي حنطناه ووضعناه في بوابة المعسكر. وكانت الكلاب تخشاه. ولما زارنا محمد امين زكي باشا اعجب به فأرسلته اليه هدية.

ومما يتصل بهذه الفترة الزمنية من حياتي اني لم اكن يوماً ما سياسياً ولم اكن انتمي الى حزب ما، إلاّ ان حزباً تأسس في الثلاثينيات، وهو حزب هيوا، فلقد انتميت اليه فترة من الزمن[١] وكان اول وآخر انتماء حزبي لي في حياتي. شهدت الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية وابان الحرب ايضاً نشاطاً سياسياً كردياً في تركيا والعراق وايران. واتخذت بعض هذه الانشطة لنفسها طابعاً مسلحاً علاوة على ظهور تكتلات سياسة كردية ذات طابع قومي تسعى الى ضمان حقوق الشعب الكردي. ومن هذه الكتل السياسة التي بدت كتنظيمات سياسية (كۆمەڵەی برایەتی او جمعية التآخي ١٩٣٨). وكان هذا التنظيم برئاسة الشيخ لطيف، نجل الشيخ محمود البرزنجي. لقد اوضح رجال الكتلة او الحزب اهدافهم القومية الكردية الصريحة[٢].

(١) هيوا– الامل– اسس في حدود العالم ١٩٣٨، عقد مؤتمره التأسيسي في كركوك، ثم امتدت فروعه الى بغداد واربيل والسليمانية وغيرها، ضم في صفوفه حوالي ألف وخمس مئة عضو، من ابرز زعمائه رفيق حلمي والشاعر يونس رؤوف (دلدار) والدكتور مكرم الطالباني وصالح الحيدري، كما ضم عدداً من الضباط الكرد. ادى دوراً ملموساً في حياة الكرد السياسية.

(٢) ظهرت «كۆمەڵەی برایەتی» (جميعة الأخوة او التآخي) في السليمانية قبيل الحرب العالمية الثانية. كانت لها ثلاثة فروع توزعت على بغداد وكركوك وكويسنجق، ادت دوراً متواضعاً في حياة الكرد السياسية.

وفي ١٩٣٩ ظهرت نشاطات صحفية كردية ثقافية كان طابعها الغالب قومياً، فالتف حول مجلة «گەلاويژ»[١] العديد من المثقفين الاكراد تحدوهم روح قومية تقدمية متحمسة. هذه الظروف مجتمعة، اي ظروف ١٩٣٨ ونشاط الصحافة الكردية في اعتقادي ادت دوراً في دفع عدد من الضباط الاكراد والمثقفين الى تأسيس حزب كردي سري باسم هيوا أي (الامل) والحقيقة كانت بداية هذا الحزب بداية ضعيفة، بيد أنه كان جريئاً في طروحاته القومية والتقدمية مما جعله يتطور بشكل سريع واصبحت له قاعدة واسعة في كردستان وانتمى إليه عدد كبير من العسكريين ضباطاً وضباط صف وكذلك الكثير من ذوي المهن المختلفة من أطباء ومهندسين ومدرسين ومن ذوي الحرف المختلفة ورؤساء العشائر واتسعت رقعة نشاطه لتتجاوز الساحة العراقية الى ايران وتركيا وسورية، وبدأ يقيم الإتصالات مع الكتل السياسية الكردية هناك بغية تنسيق العمل السياسي، وقد اصبح المرحوم رفيق حلمي رئيساً لهذا الحزب، فاتسم نضاله بالاضافة الى الدفاع عن الشعب الكردي والاهداف القومية له في كردستان بمجابهة النزعات الشوفينية اي النازية. ويبدو لي ان التطور الذي اصاب الحزب ونشاطه لم يرق الاستعمار الذي كان مهيمناً في تلك الفترة على مقاليد الأمور في العراق. فبدأ يعمل على خلق صراع بين اليساريين واليمينيين من أعضاء هذا الحزب حتى ان الخلاف بينهم وبين قادته اصبح واضحاً لايقبل الكتمان والتغطية، وبذلك بدت الإنهيارات من الداخل التي انعكست في الكونفرانس الذي انعقد في كركوك شباط ١٩٤٤. على أية حال لا أود الإطالة في هذا الموضوع، ولكني اردت فقط إعطاء فكرة عما اتذكره عن الأوضاع التي سبقت وواكبت قيام الحزب الذي انتميت اليه في حينه.

الحقيقة اني دخلت الحزب أي حزب هيوا عن طريق المرحوم الضابط الشهيد، عزت عبدالعزيز، وكان قد انتمى الى الحزب آنذاك مجموعة من الزملاء الضباط الاكراد، مير حاج ومصطفى خوشناو ورشيد جودت. ومن المدنيين كاكه حسين خانقاه وشقيقه كاكه حمه خانقاه وآخرون.

---

(١) گه لاويژ(نجمة الشعرى) أفضل مجلة صدرت حتى الآن في تاريخ الصحافة الكردية. صدر عددها الاول في كانون الاول ١٩٣٩، وعددها الاخير في آب ١٩٤٩، كانت تطبع في بغداد، صاحبها ومديرها المسؤول ابراهيم احمد، ورئيس تحريرها علاءالدين سجادي.

الفصل الرابع

شذرات من ذكرياتي في عهد ما بعد الملك غازي

ثورة مايس ١٩٤١

لاشك ان ثورة مايس من حيث المبدأ كانت حركة جريئة لمناهضة السياسة الاستعمارية والتدخل البريطاني في شؤون العراق الذي أصبح لايطاق، كما انها كانت محاولة لتطهير العراق من اذناب الاستعمار الذين اصبحت مقاليد الحكم في أيديهم، وهم يدينون بالولاء للسفارة البريطانية اكثر من ولائهم لدولتهم ووطنهم العراق؛ لذا وجدنا الشعب بعربه وكرده مع هذه الثورة وكانوا مستعدين للتضحية من اجلها بالروح والمال.

في الحقيقة ان ثورة مايس كانت تمثل قمة التحدي لواحدة من أعظم دول العالم وهي بريطانيا. لقد اصبح الوصي في حالة يرثى لها نتيجة التدخل السافر في شؤون العراق عسكرياً ومدنياً، فما ان قامت الثورة حتى هرب الى الديوانية، ثم عاد الى بغداد ليهرب ثانية الى الحبانية، ثم هرب الى البصرة وغادر الى خارج العراق، فعاد ودخله بحماية القوات البريطانية، وتحولت السفارة البريطانية ملجأً للعملاء. فقد احتمى بدار السفارة البريطانية عدد من الجالية البريطانية وبعض الاشخاص العراقيين ممن كانوا يخشون العقاب، كما احتمى البعض بالمفوضية الامريكية، ثم أُجلي الاطفال والنساء من البريطانيين الى الحبانية، ثم الى البصرة، ومن بعد الى خارج العراق. وكذلك هربت بعض الشخصيات السياسية مثل نوري السعيد وداود الحيدري اللذين هربا الى فلسطين، حين كان عبدالاله وجماعته قد هربوا الى هناك. هذا ماكنا نسمعه عن بغداد ونحن في البصرة حين كنا قد عسكرنا في معسكر الشعيبة، والناس في حالة هياج والادارة ضعيفة وغير جريئة في تنفيذ اوامر الثورة، ثم لم تلبث البصرة ان اصبحت من دون متصرف؛ لأن آمر الحامية، العقيد رشيد جودة اعتقل المتصرف صالح جبر وارسله الى بغداد مخفوراً فقامت على ارادتها هيئة وجهاء المدينة التي استطاعت من بُعد، اعادة الهدوء النسبي اليها.

وعندما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني كنت مساعد آمر الفوج في اللواء الثاني في معسكر المسيّب، ثم تحرك فوجنا مع لوائنا نحو البصرة واستقر بنا المقام في الشعيبة، وكان آمر حامية البصرة يومئذ العقيد رشيد جودة. فقد طالب بعودة الجيش وعدم بقائه في البصرة بعد نزول الجيش البريطاني في البصرة كي لاتتأثر معنوياته، فلم يكن سهلا ان نجد القوات البريطانية معسكرة أمام الجيش العراقي، فتحركنا نحو المسيّب.

على أي حال كنا قد اتخذنا لأنفسنا مواضع داخل البساتين في المسيّب كقوة احتياطية. ومما أذكر ان طائرتين حامتا فوقنا، احداهما واطئة تماماً فرميناها واصبناها، فسقطت، إلاّ اننا لم نقترب منها؛ لأنها إنفجرت بما فيها من عتاد. وكانت الطائرة من نوع

(ولنكتن). وقد وجدت احدى النسوة من اهالي المنطقة تعض على اصابع الطيار الذي كان جثة هامدة، وتلفظ الاصبع من فمها وتأخذ الخاتم الذي كان يطوق اصبعه. كما اتذكر ان احد ضباط الطائرة قد احترق ظهره وقد وجدنا في جيبه رسالة الى زوجته يخبرها بالعودة سريعاً حيث ستبدأ إجازته.

بعد أحداث مايس (١٩٤١) تقرر نقل اللواء الثاني الذي كنت أعمل فيه من المسيّب الى معسكر الرشيد، وكان العقيد جميل فتاح آمر اللواء. وبعد فترة قصيرة يبدو ان تململاً بدأ يُذرّ قرنهُ في كردستان بقيادة المغفور له الشيخ محمود البرزنجي، فصدر أمر تحرك اللواء الى السليمانية. وقبل تحرك الفوج من المسيب تمردت احدى السرايا من اللواء الذي انتسب اليها في سدة الهندية. فقد أمرني آمر اللواء العقيد جميل فتاح ان اتدارك الموقف واعيد السرية المتمردة الى اللواء، علماً ان السرية لم تكن ضمن فوجي.

اوصلتني سيارة الى سدة الهندية، واذا بالسرية في هياج والناس يخرجون ويطلقون الرصاص، وكان آمر السرية قد تخلى عنهم وهرب الى معسكر اللواء، وكان اسمه الملازم ادور عبدالاحد. فوجدت هناك حصانه فما كان مني إلاّ ان امتطيته واطلق بكل ما اوتيت من قوة صفيراً اسكت الجميع فاصدرت الايعاز: «السرية على صفين امامي تجمع». وفعلاً تجمعوا. ثم اعطيت الايعاز: «استعد، تنكب سلاح، الى اليمين در! عادةً سر، رأساً الى المعسكر»، فأعدتهم، وكأن لم يحدث شيء في المعسكر، وبعد ان انتقل اللواء الى بغداد، ونقلت الى آمر سرية انضباط الفرقة الثالثة في معسكر الرشيد، واصبح السجن العسكري تحت امرتي، جيء بهؤلاء مخفورين الى السجن حيث عاملتهم معاملة طيبة، ووقفت الى جانبهم في المحكمة العسكرية بإعتباري الشاهد الوحيد في هذا الموضوع، مما أدى الى ان تقتصر عقوبتهم على أمور إنضباطية بسيطة بدل إعتبارهم متمردين.

في الحقيقة كانت نسبة الهروب من الجيش عالية في الأفواج احتجاجاً على قيام الهدنة وفشل حركة مايس وهروب قادتها الى ايران. ولم يكن قد اعيد تنظيمها بشكل جيد. على أية حال فقد تقرر نقل اللواء الى السليمانية، وقبل تحركه زار السيد وزير الدفاع نظيف الشاوي معسكر الرشيد، ثم زارة السيد رئيس اركان الجيش، اللواء الركن محمد امين العمري وابلغني ألاّ أسافر مع فوجي الى السليمانية، بل علّي أن أراجع مدير الادارة في وزارة الدفاع لتسلم أمر نقلي الى مكان آخر، وطلب من آمر الفوج بديلاً عني.

وبدوري راجعت اليوم التالي مقر رئاسة اركان الجيش وتسلمت أمر تعييني آمر سرية إنضباط الفرقة الثالثة كما اسلفت، وبقيت هناك فلم اذهب مع اللواء الثاني الى

السليمانية. وكان السجن العسكري في معسكر الرشيد الذي يرتبط بإنضباط الفرقة الثالثة ضمن مسؤولياتي، ولكن في الحقيقة ان الملازم الاول يوسف النقيب كان هو مدير السجن العسكري في معسكر الرشيد، وكان عدد الضباط المشتركين في حركة مايس ١٩٤١ كبيراً، وكثير منهم كانوا برتب عالية، وجيء بهم مخفورين لإيداعهم رهن التوقيف في وحدات اللواء في معسكر الرشيد، وكان هناك سجن ضباط الصف وهو ضمن السجن العسكري ومرتبط مباشرة بدائرتي.

كان معظم الضباط من أمرائي في الجيش وقسم منهم من أصدقائي، وكان من الطبيعي ان لا أتشدد معهم برغم التعليمات المشددة التي كانت تصلنا بشأنهم. كما كنت أشعر ان هؤلاء الضباط في الحقيقة يستحقون كل تقدير؛ لأنهم اولاً وقبل كل شيء ضد الاستعمار فكنت في أعماقي متعاطفاً معهم، فقد خصصت لخدمتهم مراسلين وخففت الحراسة عليهم وكأنهم نزلاء في فندق.

ومن الطريف ان المحكمة العسكرية طلبت استدعاء ضابطين من المتهمين لمحاكمتهما وهما كل من الرئيس الركن عامر حسك والرئيس حمود برجس السعدون فأخذتهما الى المحكمة ولكن المحكمة أجّلت وعند العودة، وكان الوقت مازال صباحاً، قالا لي: «نحن نحتاج الى ان نغتسل». فقلت: «اذهبا الى منزليكما واغتسلا هناك، وبإمكانكما تناول الغذاء والاستراحة، ثم العودة الى حيث انتظركما في مطعم غزال في رأس القرية في شارع الرشيد». في الحقيقة انهما ظنا في البداءة انني امزح معهما؛ اذ قالا" «كيف يمكن ان تسمح لنا بالذهاب ونحن متهمان بتهمة عقوبتها الاعدام وماذا لو هربنا ولم نعد؟». فقلت: «انا سأسمح لكما بالذهاب باسم الصداقة، اما اذا كنتما على هذه الدرجة من الضعف في القيم فبإمكانكما ان لاتعودا». وفعلاً ذهبا، ولكنهما حضرا حسب الموعد في الساعة السابعة مساءاً، وفي المكان نفسه، علماً ان حبل المشنقة لم يكن بعيداً عن رقبتيهما.

واذكر ان الرئيس الاول الركن محمد حسن الطريحي هرب من السجن بسبب الظرف المتساهل الذي وفرته للموقوفين، وقد شكل مجلس تحقيقي علي بسبب هربه. وبعد هروبه اضطررنا لتشديد المراقبة على الموقوفين(١).

---

(١) سمعت من الطريحي اكثر من مرة ثناءاً عطراً على صاحب المذكرات، واسلوب تعامله معهم ايام اعتقاله مع رفاقه بعد القضاء على انتفاضة العام ١٩٤١.

للطريحي مذكرات رائعة عن احداث تلك المرحلة، وعن دوره فيها انتهى من تسجيلها منذ سنوات ولم تنشر حتى الآن.

ولعل سائلاً يسأل عما اذا كان لي سابق معرفة بالضباط الأربعة الذين أُعدموا في عهد عبدالاله، وهم صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب. في الحقيقة لقد كان كامل شبيب صديق خالي ماجد مصطفى، وقد عرفته عندما كان مساعداً لآمر الكلية العسكرية، وكنت طالباً فيها. وعندما تخرجت ضابطاً وعملت معه كان يرعاني وكنت أشعر بمودته.

مع العقيد فهمي سعيد

اما علاقاتي بالعقيد فهمي فأنها اتسمت بطابع خاص، تجاوزت كثيراً حدود الرئيس والمرؤوس لأسباب عديدة فضلاً عن تواضعه الجم. عرفته لأول مرة اثناء حركات خليل خوشَوي التي تحدثت عن جوانب منها بشيء من التفصيل في الفصل السابق. كان المرحوم فهمي سعيد اثناء تلك الحركات مقدم ركن لواء في قوة شيرباز وانا كنت اعمل بأمرته بصفة آمر فصيل في فوج الحدود الثالث.

عندما وصلنا الى شيروان مازن تعسكرت السرية التي كانت انتسب اليها بأطراف السراي، اما مقر قوة شيرباز فكان داخل السراي نفسه. في إحدى الليالي تعرض السراي، وكذلك معسكرنا لرمي شديد ومتواصل من الجهات الأربع المحيطة بنا، فأرتديت ملابسي العسكرية في الحال واخذت معي رشاشة لويس الى سطح السراي لأحدد مصدر الرمي، فوجدت المقدم، فهمي سعيد وحده هناك، سألني من انت، اجبته فؤاد. سألني: «هل تجيد استخدام رشاشات الفيكرز، وكان عدد منها مثبتا في زوايا السطح، وهو يجيد استخدامها». قلت: «كلا سيدي، انني اجيد استخدام رشاشة لويس، واحمل معي واحدة منها». فقال: «ارمِ على الوميض، وانا ارمي بالفيكرز»...

وعندما كنا نحن الاثنين منهمكين في المقاومة صعد الى السطح آمر قوة شيرباز الزعيم احمد رشدي باشا، فارتاح كثيراً من الموقف.

دشّن ذلك الحادث بداية علاقات وطيدة بيني وبين فهمي، فكان، رحمه اللّه، يزورني في خيمتي باستمرار، او يأخذني معه للتمشي دون ان يولي فارق الرتبة بيننا اي اهتمام. وكان يتبسط معي في الحديث، خصوصاً بعد ان عرف بأن ماجد مصطفى هو خالي، وبأنني من السليمانية(١).

---

(١) «ولما كان فهمي سعيد يجيد اللغة الكردية، اضافة الى الفارسية والتركية، ولاعتزازه (بالسليمانية) المدينة التي ترعرع فيها، عرف بين اقرانه في (مدرسة الاعداد العسكري) باسم (محمد سليمانية)، =

وفيما بعد عرفت ان علاقة قرابة تربطنا ببعضنا[1]. انه تحدث لي بالتفصيل عن علاقته بماجد مصطفى، وعن انطباعاته عنه، خصوصاً، انهما درسا معاً في اسطنبول. كان فهمي سعيد جندياً وانساناً بكل معنى الكلمة، فتأثرت كثيراً لما آل اليه مصيره، وقد بقيت انا وخالي ماجد مصطفى نحتفظ بعلاقاتنا مع أولاده من بعد وفاته[2].

= الاسم الذي لازمه ايضاً في الجيش العثماني فيما بعد» (ينظر: نضر علي امين محي الدين الشريف، محمد فهمي سعيد وأثره السياسي والعسكري في تاريخ العراق المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص١٦).

(١) اما والدة فهمي سعيد، عائشة بنت محمد طاهر البشدري فهي سيدة كردية تنتمي الى اسرة القاضي المعروفة في السليمانية، وتلتقي في جدها الرابع او الخامس مع اسرة ماجد مصطفى وعثمان فائق مصطفى واللواء المتقاعد فؤاد عارف، وظلت حتى النهاية تتكلم العربية بصعوبة، وبلكنة كردية واضحة (ينظر المصدر نفسه، ص١٢-١٣).

(٢) تربطنا علاقات عائلية صميمة مع عائلة العم المرحوم ماجد مصطفى، اقتربت العلاقة من الانقطاع بعد اعدام والدي وانتقالنا من دارنا في الوزيرية، ولعدم وجود رجال في الاسرة عدا شقيقي المرحوم يعرب الذي كان لايتجاوز الاثني عشر عاماً، ولحرصنا على عدم اطلاع احد على اوضاعنا المعيشية الصعبة. تجددت العلاقة على مراحل حين قام اللواء المتقاعد فؤاد عارف برعاية شقيقي المرحوم يعرب فهمي سعيد عندما اصبح منتسباً لكلية ضباط الاحتياط، فقد تمتع بحمايته، اذ كان المرحوم يعرب نشطاً في المعارضة السياسية للنظام الملكي، كما اصر العم المرحوم ماجد مصطفى فيما بعد على انتدابي مديراً لشركة الهلال الصناعية التي كان من كبار المساهمين فيها ومديرها المفوض، واطلق يدي في ادارتها. وفي مجلس العم ماجد، وتحت رعايته الابوية وفقت في التعرف على العديد من رجال السياسة والمجتمع العراقي، منهم، على سبيل المثال لا الحصر، علي جودت الايوبي، ابراهيم الراوي والمؤرخ السيد عبدالرزاق الحسني، والعديد من رجال المجتمع الكردي، ومن الناشطين في القضية الكردية، وحصلت منه، ومنهم على كم وفير من المعلومات عن نشاط والدي ورفاقة في اول حياتهم الدراسية والعلمية بجانب معلومات هامة عن التاريخ السياسي والاجتماعي للعراق خلال سنوات حياة المرحوم العم ماجد مصطفى الحافلة، هذه المعلومات التي اتسمت بالصراحة والصدق والنزاهة التي كانت جزءاً لايتجزأ من شخصية العم ماجد وخلقه، ومن خلاله توثقت علاقتي بابن شقيقته، وقريبي اللواء المتقاعد فؤاد عارف الذي حصلت منه على معلومات لاتقل صراحة ونزاهة ورثهما عن خاله، ادام الله في عمره (فيصل فهمي سعيد في ٢٥ كانون الاول ١٩٩٤).

في شيروان مازن (١ حزيران ١٩٣٥) الواقفون من اليسار: الملازم عبدالوهاب علي و المقدم فهمي سعيد والملازم عبدالكريم فيصل و الملازم نامق مصطفى، الجالسون الملازم فؤاد عارف و مدير ناحية شيروان مازن رشيد صدقي

في شيروان مازن (شباط ١٩٣٥) الزعيم احمد رشدي ومدير الشرطة عبدالله عوني و الملازم
عبدالوهاب علي و الملازم فؤاد عارف و المقدم فهمي سعيد

الامير زيد يتدخل في حسم قضية لصالحي

في العام ١٩٤٤، وكنت لا ازال برتبة رئيس (نقيب) ذهبت للالتحاق بوظيفتي الجديدة في كركوك، حيث عينت معاوناً لآمر فوج حرس الفرقة الثانية، و اثناء السفر جاء بعض الاصدقاء لتوديعي في محطة القطار، وكان ضمن المودعين المرحوم شوكت عقراوي الذي كان يعمل آنذاك محاسباً في شركة الحياكة الاهلية، وكان خالي ماجد مصطفى قد أُجريت له عملية جراحية وكان راقداً في المستشفى خارج العراق، وبدا لي شوكت متجهم الوجه متألماً، فسألته عما به، فقال: «لقد كنت البارحة في دار نشأت السنوي وجاء ارشد العمري، الذي كان آنذاك وزير الخارجية ووزير الدفاع بالوكالة، وقد نال هذا من خالك وهو يذمه». وفي القطار بدأت افكر في هذا الموضوع وازداد انفعالي شيئاً فشيئاً؛ لأن خالي كان عزيزاً عليّ وهو بمثابة والدي، وكان مريضاً وبعيداً ولم يكن هناك من يدافع عنه فتناولت ورقة وقلما وبدأت احرر رسالة الى ارشد العمري وذكرت له في رسالتي، انني اقرب شخص لماجد مصطفى، وبما انه خارج العراق حالياً، وقد سمعت انك قد تطاولت عليه، لذا فاني سأجيبك نيابة عنه، فكتبت له رسالة قاسية، لايمكن ان يكتبه ضابط صغير لوزير دفاعه. ففي الصباح عندما وصلت كركوك توجهت الى البريد وبعثت بالرسالة الى ارشد العمري، وكان وزيراً للدفاع وكالة، وانا ضابط برتبة نقيب ووضعت اسمي وعنواني الكامل على الرسالة، ثم ذهبت لألتحق بالفوج الذي كان قد شكل حديثاً.

بعد ثلاثة ايام جاءني مرافق قائد الفرقة اللواء عباس فضلي واخبرني ان قائد الفرقة يطلبني، فذهبت، وما ان رآني حتى بادرني قائلاً: «ماذا عملت؟!».

قلت: «انا منهمك بتشكيل الفوج»، فقال: «اي فوج! انك كتبت رسالة الى معالي الوزير؟ أليس كذلك؟. قلت: «نعم!». واطلعته على حقيقة الأمر.

اتصل القائد حالاً بمعاون اركان الجيش الفريق اسماعيل صفوت هاتفياً وقال له بأنه يعترف بكتابة الرسالة، ثم أمرني بمراجعة الوزارة والتوجه الى بغداد فوراً. عرفت ان الأمر قد تأزم تماماً. ولكن ما العمل؟ فتوجهت الى بغداد ووصلت الشارع الذي يفضي الى وزارة الدفاع. ومصادفة، وقيل ان ابلغ الباب الرئيسي للوزارة وجدت سيارة تقف بالقرب مني تماماً، وسمعت شخصاً يناديني: «اصعد يافؤاد!»، فوجدت الامير زيداً في السيارة فركبت حالاً وكانت السيارة متجهة الى البلاط. حدثته بمشكلتي تفصيلاً، فما كان من الأمير زيد إلاّ ان اتصل بأرشد العمري هاتفياً، وقال له، هذا فؤاد، وقد وصل وهو آت ليقابلك حول

موضوعه، وهو عزيز علينا، وكان لهذه المكالمة الهاتفية اثرها الطيب في أرشد العمري.

قال لي الأمير زيد: «والآن اذهب يافؤاد لمقابلة رئيس أركان الجيش؛ لأن الوزير اكد لي بأنه كان غاضب عليك، والآن زال غضبه».

ولما ذهبت الى معاون رئيس اركان الجيش اللواء اسماعيل صفوت وجدته في حيرة من أمره، اذ قال: «والله انا حائر. البارحة طلبني معالي وزير الدفاع، ولما دخلت عليه وجدت بيده رسالة وهو يتمشى جيئة وذهاباً في الغرفة ويصيح: «اريد فؤاداً حالاً اسجنه، اريد ان اقتله! ولما سألته عما في الرسالة، قال لي: «لا استطيع ان اريك ماكتبه فؤاد عني...» حتى قلت له: «كيف تقتل فؤاداً! ان فؤاداً ضابط في الجيش العراقي، وليس (جاويش) بلدية وانت امين عاصمة وبإمكانك يا معالي الوزير ان تحاكمه ان كان قد اساء والآن وقبل قليل ناداني ويريد ان يعفو عنك، وقد تغير تماماً، واتصل بي مرتين، مؤكداً على الاستفسار عنك عماتريد وما لك من مطالب كي نحققها لك! حتى اخبرنا ان اخبرك، انه يحبك!»».

ثم سألني معاون رئيس اركان الجيش قائلاً: «ماالقصة؟» قلت: «والله ياسيدي لا اعرف! اخذت اجازة، وبعد ذلك نقلت الى الديوانية، وانا متثبت من أنه لولا لأمير زيد لكانت عقوبتي شديدة جداً». قال لي معاون رئيس أركان الجيش: «لا اريد ان تبقى في كركوك، فأي مكان تختار فإني انقلك اليه». فتم نقلي بناءاً على طلبي الى الديوانية كما قلت، معاوناً لآمر فوج الفرقة الأولى هناك.

ومن المواقف التي لا أنساها للأمير زيد وما قدمه لي من جميل صنعه، ان خالي ماجد مصطفى كان في تركية العام ١٩٤١. وعند عودته مع عائلته الى العراق احتجز في حلب وانزل من القطار وحده واعيد الى تركيا بينما ارسلت عائلته الى العراق. ويبدو ان السفارة البريطانية لم تكن ترغب في عودة خالي ماجد آنذاك بتهمة إجتماعه مع السفير الالماني لدى تركيا فون بابن. فذهبت الى الامير زيد واخبرته بالتفصيل بما جرى مع ترتب على هذا من إساءة في الحقوق الشخصية له ولأسرته، وهم مواطنون عراقيون.

فقال: «بما ان ماجداً خالك، فاني سأبذل كل جهدي من أجله، وغداً فاني مدعو عند السفير البريطاني دعوة غداء، سأقول له: «لن اتناول الغذاء عندك ما لم توافق على السماح لماجد مصطفى بالعودة الى العراق، وما عليك إلاّ ان تتصل بي بعد غد هاتفياً». وفعلاً اتصلت به. واذكر حتى يومنا هذا رقم هاتف الامير زيد وكان (٢٠).

قصتي مع جميل المدفعي

تسلمت موقعي مساعداً لآمر الفوج، وكان آمر الفوج العقيد أحمد عزت داود فقد توجه فوجنا نحو منطقة ميرزا رستم في محافظة السليمانية وحل الشتاء، وكان معنا عدد كبير من الخيول والبغال تقدر بحوالي ٢٥٠ دابة. فكانت بحاجة الى علف ولم يتقدم احد من المنطقة لبيع العلف لأن الاغوات في تلك المنطقة منعوا الفلاحين من بيعنا العلف واصبحت الحيوانات مهددّة بالموت.

اتصلت بخضر آغا، وهو ابن اخ عباس محمود آغا رئيس عشيرة بشدر، وكان خضر آغا هو مدير ناحية بنكرد آنذاك، واذكر انه لم يكن راضياً عن منصبه مديراً للناحية في الوقت ذاته». ذهبت مع خضر آغا الى آمر الفوج لإستحصال الموافقة ثم اصطحبته الى قرية جوم خركة حيث يقيم عباس آغا، نرجوه ببيعنا العلف (التبن) فوصلنا قلعة دزه وكان وكيل القائممقام حمزة شاسوار. وارسل هذا معنا شرطيين وذهبنا الى دار عباس آغا. وعندما فاتحناه بالغاية من زيارتنا ورغبتنا في بيعنا العلف اجاب بأن هذا أمر معيب ان نبيعكم العلف وانت ضابط في الفوج؟! فأعطانا ما نحتاج مجاناً، ثم ارسل يبلغ القرى المجاورة ويأمرها بأن يعطونا ما نريد من علف لحيواناتنا. وكنت اتحدث مع عباس همساً ومجاملة وكان هناك شرطي (عريف) قدم وشاية كاذبة الى حمزة شاسوار الذي قلنا عنه انه كان وكيلاً للقائممقام، واعتقد انه كان يرغب في ان يصبح قائممقاماً على اي حال.

اخبر بدوره المحافظ (متصرف) السليمانية بأن فؤاد عارف اتصل بعباس آغا في (چوم خركه) لإثارة المنطقة ضد الحكومة، واتصل المتصرف قدوره بوزارة الداخلية واتصلت وزارة الدفاع ولما عدت من قلعة دزه، وانا فرح بالنتائج التي حققتها حول تأمين العلف لبغالنا، قلت لآمر الفوج: «انا ذاهب الى السليمانية». والحقيقة كنت أنوي شراء بندقية صيد هدية لحمزة شاسوار تقديراً لمواقفه وإستضافته لنا، وأذكر اني ذهبت الى عزيز بك وكان يبيع بنادق الصيد، فقال: «لايمكن بيعك إياها ما لم تأت بورقة اجازة موافقة من مديرية الشرطة». فذهبت الى علي الحجازي، مدير الشرطة في السليمانية انذاك. ولما عرف الغاية من زيارتي ضحك وخابر آمر الحامية هاتفياً وسمعته يقول: «ان فؤاداً جالس هنا يطلب اجازة شراء سلاح، لأنه ينوي شراء بندقية صيد هدية لحمزة شاسوار». ثم طلبني آمر الحامية وحدثني هاتفياً (العقيد احمد عزت داود) ووجدت يقول منفعلاً:

«احضر حالاً في الحامية». ذهبت الى الحامية وقال لي: «الدنيا مقلوبة عليك، الداخلية والدفاع يريدونك». ثم قال: «ان مفتش الشرطة العام السيد درويش لطفي وكذلك ضابط ركن من الفرقة في طريقهما إلينا للتحقيق معك حول قيامك بإثارة العشائر في منطقة السليمانية والتآمر على الحكومة». وفي اليوم التالي وصل ضابط ركن من كركوك الى معسكر ميرزا رستم للتحقيق. وبعده وصل الزعيم درويش لطفي مفتش الشرطة العام وذهب الى قلعة دزه ليحقق حول موضوع ايضاً.

وكنت قد طلبت نقلاً الى السليمانية ووصل كتاب النقل مصادفة في ذلك اليوم، ثم وصلت برقية اخرى عصراً تقول: «يلغى كتابنا هذا وينقل الملازم أول فؤاد عارف الى مساعد الفوج الثاني اللواء السابع في البصرة» أي اصبح لدي ثلاثة أوامر نقل في يوم واحد.

سألت آمر الفوج، وقلت له ألم ترسلني بنفسك لتأمين العلف لحيواناتنا وقمت بتأمين العلف؟ فقال لي بلى: « ولكن لا ادري ما الموضوع؟» ثم سألته: «هل يمكن التحدث مع القائد الفرقة مباشرة؟» وكان قائد الفرقة يومئذ محمد امين زكي بك، ومقره في كركوك، وقد اصبح من بعد رئيساً لأركان الجيش.

اتصلت هاتفياً من الحامية وكان قائد الفرقة في النادي العسكري، وقلت له: «سيدي لقد تسلمت اليوم ثلاثة أوامر نقل ولا ادري ما الموضوع؟».

فوجدته مهتاجاً ويقول لي: «انت كلك مشكلات وفوضى». فأجبته طالباً ان يجري معي تحقيقاً: لأني لاأستطيع ولا أعرف كيف انفذ هذه الاوامر! ثم قلت له: «اذا اردت، سيدي فأمر بوضع الكلبجة في يدي وضعني في التوقيف ما دمت على هذه الدرجة من التقصير». وانتهت المكالمة بيننا.

وبعد ساعتين خابرني ضابط ركن الفرقة وقال: «انت مجاز لعشرة ايام وتعال الى كركوك» راجعت قائد الفرقة، وقال لي: «لقد وصلتني تقارير عنك ونقلتك بحسب صلاحيتي، الى الموصل. اما نقلك الى البصرة فلم يكن من صلاحيتي، بل من صلاحية وزارة الدفاع». ثم اضاف قائلاً: «ان الوزارة (مخبوصة) بشأنك وبشأن قضيتك، فاذا اردت فراجع رئيس اركان الجيش للاستفسار عن الموضوع، ولاتقل انك راجعتني».

وصادف في الليلة التي كنت فيها بكركوك ان اطلق الرصاص على مجيد اليعقوبي، متصرف السليمانية. ويشهد الله، لم يكن لي علم بهذا الموضوع، اي في الليلة التي تحركت

فيها نحو بغداد بالقطار. ثم راجعت صباحاً رئيس اركان الجيش، الفريق حسين فوزي وحدثته عن الموضوع، وقلت له: «اذا كنت مذنباً فلأحاكم واعاقب بما استحق، واذا كانت الوشاية كاذبة وظالمة فأرجو أن تأخذوا حقي من المعتدي»، ولكني وجدت رئيس اركان الجيش يتحدث عن زمن (العصمنلي) وذكرياته وإعجابه بالعهد العثماني. فقلت له: «سيدي انا لم اجئك لمقابلتك حتى تتحدث لي عن الزمن العثماني»، فقال لي: «يبدو انك لاتريد ان تصغي إليّ عندما اتحدث اليك، اذاً تفضل أخرجَ» فخرجت ولم اشرب الشاي الذي كان قد طلبه لي، وانا لم أكن إلاّ ملازماً اول. كان الزعيم الركن توفيق حسين الملقب توفيق اركان مدير الاستخبارات العسكرية العام، وكان يودني؛ اذ كان معلمنا في الكلية العسكرية، فراجعته، وقال لي: «ان وزارة الدفاع مشغولة بك في هذه الايام».

حدثته بالتفصيل عن الموضوع، وكيف ان مسألة إطلاق الرصاص على السيد مجيد اليعقوبي عقَّدت الموضوع أكثر. الحقيقة اني لم اكن ادري ماذا افعل وكيف اتصرف؟ ان جميل المدفعي قال لي في يوم ما عندما كنت مرافقاً للملك غازي: «اذا احتجت الى اي شيء يا فؤاد فراجعني». سألت مدير الاستخبارات العسكرية وانا جالس عنده، هل يمكن ان اتصل هاتفياً بمرافق جميل المدفعي وكان يومئذ رئيساً للوزراء ووزير الدفاع.. فعلاً اتصلت بمرافقه، الرئيس عبدالقادر ياسين التكريتي، وهو كان زميلي يوم كنت مرافقاً للملك غازي، وقد كان هو بدوره مرافقاً له ايضاً. طلبت منه مقابلة جميل المدفعي. بعد خمس دقائق خابرني قائلاً: «البك يگول هسه يجي». ذهبت فدخلت على المرافق، وكان في حضرته اناس ينتظرون دورهم في مراجعة رئيس الوزراء، إلاّ ان المرافق ابتدر بإدخالي عليه مباشرة، وكنت في غاية الانفعال، وبدأ حديثي معه انفعالياً، فنهض من كرسيه، وربت على كتفي قائلاً: «اجلس يابني»، فجلست، ثم نادى قائلاً: «جيبوله شربت زبيب» فبدأت أهدأ. وكان جميل المدفعي يتمشى في غرفته بينما انا جالس، ونادى ان يجلبوا لي القهوة ايضاً. كنت احدث نفسي قائلاً: «اني مجرد ضابط صغير، فما الداعي الى كل هذه العصبية في حضرة رئيس الوزراء؟ ومثل هذه الشخصية الكبيرة؟».

بادرني السيد جميل المدفعي قائلا: «ألم أقل لك يا فؤاد، راجعني في كل مشكلة؟» ثم سألني: «ما قصتك مع مجيد اليعقوبي؟». فقلت له، «والله ياسيدي لاعلم لي بمحاولة اغتياله، وكل ما هنالك اني كنت بصدد حل مشكلة الوشاية والنقل، وجاءت هذه المسألة لتعقد الموضوع اكثر ولا ادري لماذا؟». فقال: «اصدقك يافؤاد». ثم حدثته تفصيلاً عن السبب الحقيقي لذهابي الى قلعة دزه، وكيف استطعتُ الحصول على العلف لحيواناتنا

وهي مهددة بالجوع لإنقطاع المواصلات بسبب الشتاء، واقناع الناس ببيعنا العلف، فقال لي: «انه مقتنع بما اقول»، ثم قال: «لو لم أكن أنا هنا لآلت الأمور الى نتيجة سيئة بحقك». ثم سألني ماذا تريد؟ قلت: «اريد ان اعود الى السليمانية» إتصل المدفعي هاتفياً بنظيف الشاوي، معاون رئيس اركان الجيش؛ لأن رئيس اركان الجيش لم يكن موجوداً، وقال له: «ان فؤاداً ضابط جيد، ولا اريد ان يساء اليه»، فأرسلني اليه ولما راجعت نظيف الشاوي قال لي: «والله اني اعرف ان هذه التقارير المرفوعة عنك كاذبة، ومع هذا فراجع رئيس اركان الجيش»، فعدت اليه بعد ان كان قد طردني وبدا وكأنه قد تغير موقفه مني، مقتنعاً بأن التقارير لم تكن صادقة فنفذ طلب رئيس الوزراء وصدر الأمر على هذه الشاكلة:–

«يستخدم الملازم الاول فؤاد عارف المنقول الى مساعد آمرية الفوج الثاني، اللواء السابع غير الملتحق، آمر حامية السليمانية». وهذا ماجعلني لا أن أبقى في السليمانية فحسب بل ان يصرف لي (٣٥٠فلساً) يومياً باعتباري من غير ملاك هذه الحامية.

لذا اعتقد اني مدين لجميل المدفعي الذي لولا حسمه الموضوع لكانت النتيجة سيئة جداً؛ لان التقارير كانت سيئة ومزورة أساساً(١).

علاقتي بالضباط الاكراد الشهداء الاربعة

كانت علاقتي بقدسي وخيرالله اعتيادية(٢). اما عزت عبدالعزيز ومصطفى خوشناو

---

(١) عثرتُ على الملف الخاص بهذا الموضوع ضمن ملفات وزارة الداخلية في العهد الملكي، ينطبق مضمون وثائق ذلك بحذافيره مع كل ما يرويه صاحب المذكرات.

(٢) بعد القضاء على جمهورية مهاباد اضطر عدد كبير من كرد العراق اللاجئين الى هناك (حسب الاحصاء الرسمي ١٥٥٠ رجلاً و ١٦٨٦ امرأة و ١٣٢٩ طفلاً) الى العودة الى العراق، وكان بينهم اربعة ضباط هم كل من عزت عبدالعزيز وخيرالله عبدالكريم ومصطفى خوشناو ومحمد قدسي الذين اعتقلوا في الحال، وقدموا الى محكمة عسكرية أقرّت حكم الاعدام الصادر بحقهم غيابياً في أواخر العام ١٩٤٥، جرى تنفيذ الحكم صبيحة التاسع عشر من حزيران ٩٤٧ على الرغم من المظاهرات الصاخبة في مناطق كردية مختلفة للمطالبة بعدم تنفيذ الحكم، كما قدم أعيان الكرد طلباً بذلك الى شخص الوصي الامير عبدالاله الذي كان يقوم في حينه بجولة في الموصل واربيل. دفن كل من مصطفى خوشناو ومحمد قدسي في السليمانية، ودفن عزت عبدالعزيز في العمادية، وخيرالله عبدالكريم في اربيل. أثَّر اعدام الضباط الكرد الاربعة على سمعة النظام الملكي بين اوساط الرأي العام العربي. احتجت ضد اعدام الضباط الكرد احزاب الشيوعي العراقي والتحرر الوطني والشعب، وكان الاخير حزباً مجازاً يترأسه عزيز شريف.

فكانت تجمعني بهما صداقة حميمة، وكنت اعرف عزت قبل ان اعرف مصطفى خوشناو، كنا انا وعزت مثل أخوين ومن أسرة واحدة، لابل كان أعز علي من نفسي ومن اخي ووالدته مثل والدتي. كذلك خوشناو، لكن خوشناو كان أصغر منا سناً، فكانت صداقتي مع عزت اقوى. كنا نجتمع في النادي العسكري ونقضي أوقاتنا في جو من المودة وتبادل النكت وسرد الذكريات التي تثير جراحنا كلما ذكرناها. انهم كانوا، في غاية الطيبة والبساطة.

ومما اذكر ان مصطفى خوشناو عندما نقل العام ١٩٤٣ الى بغداد، كانت الايجارات عالية، وكان مرتبه قليلاً وهو برتبة ملازم. فكرنا سوية لتدبير سكن له؟ قلت له: «ان يذهب الى كمب الارمن وهو قريب من معسكر الرشيد». فقال «كيف يعطيني الارمن سكناً بينهم؟» قلت: «لاعليك. اني اعرف المختار هناك». وفعلاً كان المختار يحترمني كثيراً واسمه (أوانيس سمرجيان)، وهو في الاصل من تركيا وهرب وبقي عند جماعة من الاعراب، ثم اصبح قصاباً، ثم متعهداً لمطعم الضباط الانجليز حين كان الجيش في الحبانية، فتحسن وضعه المالي واشترى قطعاً من الاراضي وزعها على الأرمن المهاجرين واسكنهم وخدم بني قومه كثيراً. احبه قومه كثيراً ومازالوا يكنون له الاحترام ويذكرونه بخير. كنت في العام ١٩٤١ آمر سرية الانضباط العسكري للفرقة الثالثة في معسكر الرشيد وجاءني اوانيس سمرجيان مرة يشكو من محاولة بعض العسكريين من جنود الانضباط من التحرش بالعوائل الارمنية في كمب الأرمن قرب معسكر الرشيد، فقمت بتعيين بعض جنود الانضباط لمنع مثل هذه التحرشات فأصبحت المنطقة مصانة تماماً. شكرني كثيراً هو وجماعته من إخواننا الارمن وتوثقت الصداقة بيني وبينهم. قلت لمصطفى خوشناو ان يذهب الى السيد سمرجيان ويقول له بأنه من اقربائي ويريد سكناً. فذهب مصطفى خوشناو الى سمرجيان فأجابه بأنهم لايؤجرون المساكن الى غير الارمن، ومع ذلك فما عليه إلاّ ان يعود اليه، ريثما يدبر امره. فقد راجعني سمرجيان فقال بأنه لايرد طلبي، ولكن طلب مني أن ازكي مصطفى خوشناو تزكية سلوكية، فطمأنته من هذه الناحية باعتباره واحداً من اسرتي.

ومما اذكر بهذه المناسبة انني كنت في جلسة اخوية مع كل من مير حاج وفوزي صائب وفتاح شالي في العام ١٩٤٣، عندما استدعاني رئيس اركان الجيش، الفريق اسماعيل نامق، وسلمني برقية جاءت من التحقيقات الجنائية لأنفذ محتواها وكانت البرقية تقول

بالاستناد الى المعلومات الواردة الى التحقيقات الجنائية من مديرية شرطة اربيل أن هناك اموراً تمس أمن الدولة لدى كل من مصطفى خوشناو ومحمد صالح محمد، مما يقتضي تفتيش داريهما. وكان محمد صالح محمد في معسكر جلولاء، اما دار مصطفى خوشناو فكانت في كمب الارمن كما اسلفت. عندما علم مير حاج بمحتوى البرقية ارتبك كثيراً، خصوصاً فيما يخص دار محمد صالح محمد، وقال لي حرفياً: «إنه اذا فتشت الدار فلسوف يعثر على اشياء ومستمسكات خطيرة». فما كان مني إلاّ ان ارسلت برقية الى العميد الركن توفيق حسين، وكان من خيرة الناس، تربطني به علاقات طيبة منذ كنت طالباً في الكلية العسكرية، حيث كان يدرسنا مادة التاريخ العسكري وأحبني منذ ذلك الوقت. كما كنت اكن له احتراماً كبيراً. طلبت في البرقية عدم تنفيذ مضمون برقية التحقيقات الجنائية الى حين نتأكد من اسم محمد صالح محمد بالتحديد؛ لأن في الجيش العراقي عدداً كبيراً من الضباط ممن يحلمون الاسم نفسه. لكن ذلك لم يعبث الاطمئنان في نفس المرحوم مير حاج؛ لذا اتصلت هاتفياً بالمرحوم توفيق اركان، وقلت له: «سيدي ارجو ان تهتم بمضمون برقيتي وان لاتسمح بتفتيش دار محمد صالح». فقال لي بلطف: «يابني فؤاد! افهم قصدك وكن مطمئنا فاني لن اسمح حتى لشخص رئيس اركان الجيش، او حتى لشخص وزير الدفاع ان يقوموا بتفتيش داره إلاّ بعد ان ترد لي برقية منك بهذا الخصوص». حينذاك استعجل مير حاج بالسفر الى جلولاء. وبعد ان رتبت الامور بعثت ببرقية اخرى ابين فيها ان المقصود من برقية التحقيقات الجنائية هو الملازم الاول المهندس محمد صالح محمد، فلما اجري التفتيش لم يجد المفتشون في داره اي مستمسك فمر الأمر هكذا بسلام.

اما بالنسبة لمصطفى خوشناو فقد طلبت من السيد فوزي صائب ان يخبره بأن داره معرضة للتفتيش. وحين ذهبت التحريات الجنائية مع ممثل الانضباط العسكري يأخذ المختار لتفتيش دار مصطفى خوشناو شاغلهم المختار (سمرجيان) واخبر مصطفى خوشناو سراً قبل التفتيش أن يخفي ماعنده من ممنوعات. وفعلاً لم يُعثر على شيء في داره.

وأود لهذه المناسبة ان أبّين ان التحقيقات الجنائية العراقية كانت يومذاك مؤسسة نشطة للغاية وهي على الرغم من صغر حجمها فان البريطانيين كانوا يشرفون على اعمالها ويساعدونها كثيراً. وقد صادف مرات اخرى كثيرة ان تعرض العديد من الضباط

المنتمين الى اتجاهات فكرية مختلفة، ومنهم الضباط القوميون العرب الى حالات مشابهة لتلك التي رويتها، فكنت اتصل بهم واخبرهم بكل مايرد عنهم من التحقيقات الجنائية، وقد أدى ذلك الى توثيق علاقاتي بالعديد من الضباط الذين كانوا من اتجاهات مختلفة، وانني لم اكن اسمح بتفتيش دورهم إلاّ بعد ان اطمئن كلياً من سلامة موقفهم.

مع خريجي كلية الاحتياط

في العام ١٩٥٦ كنت آمر فوج التدريب في معسكر المنصور برتبة عقيد، فنقلت من هناك الى كلية الاحتياط التي كانت قد أسسّت في ذلك العام في معسكر الرشيد. وكان آمر الكلية الزعيم الركن حميد سيد عمر، وكانت الكلية تشمل فوجين، الأول خاص بخريجي الكليات، وكنت آمراً له، اما الفوج الثاني فكان خاصاً بخريجي المعاهد ودور المعلمين، وكان آمرهم العقيد عبدالكريم فيصل الخزرجي.

وكان الوضع السياسي الداخلي للعراق يومئذ مرتبكاً غير مستقر، وكان لإذاعة صوت العرب دور كبير في تصعيد واذكاء روح الحماس الوطني وتشجيع المعارضة وبخاصة في أوساط الشباب المتحمس. وكانت السلطة الحاكمة قد قامت بتشكيل دورات عسكرية لطلبة يعتقدون ان كلية الاحتياط ما هي إلاّ امتداد لتلك الدورات التي لم تكن في الحقيقة الا معسكرات اعتقال، في حين لم اكن اعتقد أن الهدف من كلية الاحتياط كما كانوا يعتقدون.

لقد كان طلبة هذه الدورة، وبخاصة الموجودون في فوجي من الطلبة الكبار، وبعضهم من خريجي سنوات سابقة للدراسة الجامعية. تصرفت معهم تصرفاً صريحاً وجريئاً، لقد فاجأتهم حين وقفت امامهم وانا احدثهم قائلا: «انا أيضاً غير مؤيد للوضع السياسي للعراق، ولكن الثقافة العسكرية ضرورية ايضاً الى جانب الثقافة المدنية والتخصصية التي تتمتعون بها وهذه فرصة لتتثقفوا ثقافة عسكرية وتختبروا بأنفسكم حياة جيشكم»، فبذلك كسبت ولاءهم من أول يوم، على خلاف الفوج الثاني الذي كان يضم خريجي المعاهد كما أشرت، فقد تصرف الآمر معهم بجدية وتعسف فتظاهر الطلبة ضده ونقل من فوجه. ومما اذكر أنه كان بين الطلبة بعض المعارضين الذين كانت التحقيقات الجنائية (الامن) تراقبهم. وذات يوم من ايام كانون الاول تسلمت قائمة طويلة بنقل (١٣٥) طالباً الى معسكر رواندوز فاستغربت من هذا الاجراء، كنت آنذاك وكيل آمر الكلية، وكان آمر

الكلية مريضاً راقداً في المستشفى العسكري، فراجعت رئيس اركان الجيش، السيد رفيق عارف، اسأل عن السبب، اجاب بأنه لايعلم شيئاً... والسيد نوري السعيد هو الذي أمر بذلك، قلت: «ان هذا الاجراء سيخلق تذمراً في اوساط المثقفين، فأرغب في مقابلة وزير الدفاع». فأشار عليّ بالاتصال باللواء الركن غازي الداغستاني معاون رئيس اركان الجيش، للذهاب معه لمقابلة السيد نوري السعيد الذي كان آنذاك معاون رئيس الوزراء ووزيراً للدفاع، فحدثته عن سلبيات هذا الإجزاء وما سيسفر عنه من تذمر وفوضى. فقال: «لقد تسلّمنا من التحقيقات الجنائية كتاباً يصفهم بأنهم مشاغبون وانهم مزمعون على وضع قنبلة تحت منصة الملك في يوم ٦كانون الثاني». فقلت: «اني اتعهد ان هذا الأمر غير صحيح». واذكر ان غازي الداغستاني سألني كيف أعطي هذا التعهد؟ فنظر الي السيد نوري السعيد من خلف نظارته، فقلت له: «لم لا تأتي بنفسك يا نوري باشا وتلتقي هؤلاء الطلبة وجها لوجه؟ لماذا تصدق شرطياً من التحقيقات الجنائية ولاتصدقني وأنا عقيد في الجيش وآمر؟».

اذكر ان نوري السعيد سألني في حينه قائلاً: «أتنصحني بزيارة الكلية بنفسي؟» ثم اردف قائلاً: «يعني اذا اجي ماكو قارش وارش»، وكان يخشى ان يتظاهر الطلبة وان يقوموا ببعض أعمال العنف او التمرد داخل الكلية. فقلت له: «ارى من الضروري ان ترى الكلية بنفسك». في الحقيقة لم يحدد نوري السعد موعداً للزيارة. وبعد بضعة ايام، وانا أقوم بتفتيش الكلية، ولم اكن اعرف ان نوري السعيد قد جاء الى الكلية، ولما دخلت المطبخ لغرض التفتيش وتفقد الامور هناك، وجدت نوري باشا واقفاً في المطبخ يفتش بنفسه الطعام، فأخذت له التحية وارسلت وداد عجام الذي كان طالباً في كلية الاحتياط وخافر مطبخ في ذلك اليوم، ارسلته لينادي الطلبة للتجمع.

لقد ذاق نوري السعيد الطعام واستحسنه كثيراً، حتى انه قال لي، اني لا آكل في بيتي هذا الطعام بهذه الجودة.

وعندما سمع نوري السعيد أصوات الأحذية العسكرية للطلبة، وهم يتراكضون، ومجموعهم اكثر من الف طالبٍ، وضع الملعقة جانباً وقال: «شكو، اخاف قارش وارش...». قلت: «لاسيدي، ان الطلبة يهرولون للتجمع والالتقاء بفخامتكم». ثم جاء رئيس عرفاء الكلية وقال «سيدي الطلبة حاضرون».

خرجت مع المرحوم نوري السعيد، واخذ الطلبة حالة الاستعداد، وحدثهم، ثم تحدث

المرافق فؤاد عارف في القصر الملكى:
التقط صورة الملك غازي بجهازه الخاص
سنة ١٩٣٨

الملك غازي جالس بين مرافقيه في قصر تل الملح

صورة اخرى لإستعراض أول دورة لكلية ضباط الاحتياط عام ١٩٥٧

الطلبة معه بشكل مؤدب فأعجب نوري باشا كثيراً بهذا اللقاء، لأنه كان يتصور ان الطلبة سيقابلونه بموقف معاد. ووعدهم بأن يستجيب لمطاليبهم المختلفة. وفي اليوم التالي شاهدت، وانا مازلت في الخيمة ارتدي ملابسي، نوري السعيد قادماً ومعه كل الوزراء، فهُرعت إليه على عجل.

فسألني: «اين الطلبة؟» قلت: «في المطعم وهم يتناولون فطورهم». ثم التقى الطلبة وهو يقول لهم: «لقد جلبت لكم مجلس الوزراء الى هنا، ولكل منكم كامل الحرية للتحدث مع الوزير المختص حول مشكلته ومعاناته». ثم قال: «اذا لم يحل الوزير المشكلة فاني مستعد لحلها بنفسي، بعد ان يخبرني العقيد فؤاد مباشرة». وهكذا تحسنت العلاقة بيني وبين الطلبة. وقد استطاع الطلبة تحقيق بعض المطالب من خلال شرح مشكلاتهم الشخصية المتعلقة بوظائفهم واعمالهم واسرهم.

على كل حال مازلت اذكر طلبة كلية الاحتياط بكثير من الحب والمودة كما يتذكرونني هم ايضاً(١).

---

(١) كنا في محاضرة ثقافية في نادي العلوية، وكان يجلس في الصف الذي امامي عدد من الاساتذة، بينهم الدكتور عناد غزوان الذي كان يتحدث للآخرين بحماس، واعجاب كبيرين عن مواقف صاحب المذكرات وشهامته في معسكر التدريب، فقد كان احد الملتحقين بدورتهم، ومن بين ما رواه ان فؤاد عارف باغته مرة مع زميل له عندما كانا يحاولان الخروج من المعسكر خلسة، فرافقهما بسيارته الى حيث أرادا بدل ان يعيدهما الى المعسكر ويودعهما السجن كما توقعا ذلك لأول وهلة.

الفصل الخامس

ثورة ١٤ تموز

علاقتي بالضباط الأحرار

كانت تجمعني مع كثير من الضباط الأحرار علاقة صداقة ومودة، فقد كان عبدالكريم قاسم وهو على رأس تنظيم الضباط الاحرار تجمعني به صداقة يعود تاريخها الى أيام الدراسة في الكلية العسكرية، لقد كنا أصدقاء وأحباء وتخرجنا معاً في العام ١٩٣٤، وبالرغم من ان كلّ منّا نسب الى فوج، فقد كنا نجتمع ونلتقي في بغداد بين حين وآخر. وفي العام ١٩٥٤، عندما كنت آمر فوج التدريب في معسكر المنصور، اصبح عبدالكريم قاسم آمر اللواء التاسع عشر في المعسكر نفسه وحتى اواخر العام ١٩٥٦، وتعمقت أواصر الصداقة والمودة بيننا في هذه الفترة، حتى كنا نحل عليه ضيوفاً في داره ببغداد، عندما كنا نأتي الى بغداد بإجازة أو ايام الخميس والجمع. كما عرفت طاهر يحيى الذي كان آمركتيبة مدرعات المنصور وتوثقت بيننا صداقة ومودة، وكذلك عرفت عبدالسلام عارف الذي كان آمر الفوج في اللواء التاسع عشر الذي كان مقره في جلولاء، وتوسعت وتوثقت مع الأيام علاقتي بالكثير من الضباط الذين كانوا قد انضموا الى تنظيمات الضباط الاحرار، وكانوا لايتحرجون من الحديث امامي عما يجيش في صدورهم من رغبة في إنقاذ العراق من النظام الملكي وإرساء نظام جمهوري ديمقراطي، حتى وصلت ثقتهم بي الى حد ان كلفتني قيادة هذا التنظيم ان افاتح اللواء نجيب الربيعي الذي كان قائداً للفرقة في بعقوبة بالانضمام الى هذا التنظيم والمساهمة في تفجير الثورة.

في الحقيقة كنت قد اتخذت قراراً وعهداً على نفسي ان لا انخرط في تنظيم سياسي بعد تجربتي مع حزب (هيوا) في أواسط الاربعينيات. فقد كان عبدالكريم قاسم يعرف جيداً موقفي من التنظيم، لذا لم يسألني ان انضم، ولو سألني ذلك لرفضت بالتأكيد.

وقبل ان اتحدث عن قيامي بهذه المهمة لابد من توضيح علاقتي بنجيب الربيعي وإنطباعي عنه وانطباعه عني؛ اذ لايعقل ان يذهب ضابط برتبة عقيد لمفاتحة قائد فرقة برتبه لواء للانضمام الى تنظيم سياسي وعسكري لقلب نظام الحكم من دون ان تكون هناك علاقة سابقة، او ثقة متبادلة بينهما.

قبل ان تنتقل اسرتي الى السليمانية، اي قبل سقوط بغداد بيد البريطانيين، كنا نسكن بغداد في منطقة الحيدرخانه والعاقولية، وتجمعنا مع عائلة نجيب الربيعي علاقة جيرة ومودة عائلية قديمة، وكان لأسرته علاقة بأسرتي. شاءت الظروف ان عدت الى بغداد

والتقيته بعد تخرجي في الكلية العسكرية السنة ١٩٣٤، اذ كان نجيب الربيعي ملازماً اول وضابط استخبارات الفرقة الثانية بكركوك، ثم دخل كلية الاركان، فتجددت معرفتي به، وتوطدت العلاقة بيننا في العام ١٩٤١ مع شقيقه حسيب الربيعي وكان يومئذ رئيس ركن الفرقة الاولى في بغداد، وكنت آنذاك مساعداً لآمر الفوج في اللواء الثاني، وكان يزورنا مرات عدة في معسكر المسيّب، وتوثقت علاقتنا. والحقيقة كان يفضلني على الضباط الآخرين وتوطدت هذه العلاقة أكثر فأكثر وتوثقت الصداقة بيني وبين حسيب الربيعي وكذلك شقيقه نجيب الربيعي، فكنا كثيراً ما نلتقي وعندما اصبح نجيب الربيعي قائد الفرقة الثالثة في بعقوبة، توطدت علاقتي الشخصية به اكثر، وكان نجيب الربيعي من الاشخاص الذين يعيرون قيم الصداقة والحقوق العائلية وحقوق الجيرة أهمية بالغة، اي انه كان وفياً ويحمل الكثير من القيم النبيلة.

في الواقع كان نجيب الربيعي وشقيقه حسيب الربيعي وغازي الداغستاني من أبرز الضباط في الجيش العراقي في الخمسينيات، وكانوا يعدون من خيرة الضباط. لذا كان الواحد منهم يعد بحق مثلاً أعلى لكل ضابط من ضباط الجيش العراقي آنذاك. فقد كنت اعتقد مع نفسي لو ان احد هؤلاء الضباط الثلاثة تزعم حركة الضباط الاحرار، لحظيت الثورة بنجاح اكيد: لأن معظم الضباط سيؤيدون الثورة لما يتمتع به هؤلاء الضباط الثلاثة من سمعة واعجاب في الوسط العسكري؛ لذا فاتحت عبدالكريم قاسم وطاهر يحيى بهذا الموضوع فوافقا حالاً. ويبدو لي انهما كانا يطمحان الى تكليف نجيب الربيعي هذه المهمة، ولكن لم يكن من اليسير مفاتحته. وبعد ايام سافرت الى بعقوبة فوصلت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر. دخلت على قائد الفرقة، اللواء نجيب الربيعي فرحب بي كثيراً، ثم سألني ما اذا كانت لدي مهمة معينة؟ قلت له: «الحقيقة لدي موضوع اود ان اطرحه عليك، ولكن في البيت وليس في مقرك»، فرحب واتصل تلفونياً بزوجته قائلاً: «ام براء! سيد فؤاد سيتناول الغذاء معي اليوم».

وذهبنا الى داره. وهناك اوضحت له الغرض من زيارتي له بكل صراحة ومن دون لف او دوران، لأني انسان صريح وأحب الصراحة، وهو يعرفني، واذكر اني قلت له: «انك من عائلة طيبة النبتة ونبيلة المعدن، وسمعتك بين المدنيين جيدة جداً، وانت تختلف عن كثير من الضباط بمواصفات جعلت عدداً من الضباط الشباب يرغبون في ان تربط مصيرك بمصيرهم، وتكون قائداً للثورة التي يريدون ان يقوموا بها لتغيير نظام الحكم في العراق،

وهم يعتقدون ان في موافقتك على تحمل هذه المسؤولية وقيادتك لهم ضمانة إنتصار الثورة، فدع عنك التردد والخوف، وضع يدك في ايديهم وتوكل على الله». وبعد الانتهاء من حديثي، صمت نجيب الربيعي، ولم يجب مباشرة.

ثم قال لي: «يا ابا فرهاد! ان شأني شأنكم، فاني لست راضياً عن الوضع السياسي الذي نحن فيه، واتمنى لو تغير، ولكن بصراحة لا اثق بقسم من هؤلاء الذين يريدون القيام بالثورة». واذكر انه قال لي: «اعتقد انه اذا جلس ثلاثة منهم معاً فاعرف ان اثنين منهم من الجواسيس للوصي ووزارة الدفاع؛ لذا لا اثق بهم، ومن هنا اقول، ان الفشل سيكون من نصيب المحاولة ان اقدموا عليها»، ثم بدأ ينصحني قائلاً: «ياأخي فؤاد انت انسان طيب ووفي؛ لذا عليك بالحذر، وارجوك ان تنسى هذا الموضوع، وكأنك لم تحدثني به».

ودعت نجيب الربيعي، وعدت الى شهربان، كان كل من عبدالكريم قاسم وطاهر يحيى ينتظران عودتي. واذكر انهما كانا يتمشيان في المعسكر فذكرت لهما بالتفصيل مادار بيني وبين نجيب الربيعي. واذكر ان عبدالكريم قاسم قال: «اذا كان هذا هو رأي نجيب الربيعي فليس إلاّ ان نقوم بها نحن بأنفسنا»

والغريب في الأمر ان نجيب الربيعي قد نقل بعد هذا مباشرة من وظيفته قائداً للفرقة الثالثة الى وزير مفوض في جدة. وكذلك تم نقلي الى كلية الاحتياط في بغداد آمراً للفوج الاول. اما كيف تم ذلك فلا أعلم.

وهنا لابد ان لا اخفي حقيقة، هي ان الموضوع الذي فاتحت به نجيب الربيعي كان موضوعاً خطيراً، وربما كان لديه تحفظ من بعض الضباط، وخشي ان يكونوا ضمن تنظيم الضباط الاحرار. على أية حال فاني لا استطيع ان اوجه له لوماً في هذه المسألة، فالانسان حر في حساباته وتقديراته للظروف، ولكن علينا ان لاننسى ان الربيعي لم يخف مشاعره ازاء السلطة ووضح لي بصراحة، كما اشرت، انه غير راض عن الوضع السياسي الذي آلت اليه البلاد، وهذا ليس بتصريح سهل من قائد فرقة في الجيش... والذي اتذكره من شخصية نجيب الربيعي انه كان دقيقاً وحريصاً وغير متسرع في الأمور وهو يعرف جيداً ان هناك من الضباط من كانت لهم علاقتهم الوثيقة بوزارة الدفاع، وبعبدالاله. هذا من جهة، ومن جهة اخرى ربما ادرك الربيعي ان كبار ضباط الاحرار ارادوا ان يجعلوا منه واجهة للحصول على تأييد الجيش في يوم الثورة لما يتمتع به من سمعة عسكرية وشخصية محبوبة علاوة على رتبته العسكرية (لواء) وهذا ما جعله يقول

لي: «لعلهم يريدون مني ان اكون محمد نجيب الثاني»، ويقصد به اللواء محمد نجيب الذي اتت به ثورة ٢٣ يوليو في مصر، ثم لم تلبث ان ازاحته.

والحقيقة اني لم اخبر عبدالكريم قاسم بهذا الانطباع الأخير لنجيب الربيعي.

في ١٩٥٨/٧/١٠ كان يوم الخميس اي قبل اعلان الثورة بأربعة ايام التقيت عبدالكريم قاسم في وزارة الدفاع، وكان عبدالسلام عارف معه وكنت آنذاك في الحلة، حين كنت آمر اللواء التاسع، فسألني عبدالكريم قاسم عن أنور ثامر مدير أمن منطقة الحلة، وكانت مديرية منطقة أمن الحلة تشمل كربلاء ومناطق اخرى، فقلت له: «انه انسان جيد»، ثم عرفت ان هذا الشخص من اقرباء عبدالسلام عارف، ثم قال لي: «ستسمع هذه الايام اخباراً سارة»، ثم طلب مني ان نتناول في اليوم الثاني الجمعة الغذاء معاً في داره، فوافقت. حقاً، اني نسيت الموعد في اليوم الثاني. وعندما كنت في الطريق الى الحلة عائداً من بغداد عصر يوم الجمعة تذكرت الموعد، ولكن بعد فوات الاوان... في صباح يوم الاثنين ١٤/ تموز ١٩٥٨ جاءني عريف وقال لي: «سيدي اسمع الاذاعة»، فتحت المذياع عندها عرفت انها الثورة.

نهضت وسيطرت على اللواء، واعددت دوريات عسكرية لضبط الامن في مدينة الحلة وجاء السيد فاضل بابان[١]، متصرف الحلة يومذاك عندي خشية وقوع إعتداء عليه.

جاءني حامية المحاويل وقال لي: «لدينا تعليمات فحواها ان نتسلم الأوامر من عندك»، فقلت له: «ابق في مكانك الآن»، ثم اتصل اللواء الركن عمر علي، قائد الفرقة الاولى في الديوانية وقال لي: «هذه فوضى»، قلت له: «كلا ليست فوضى، فتمهل، والافضل لك ان تتقبل الأوامر». في الحقيقة، كان يريد ان يكشف عن موقفي في الثورة، فبينت له بصراحة انني مع الثورة، وعاد وخابرني بعد ساعة مبدياً تأييده لموقفي، والظاهر انه لم يستطع ان يقاوم الثورة؛ لأن الجيش في الديوانية كام معظمه مع الثورة مما اضطره الى التراجع عن موقفه. وفي اليوم الثاني جيء بعمر علي فارسلته الى بغداد، ثم احيل الى المحكمة العسكرية الخاصة.

كان الزعيم الركن وفيق عارف، وهو شقيق رفيق عارف، رئيس اركان الجيش، آمر لواء المسيّب، وقد سيطر العقيد فاضل عباس المهداوي ومعه ضباط آخرون على اللواء، وتحرك

---

(١) هو شقيق أحمد بابان الذي كان رئيساً للوزراء حين وقوع ثورة الرابع عشر من تموز.

بلوائه الى بغداد، وفي الطريق التقى عمر علي وقيل اعتدى عليه. ثم جيء بمتصرف الديوانية ومن بعد متصرف الرمادي مخفورين، وقد احترمتهما، وتصرفت معهما بطيبة، ثم ارسلتهما الى بغداد. اما متصرف الحلة فبقي في الحلة الى حين تعيين العميد الركن، عبدالوهاب شاكر متصرفاً للحلة. وقد اتصلت بقيادة بغداد موصياً خيراً بالموقوفين اللذين ارسلتهما. وفي صباح الخامس عشر من تموز كنت في وزارة الدفاع في بغداد ودخلت على عبدالكريم قاسم. واذكر انه كان في تلك اللحظة يحلق لحيته وكان عبدالسلام عارف واقفاً يتحدث، في الحقيقة اني كنت منزعجاً بسبب مقتل الملك فيصل الثاني واسرته المالكة واخذت اأومهما، لأني كنت اعرف ان اغتيال الملك لم يكن في برنامج الثورة، وضحك عبدالسلام عارف وقال معلقاً: «انه منزعج لأني كنت مرافقاً للملك أيام زمان»، فقلت «نعم، كنت مرافقاً للملك، وانا اعترف ولست بنادم على ذلك ولم يكن ضرورياً قتل فيصل الثاني ابن غازي». فأيدني عبدالكريم قاسم بمرارة وهذه حقيقة اقوالها للتأريخ وقال لي: «ان بعض الامور تحدث خارج ارادة الفرد وخارج دائرة التخطيط». وبعد ذلك عدت الى الحلة، ثم باشرت مهمتي متصرفاً لكربلاء.

وفيما يتعلق بكون قتل الملك في برنامج الثورة او لا وتفاصيل الساعة الأخيرة من حياة العائلة المالكة، اني كنت اسمع من عبدالكريم قاسم ومن طاهر يحيى وعبدالسلام عارف عندما كنا معاً، وحتى بعد ان نقلت كنا نلتقي في بغداد ويقول: «ان الثورة ستأتي لإرساء نظام جمهوري وستحاكم الثورة المعتدين من رجالات الدولة في العهد البائد، ومنهم عبدالاله ونوري السعيد اللذان كانا من ابرزهم»، كما كنت اسمع من الضباط الاحرار انهم سيقدمون الى القضاء، فلم اسمع مرة واحدة طوال علاقتي بعبدالكريم قاسم وغيره من الضباط الاحرار مايشير الى قتل اي شخص من رجال العهد الملكي بل كان من اهداف الثورة محاكمة هؤلاء ابتداءاً من عبدالاله ومروراً بنوري السعيد والآخرين.

اما الساعة الاخيرة من حياة الاسرة المالكة وما آل اليه من مصير فلم يكن ليستحقه فيصل الثاني الذي احبه العراقيون لسببين: اولاً انه ابن غازي، ذلك الملك الوطني، وثانياً انه كان صغيراً، قليل الخبرة مسيراً بارادة خاله الذي سيطر عليه منذ الصغر. وفي اعتقادي ان العقيد طه بامرني الذي كان آمراً للحرس الملكي، كان بوسعه ان يفشل الثورة لولا ان الوصي عبدالاله تدخل في شؤونه عسكرياً.

ان ما استطعت الوقوف عليه في حينه عن الساعة الأخيرة من حياة الاسرة المالكة ان

طه بامرني بعد التراشق بالنيران مع القوات المطوقة لقصر الرحاب قرر عدم المقاومة والتعاون مع الثورة وامر افراد الحرس الملكي بإلقاء السلاح، وكانت النيران قد بدأت تلتهم الطابق العلوي من القصر حين اخترقته قذيفة اشعلت فيه النار وخرجت العائلة المالكة ومعهم بالطبع فيصل الثاني، مستسلمين يرفعون راية بيضاء وقد طوقهم ضباط وجنود الثورة، والغاية القبض عليهم وتسليمهم الى قيادة الثورة طبعاً، إلاّ ان الرئيس عبدالستار سبع العبوسي اقتحم الحديقة، حديقة القصر وسدد رشاشته الى العائلة المالكة واطلق النار عليهم، فقتل الملك فيصل الثاني وعبدالاله والملكة نفيسه ام عبدالاله والاميرة عابدية.

وقد استفسرت في حينه من الرئيس عبدالستار سبع العبوسي عن سبب اطلاقه النار على العائلة المالكة وهو لم يتسلم امراً بقتلهم، أجاب أنه إنما اطلق النار خشية ان تنقلب الأمور على عقبها. فقد كان من الجائز ان يتأثر الجنود بمنظر العائلة المالكة: لذا اردت قطع دابر اي عامل محتمل ولو بسيط لإفشال الثورة.

متصرفاً لكربلاء

أما إختياري متصرفاً للواء كربلاء، فهو اني كنت على صلة بأهالي كربلاء والنجف الأشرف وعلاقتي تعود الى ما قبل الثورة، اذ كنت في العام ١٩٤٧ مديراً لتجنيد كربلاء والنجف. واني احببت هاتين المدينتين واهلهما، وشعرت بحبهم لي، فتوطدت بيني وبين الكثيرين منهم علاقات مودة وصداقة مازلت احتفظ بها الى يومنا واعتز بها، وحتى بعد ان نُقلت من مديرية تجنيد كربلاء بسنوات وعندما رفعت الى رتبة عميد وصلتني اعداد كبيرة من بطاقات وبرقيات التهنئة من أهالي هذه المنطقة. وبصراحة أني لم أتسلم مثل هذا العدد من مكان آخر، ومازلت اعتز بها. كانت هي بطاقات وبرقيات وفاء وحب بيني وبين هؤلاء الأصدقاء من مدينتي كربلاء والنجف الأشرف.

لقد كان عبدالكريم قاسم يعرف موقف أهالي المحافظة، لاسيما رجال الدين الأفاضل مني، لذا فقد فضل ان أكون متصرفاً لها ولمحاولة كسب تأييد رجال الدين للثورة. حقاً، لقد استطعت الحصول على تأييدهم للثورة تحريرياً. وأذكر منهم المجتهد الأكبر آية الله السيد محسن الحكيم وآية الله السيد عبدالكريم الجزائري وآية الله السيد عبدالحسن كاشف الغطاء وآية الله السيد عبدالكريم الزنجاني وآية الله السيد محمد البغدادي. وكان للسيد

تقي القزويني قائممقام قضاء النجف يومئذ دوره البارز في معاونتي لكسب هذا التأييد.

أخذت جميع كتب التأييد والمساندة معي الى بغداد ووصلت وزارة الدفاع لإلتقاء عبدالكريم قاسم. اذكر ان عبدالكريم قاسم، ساعة وصولي، كان مجتمعاً بالسفير الأمريكي وكان الوقت عصراً، الساعة السادسة تقريباً.

قلت لوصفي طاهر، مرافق عبدالكريم قاسم: «أذهب وأخبر عبدالكريم قاسم ان يخرج من الإجتماع، إذ ثمة أمر هام جداً يجب ان يطّلع عليه حالاً».

وفعلاً خرج عبدالكريم قاسم من الإجتماع وما ان رآني حتى رحّب بي، وقلت له، لقد حصل على تأييد علماء النجف وكربلاء للثورة. فما كان منه إلاّ ان قبلّني وشكرني وشد على يدي، وذكر لي ان هذا التأييد مهم جداً، حتى ان السفير الأمريكي كان قد سأله في ذلك الاجتماع ما إذا كانت الثورة قد حظيت بتأييد رجال الدين في الجنوب؟ ثم ذكر عبدالكريم قاسم أنه ما ان يعود الى الإجتماع، حتى يقول للسفير الامريكي: «افتح اذاعة بغداد هذا المساء، الساعة الثامنة، واصغ الى تأييد علماء الدين الأفاضل لثورتنا».

بعد إنتهاء إجتماع عبدالكريم قاسم بسفير امريكا جلست معه، وكان صديق شنشل وزير الإرشاد جالساً، وطلب منه عبدالكريم قاسم كتابة رسائل شكر جوابية لعلماء الدين، كل على حسب درجته وإذاعة تأييدهم مع إذاعة رسائل الشكر بتوقيع عبدالكريم قاسم.

بعد تشكيل وزارة الثورة شكل وفد رسمي لزيارة جمال عبدالناصر، وقد تألف من عبدالسلام عارف، نائب القائد العام، ونائب رئيس الوزراء، وكان رئيساً للوفد، وعضوية كل من السادة محمد حديد، وزير المالية، ومحمد صديق شنشل، وزير الارشاد، والدكتور عبدالجبار الجومرد، وزير الخارجية، وقد تمخضت الزيارة عن توقيع إتفاقية التمسك بالمواثيق بين العربية المتحدة والعراق وتأكيد وقوف البلدين معاً في الدفاع ضد اي عدوان يقع على احد الطرفين، كانت الزيارة حقاً ناجحة وضرورية لدعم ثورة ١٤ تموز من اكبر دولة عربية يقودها جمال عبدالناصر الذي كان له ثقله السياسي العالمي الواضح، ومع هذا أقول: «إن هذه الزيارة في الوقت ذاته كانت بمثابة الجرس الذي نبّه على خطر الانشقاق بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف».

لقد جلبت زيارة الوفد العراقي أو بعبارة أدق تصرفات رئيس الوفد عبدالسلام عارف إنتباه المراقبين وإنتباه عبدالكريم قاسم شخصياً. ان عبدالسلام عارف عرض على الرئيس عبدالناصر رغبته في اعلان الوحدة الفورية بين العراق والعربية المتحدة، وكأنه،

اي عبدالسلام عارف هو الرجل الأول في العراق، من دون اي اكتراث لعبدالكريم قاسم ومجلس السيادة.

والغريب ان جمال عبدالناصر لم يقبل هذا العرض بحماس. وقد طلب من عبدالسلام ضرورة الاهتمام بتطوير الوضع الثوري وترسيخها أولاً، كما ان عبدالسلام عارف حين ألقى خطابه في سورية وهو يقف الى جانب عبدالناصر لم يذكر اسم عبدالكريم قاسم ابداً، اي تجاهله تماماً، وقد نقل اليه ان عبدالسلام عارف اشعر عبدالناصر بإستعداده للقضاء على عبدالكريم قاسم اذا ما وقف عبدالكريم في طريق الوحدة. لذا شعرنا بعد عودة الوفد من الجمهورية المتحدة ببدء حالة الفتور بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف.

لقد ذكرت من قبل ان مدينة كربلاء واقضيتها لم تكن بالمنطقة الغريبة عني؛ لأني كنت مديراً للتجنيد فيها العام ١٩٤٧ وتشدني اليها صداقات وعلاقات طيبة مع كثير من أبناء هذه المدينة، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فقد كانت لي علاقة عائلية قديمة بأسرة كمونه تعود الى عهد جدّي رحمه اللّه، فوالدتي وحميد كمونه اخوان بالرضاعة؛ لذا كان حميد كمونه وهو احد شيوخ هذه المدينة ووجهائها يعد خالي بالرضاعة.

عندما باشرت عملي متصرفاً لكربلاء شعرت بحق ان الناس متعطشون للعدالة وسيادة الحق. وفي اعتقادي ان المحافظ النزيه لابد ان ينجح في عمله الاداري لامحالة، لذا كنت اواجه حالة جديدة في المدينة، وهي ان بعض الناس ممّن كانوا متنفذين فيها قد ساءت أحوالهم وانحطت مدارجهم، وبعض المغمورين ارتفعت مدارجهم واصبحت لهم الكلمة في المدينة، ونشأ من الناس من أخذ يدعي لنفسه الحق في كل شيء والإهانة قد ظهرت، وان القانون صار ضعيفاً ازاء بعض التصرفات الفردية بسبب غبطة العاطفة الوطنية الملتهبة، كما كنت اشعر ان هذه المدينة مدينة مقدسة، لها خصوصيتها، ويجب ان يراعى هذا الجانب منها في أسلوب ادارتها؛ لذا كان اول شيء أكدته وحاولت ان أرسخه في عقول الناس ان الثورة إنما قام بها الجيش ولايحق لأي كان ان يعتبر نفسه ولياً على الناس بإسم الثورة، وان القانون هو فوق الجميع ولامجال لأي مزايدة وطنية ولم أسمح بذلك مطلقاً. وافهمت الناس علناً اني سأعاقب بصرامة كل فرد يحاول ان يعاقب الناس او يهينهم بإسم الثورة او تحت اي مصطلح من المصطلحات الوطنية، وان الشرطة يجب ان تأخذ دورها ومكانتها في الحياة اليومية للمدينة. فعلى سبيل المثال ان عبدالحسين كمونه الذي كان نائباً في العهد الملكي جاءني وأعلمني بأنه عازم على مغادرة كربلاء

والعيش في بغداد، فسألته عن السبب، أجاب أن جماعة جاءته وهددته، ويهددون معه النائب السابق محمد مهدي الوهاب. قلت له: «أنا لا اوافق على مغادرتك كربلاء؛ لأني هنا في كربلاء ومن واجبي ان احميك، واعطني اسماء الاشخاص الذين هّددوك». فتقدم بأسمائهم، واتصلت بمدير الشرطة وقلت له: «الآن الساعة العاشرة، سأنتظر الى الساعة الثانية عشرة اي ساعتين فقط، ان لم يذهب هؤلاء الاشخاص المعنيون خلال هاتين الساعتين للإعتذار من السيد عبدالحسين كمونه بحيث يأتي عبدالحسين ومعه سيد مهدي الوهاب ويطلبان مني اعفاءهم فإني سأعاقبهم».

وبعد فترة وجيزة سمعت صوت جلبة وجاءني مدير الشرطة ومعه هذه الزمرة التي كانت تهدد الناس، فوبخت مدير الشرطة أمامهم، وقلت له: «انك لم تنفذ الأوامر بحذافيرها. انا لم اطلب ان تأتي بهم اليّ، بل طلبت ذهابهم الى السيد عبدالحسين كمونه والسيد مهدي الوهاب للإعتذار منهما، كي يطلبا من الدولة التي امثلها انا في المحافظة العفو عن زمرة الشغب هذه». وهكذا جعلتهم يذهبون لطلب العفو من هذين الشخصين. لقد كان هناك سوء فهم لمعنى الثورة ومعنى الحرية. واذكر انني جمعت الناس في كربلاء وفي النجف وتحدثت لهم عن مفهوم الثورة وأهدافها وأشكال التعامل الانساني التي يجب ان تسود بيننا نحن أبناء العراق وأذكر انني قلت لهم: «انا من العهد البائد»، واشرت الى الرتب العسكرية التي كانت على كتفي، وكنت يومئذ عميداً، وقلت لهم: «هذه الرتب التي ترونها اخذتها بإرادة ملكية، كل الرتب التي تجدونها على كتفي الزعيم عبدالكريم قاسم انما حصل عليها في العهد البائد، وكلنا خدمنا وعملنا في العهد البائد، ولكن علينا اليوم ان نبدأ بداية جديدة. وكل من يريد ان يزايد باسم الوطنية على أبناء الشعب، ابناء مدينته اسحق رأسه» ثم قلت: «انا لا اعرف من ينتمي إلى هذه الفئة او تلك، وانما اعرف اننا ننتمي جميعاً إلى العراق» وصفق لي جميع المواطنين.

كان الخلاف قد دبّ بين مسؤولي المنظمات والاتجاهات السياسية المختلفة، وكانوا هم السبب في خلق الفوضى والشقاق بين الجماهير، فأمرت توقيف مسؤولي المنظمات والاحزاب السياسية المختلفة في المحافظة، وامرت ان يجري توقيفهم في غرفة واحدة، وقلت لهم: «ابقوا معاً في هذه الغرفة، واذا شئتم فسأعطيكم مسدسات، كي يقضي احدكم على الآخر ويتخلص الناس من شروركم، وان لم تتركوا الخلافات جانباً...».

وفعلاً جاءني مدير الشرطة مبتسماً وقال لي: «انتهى الأمر كما اردت، أنهم تصالحوا»،

عبدالسلام عارف لدى زيارته لكربلاء بعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز بأيام

حفل اقامه محافظ كربلاء فؤاد عارف ليلة ٢٢ كانون الثاني ١٩٥٩م لمناسبة مولد امير المؤمنين علي كرم الله وجهه

الأمير بدر لدى زيارته للعتبات المقدسة في كربلاء صيف ١٩٥٩ والى يمينه فؤاد عارف

جلالة الملك بدر ملك اليمن اثناء زيارته الى مدينة كربلاء سنة ١٩٥٨ في شهر آب و
الجالس الى اليسار مع محافظ كربلاء و الواقفين خلفه انجاله فرهاد و فرياد و شيرزاد
مع حاشية ملك اليمن...

من اليسار السيد احمد يحيى وزير الداخلية. والسيد آية الله العظمى السيد محسن الحكيم و متصرف كربلاء فؤاد عارف و قائممقام النجف السيد تقي القزويني في ٢٠/تموز/١٩٥٨

في زيارة السيد علي بحر العلوم في النجف الاشرف تشرين الثاني ١٩٥٨ الى يمينه احمد محمد يحيى والى يساره فؤاد عارف

فأمرت بإخلاء سبيلهم. فقد سلكت في ادارة المنطقة كما اوحت لي مصلحتها وبإرادتي تماماً، وبرغبة صادقة، طريق سيادة القانون مع اخذ ظروف المدينة بنظر الاعتبار. اني لا اؤيد ان يرجع المحافظ في كل صغيرة وكبيرة الى المرجع الاعلى، بل يجب ان يتمتع المحافظ بحرية التصرف ضمن خصوصيات المدينة المسؤول عنها. أذكر ان منع التجول بعد الثورة كان يبدأ من الثالثة عصراً في كل انحاء العراق، وعندما حل شهر محرم الحرام ماكان لي إلاّ اذعت بياناً بمكبرة الصوت أخذت تجول في المدينة، ان كربلاء والنجف قد استثنيتا من منع التجوال المعلن من إذاعة بغداد، لمناسبة العاشوراء وإقامة الطقوس والشعائر المطلوبة.

واتصل بي عبدالكريم قاسم هاتفياً قائلاً لي: «فؤاد شنو، كربلاء مو عراق؟» قلت له: «كلا، هذه مدينة مقدسة، ليس لنا إلاّ ان نحترم شعائرها». ضحك الرجل ووافق. وفعلاً جرت الاحتفالات الدينية كالمعتاد...

ولعل سبب نجاحي في إدارة هذه المحافظة، وعندما اقول (نجاحي) هذا ليس تقريرا شخصياً اقدمه عن نفسي، بل هي الحقيقة وبشهادة اهاليها. ومازلت اسمع منهم هذه الشهادة كلما التقيتهم، رغم قصر الفترة التي كنت اديرها فيها، ورغم حراجة تلك الفترة، فترة الصراع بين الشيوعيين ورجال الدين و القوى الأخرى. اقول،، ان سبب نجاحي يعود الى عدم التحّيز الذي اتصفت به واعلنت عنه. لقد كنتُ محايداً، امثل الدولة العراقية في كل تصرفاتي، ولم اخش احداً. كنت اسمح بقيام مظاهرات الشيوعيين او رجال الدين.

وأذكر ان الشيوعيين طلبوا في احدى المناسبات التظاهر فوافقت على طلبهم. وفي المظاهرة صعدت احدى النسوة وهي مُدرسّة على كرسي طارحة عباءتها والقت كلمة فأعتبر الناس او بعضهم ان هذه العملية انما هي خرق وإهانة لقدسية المدينة، فأجتمع علماء الدين في مرقد الحسين، ثم خرجوا بتظاهرة إسلامية طالبوا فيها برجم المدّرسة، لأنها أهانت مدينة الحسين. وجاء بعض رجال الدين الى داري، وكان مدير الشرطة آنذاك السيد عبدالملك الراوي الذي اخبرني بالحالة ووصلت الدار لأجد رجال الدين جالسين في بيتي والانفعال بادٍ على وجوههم، فقلت لهم: «لاداعي اساساً لتظاهرتكم هذه، لقد خالفت هذه المدرّسة الاصول، وأنا بوصفي محافظاً، سأقوم بمعاقبتها، او نقلها الى خارج المحافظة»، علماً اني كنت في قرارة نفسي أريد امتصاص هذا الإنفعال ولكي لاتتفاقم المشكلة، ولكن فوجئت بأن نهض أحد رجال الدين ويبدو أنه كان متزمتاً الى درجة كبيرة

فقال بلهجة خطابية:

– ان المرأة الشيطان بعينه.

– ان المرأة اخت الشيطان.

– ان المرأة عدوة الرحمان... الخ.

قلت: «عفوك ياسيدي، ان المرأة امك، ان المرأة اختك، ان المرأة زوجتك، ان المرأة ابنتك، فلو كان الأمر كما تزعم، اذن انت ابن الشيطان واخو الشيطان وزوج الشيطان ووالد الشيطان وان فاطمة الزهراء وزينب وزوجات الرسول كلهن شياطين، في حين ان المرأة امهاتنا وبناتنا واخواتنا، فانك قد كفرت بحق هؤلاء جميعاً، وانك اولى بالرجم من هذه المُدرّسة التي خطبت وهي سافرة، وسأكتب الى آية الله العظمى السيد محسن الحكيم نص ما ورد على لسانك بحق النسوة بشهادة الحضور من العلماء حتى يبدي رأيه في الموضوع». فأيدني رجال الدين الحاضرون، فهدأ المتزمت وجلس، وهو يلوذ بالصمت. وبعد خروجهم فرقوا المتظاهرين.

عموماً كنت اسمح بالتظاهرات كما قلت، لكني لم اكن أخرج لتحية أية تظاهرة للحفاظ على روح الحياد. وعلى الرغم من تعدد الاتجاهات واختلافها كنت احاول دائماً ان اخفف من تفاقمها بالحديث مع كل فئة على انفراد. ومما يذكر مثلاً المهرجان الذي اقمناه في العام ١٩٥٩ لمناسبة ولادة الامام علي كرم اللّه وجهه وكان الاحتفال برئاستي. وقد دعونا شخصيات دينية وعربية وعالمية وإسلامية الى كربلاء. وفعلاً وصلت الوفود وقد تحملت الاهالي في كربلاء تغطية كل مصاريف هذا الحفل المهيب. وقد شارك فيه الإمام آية الله، السيد محسن الحكيم نفسه مع اجلة العلماء من الشيعة والسنة، منهم العلامة أمجد الزهاوي وغيره.

دمعة عبدالرزاق مرجان

قبل ان أصبح متصرفاً (محافظاً) لكربلاء كنت آمر حامية الحلة منذ العام ١٩٥٧، فكنت أعرف العديد من وجهاء المدينة، منهم السيد عبدالرزاق مرجان، والد عبدالوهاب مرجان، انه كان شيخاً وقوراً، وسيماً في ملبسه، فاضلاً في تعامله مع الناس. وكانت داره مقابل النادي العسكري مقر إقامتي فكنت ألاحظ كيف كان يستقبل الناس من شتى الطبقات بود وكيف كان يودعهم واحداً واحداً حتى عتبة داره، وكان واضحاً انه يساعد الفقراء منهم،

وكنت أعلم بأنه يقدم العون حتى للدراسين من طلبة الجامعات داخل العراق وخارجه، كما بلغ حبه لمدينته وأهلها ان أسس فيها مستشفى أهلياً بإسم أسرته. لقد تعرض هذا الرجل الفاضل الى إهانة الرعاع بعد الثورة. فقد جاءني في أحد الأيام الى كربلاء، وقبل ان يشكو لي الأمر نزلت دمعة على لحيته البيضاء، مما هزّني من الاعماق، فاتصلت في الحال بمتصرف الحلة الزعيم الركن عبدالوهاب شاكر حول الموضوع. وعندما علمت انه لم يتخذ ما يحول دون الاعتداء على عبدالرزاق مرجان اتخذت من جانبي اجراءات فورية لردع المعتدين الذين نسوا كل افضال ذلك الوجيه الكريم بين عشيّة وضحاها.

السيد عبدالرزاق مرجان

عند زيارتي لألمانيا سنة ١٩٦١
ومعي آمر الكلية العسكرية الالمانية
في هانوفر

تعرض آخرون من وجهاء المنطقة الى إهانات مشابهة، منهم السيد ميرزا القزويني، والسيد انور جوهر رئيس غرفة تجارة الحلة، والشيخ محس الجريان وغيرهم من الأعيان الأفاضل، ممن وقفت لهم وقفة كنت أراها إلتزاماً أخلاقياً.

ومما أتذكره ان الشيخ محسن الجريان كان قد اصيب بمرض السرطان في العام ١٩٥٩، وقد ابتلى نجلي فرياد بمرض في ذلك الوقت، فقمت في اثناء ترتيب أمور سفر نجلي الى لندن بإبداء كل ما يقضي من عون للشيخ محسن ايضاً الذي سافر بدوره الى هناك. وفي لندن زرته خصيصاً في المستشفى، فوجدته في وضع صحي بائس، يعيش أيامه الاخيرة، وقد طلب مني ان أتوسط من أجل تسهيل سفر أولاده وأخوته الى هناك. أتصلت بالزعيم عبدالكريم قاسم هاتفياً من لندن، فأستجاب لطلبي، إذ وصل هؤلاء لندن في غضون أيام معدودات، وحين وجدوا ان وضع الشيخ ميئوس منه نقلوه الى بغداد حيث وافاه الأجل، رحمه الله، بعد أيام قليلة.

انني احتفظ حتى اليوم بأفضل العلاقات، وبمشاعر الود مع أولاد وأقرباء وجهاء الحلة هؤلاء وبغيرهم.

زيارة عبدالسلام عارف الى كربلاء

زارنا عبدالسلام عارف في كربلاء الأيام الاولى من الثورة. وأذكر ان الجماهير احتشدت وكنت قلقاً مما سيلقيه من خطاب. فأنا أعرف ان عبدالسلام عارف لايمكن ان يكون خطيباً ناجحاً. وقد سمعت احاديثه في المحافظات الأخرى. وما ان بدأ الكلام حتى شعرت انه بدأ يتحدث على هواه وبطريقته الخاصة فهمست في اذنه منبهاً ولكن من دون طائل. ثم اشتدت نبرته، وبدأ يقول أشياء لا اتذكرها نصاً، ولكن بعثت في نفسي القرف، وانا واقف بجانبه مع بعض كبار المسؤولين في المحافظة، فما كان مني إلاّ ان غادرت المنصة وذهبت الى داري وقلت لمدير الشرطة ان يرافقه الى داري بعد انتهائه من خطابه.

جيء بعبدالسلام عارف الى داري واجتمعنا معاً. فسألني «هل كنت مريضاً؟» قلت: «ابداً» قال: «لماذا غادرت المنصة اذن؟» قلت «بسبب خطابك الذي لم يكن فيه طعم ولاذوق». فلاذ بالصمت. ان الرجل لم يكن مسيطراً على نفسه في خطاباته. وقد نبَّهه عبدالكريم قاسم مراراً على ذلك ولكن من دون جدوى.

تدهور العلاقة بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف ودوري في تخفيف الخصام

لقد بدأت بواكير الصراع على السطح شيئاً فشيئاً منذ الأشهر الاولى من حياة الثورة. كان ثمة نوعان من الاسباب: يمتد الاول الى سنوات بعيدة من حياة الضباط الاحرار، والنوع الثاني ذو علاقة بالظروف التنفيذية لثورة الرابع عشر من تموز واستئثار عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف بالمبادرة بالثورة، من دون اعلام الحلقات الاخرى من تنظيمات الضباط الاحرار.

كان الضباط الاحرار ينتمون الى مدرستين مختلفتين على الرغم من اتفاقهم أو اجماعهم على ضرورة تفجير الثورة واسقاط الحكم الملكي. أما المدرسة الاولى فهي مدرسة بكر صدقي التي تأثر بها فريق من الضباط من أمثال عبدالكريم قاسم وفاضل عباس المهداوي وآخرون من هذه المدرسة.

فقد كان عبدالكريم قاسم متأثراً ببكر صدقي وبإبن عمته محمد علي جواد، قائد القوة الجوية الذي كان من اخلص الضباط لبكر صدقي وقتل معه في الموصل لم يكن إتجاه هؤلاء الضباط اتجاها قومياً، او كان قومياً ولكن ليس بمستوى الاتجاه الثاني. فكان اتجاههم اكثر تركيزاً على العراق. اما المدرسة الثانية فهي مدرسة صلاح الدين الصباغ وجماعته التي تأثر بها عدد من الضباط ومنهم عبدالسلام عارف وغيره، وكانوا في حينه ضباطاً صغاراً. انهم تأثروا بالروح القومية التي بدأها صلاح الدين الصباغ وجماعته، ولكن اختلاف هؤلاء الضباط، اعني اختلاف هاتين المدرستين بقي كامناً، لأن الظرف لم يكن مؤاتيا لبروز هذه الخلافات او الاجتهادات في موضوع الوحدة العربية قبل الثورة، ولكن عندما قامت الثورة أخذ الخلاف يطفو على السطح بفضل الثورة وكان من الطبيعي ان يتبلور اتجاهان سياسيان ظهرت معالمهما بعد الحرية النسبية التي تمتعت بها فترة ما بعد الثورة.

اما مسألة الاستئثار بالمبادرة بالثورة فربما كان لها ما يبرزها في اعتقاد البعض لنجاح الثورة حفاظاً على سرِّيتها، كما يعتقد آخر انها افرزت مضاعفات أدّت الى توسع شقة الخلاف بين الضباط الأحرار أكثر فأكثر.

وبشأن عدم تأسيس مجلس قيادة الثورة فإني من خلال تماسي المباشر بعدد من الضباط الاحرار، كنت اعرف ان ثمة اتفاقاً على تأسيس قيادة للثورة يضم عدداً من

مؤسسي حركة الضباط الاحرار والهيئة العليا للحركة، علاوة على الضباط المنفذين لعملية الثورة، اي القادة الحقيقيين في يوم الثورة، بيد ان شيئاً من هذا لم يحدث. لذا بدأ الهمس بين الضباط، وخصوصاً الضباط الذين كان من المتوقع ان تظهر اسماؤهم في هذا المجلس المنتظر.

ومن خلال إطلاعي المباشر على ما دار بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف بصدد تشكيل هذا المجلس عندما دبّ الخلاف بينهما توصلت الى قناعة ان كلاً من عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف لم يكونا مؤمنين تماماً بضرورة تشكيل هذا المجلس بالرغم من ان كلاً منهما كان يتهم الآخر بعدم الرغبة في تشكيل هذا المجلس. ففي أول اجتماع بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف بعد تدهور العلاقة بينهما وكنت قد أعددت لإصلاح الحال كما ذكرت سابقاً، قال عبدالكريم قاسم لعبدالسلام عارف، وانا حاضر: «حين اردنا تشكيل مجلس قيادة الثورة عارضت ورفضت، والآن تطالبني بتشكيله، وانا لا أتفق معك الآن في تشكيل مثل هذا المجلس».

واعتقد ان عبدالسلام عارف انما عارض في البداية تأليف مجلس قيادة الثورة لأنه كان يؤكد مسألة أعاد تكرارها في اجتماعه المذكور مع عبدالكريم قاسم وهي لماذا يؤتى بأشخاص لم يقوموا بالثورة فعلاً؟!.

أي ان عبدالسلام عارف كان يريد ان يكون قوام هذا المجلس من اشخاص اسهموا فعلاً في تنفيذ الثورة يوم ١٤ من تموز ١٩٥٨، وهذا معناه ان عبدالكريم قاسم كان ينوي او ربما كان قد اقترح بعض الاسماء ممن لم يسهموا في تنفيذ الثورة او الاشتراك فيها. وهذا مجرد استنتاج فربما اراد عبدالكريم قاسم اشراك بعض الحركات الوطنية في العراق في قيادة الثورة، ولكن من جهة اخرى كانت هناك اشاعة مفادها ان عبدالسلام عارف عندما عاد ليطالب بمجلس قيادة طلب منه عبدالكريم قاسم تقديم أسماء الذين يقترح هو ان يمثلوا المجلس فجاءت الاسماء كلها من كتلة منحازة الى عبدالسلام عارف وليس الى عبدالكريم قاسم، ومن هنا جاء توجس عبدالكريم قاسم ثم رفضه لفكرة قيام مجلس قيادة الثورة أساساً.

وعلى هذا بدأت هوة الخلاف تتسع بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف. وقبل انكشاف هذا الخلاف صريحاً كان ثمة همس يدور حول هذا الخلاف بين الضباط المحيطين بهما، ولكن الخلاف بدا جلياً في بداية تشرين الأول من عام الثورة.

اذكر ان طاهر يحيى جاء الى كربلاء وكان آنذاك مدير الشرطة العام، وقال لي: «ان قادة الفرق في بغداد اجتمعوا لمحاولة ايجاد حل للخلاف الناشب بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف، فأريدك يا ابا فرهاد ان تأتي معي الى بغداد، ولكي نتعاون معاً لوضع حد لهذا الخلاف». وفعلا وجدت دور طاهر يحيى بهذا الخصوص أخوياً وصادقاً، فقد كان يريد ان يحافظ على الثورة وخشية ان تسوء الأمور سافرت معه الى بغداد حالاً واتجهنا مباشرة الى وزارة الدفاع، لكننا لم نجد عبدالكريم قاسم في الوزارة، فآثرنا ان نذهب الى عبدالسلام عارف في داره، اذ كنا قد عرفنا انه في غاية التأثر والانفعال. وما ان استقبلنا حتى قال بإنفعال شديد: «انا الذي فجّرت الثورة وقضيت على الاستعمار في العراق ثم يأتي صديق شنشل هو الذي يصدر أمراً بتعييني سفيراً في بون». كان شنشل آنذاك وزيراً للخارجية وكالة في غياب عبدالجبار الجومرد. ثم أردف عبدالسلام قائلاً: «انا لن اسافر وزوجتي مريضة». فبدأنا انا وطاهر يحيى نحاول تخفيف انفعاله وقلنا له: «يا عبدالسلام، نحن اخوتك وانت وعبدالكريم قاسم اخوان، فهيا معنا نذهب عند عبدالكريم قاسم، لعلكما تتفقان ويسوى الأمر بينكما: لأننا لانجد مبرراً لهذا الخلاف الذي هو ليس شخصياً، لأن نتائجه ستكون سلبية على الثورة واهدافها. كما ان مثل هذا الخلاف يشعر الناس الذين التفوا حول الثورة بالخيبة».

جاء عبدالسلام عارف معنا، وحين وصلنا مبنى وزارة الدفاع قال طاهر يحيى». انا سأذهب الى مديرية الشرطة العامة فلا اجد مبرراً لمجيئي»، فدخلنا انا وعبدالسلام عارف مبني وزارة الدفاع، ولم يكن عبدالكريم قاسم قد وصل بعد، فانتظرناه في غرفة احمد صالح العبدي، الحاكم العسكري العام، فطلبت منه ان يتصل بالزعيم عبدالكريم قاسم ويخبره هاتفياً، اننا في انتظاره. وفعلاً اتصل به ووصل عبدالكريم قاسم بعد نحو نصف ساعة، فطلبت من احمد صالح العبدي ان يدخل عبدالسلام عارف على عبدالكريم قاسم، اذ فضلت ألاّ ادخل معه، ربما كانت بينهما بعض الأحاديث او أشكال العتاب الشخصي، فلبثت في غرفة احمد صالح العبدي، ولكني وجدت عبدالكريم قاسم يخرج من غرفته ليدخل الغرفة التي كنت جاساً فيها وانا انتظر، فأمسك بيدي وقال: «يافؤاد، انا احب ان تكون حاضراً معنا في هذا اللقاء». فدخلت معه الى غرفته. واستنتجت انه اراد ان اكون معه ومع عبدالسلام من دون احمد صالح العبدي، لأني سمعت عبدالكريم قاسم يقول: «يا احمد، ربما عندك اشغال تريد ان تقضيها في مكتبك فأذهب الى غرفتك». فنهض احمد صالح العبدي وادى التحية العسكرية، ثم دار النقاش بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف.

كان عبدالسلام عارف ينحي باللائمة على عبدالكريم قاسم بأنه فسح المجال لأناس لاعلاقة لهم بالثورة بالتدخل في شؤونها، وكان يقصد بعض العناصر الوطنية التي كان عبدالكريم قاسم يتعاطف معها، وادخل قسماً منها في الوزارة، وبدأت فعلاً تعبر عن ثقلها او عن وجودها بينما كان عبدالكريم قاسم يتهم عبدالسلام عارف بالتكتل وتأليب الضباط عليه وتكوين إتجاه مناوىء له. ويلومهُ على ارتباطاته واتخاذه بعض القرارات بمفرده واعطائه بعض التصريحات الكيفية التي لاتمثل رأي الثورة والتي لايجوز ان تصدر بشكل عفوي وإرتجالي. وكان دوري في هذا الاجتماع الساخن محاولة تهدئة الحوار بينهما في بداية الأمر.

في الواقع كنت اجد نفسي بين قوتين لايمكن ان تتفقا بالسهولة التي كنا نتصورها قبل لقائهما بحضوري، فعبدالسلام عارف كان يعتبر نفسه هو الذي قام بالثورة: لأنه هو الذي دخل بغداد صبيحة الرابع عشر من تموز وأذاع بنفسه البيان الأول وأعلن الجمهورية، وهذا الانتصار العسكري الذي لم يلق مقاومة عسكرية تذكر جعل عبدالسلام عارف يشعر بداء العظمة، حتى تلاشت الصورة الحقيقية لتنظيمات الضباط الاحرار ومجمل العوامل والاسهامات التي هيأت فرصة القيام بالثورة.

وقد وصل الأمر في بداية الثورة الى أنه اخذ يترفع على عبدالكريم قاسم وهو رأس التنظيم، واخذ يعامل عبدالكريم قاسم وكأنه ادنى منه رتبة وبشكل علني واحياناً متقصد، كي يثير إنتباه الآخرين، وفعلا تقبل عبدالكريم قاسم هذا التصرف منه في البداية. كان عبدالسلام عارف لسان الثورة، يتجول ويلقي الكلمات من مدينة لأخرى، ويدلي بالتصريحات حول مستقبل الثورة وعلاقاتها بالجمهورية العربية المتحدة من دون أي اعتبار لرأي عبدالكريم قاسم الذي كان قابعاً في مقره وزارة الدفاع؛ لذا فإن عبدالكريم قاسم لم يستطع ان يتحمل اكثر وعبدالسلام عارف ماض في التأليب عليه، اذ اخذت القوى الوطنية من الاتجاهين تسهم في دفع وتشجيع حالة الصراع بين الرجلين، القوميون يناصرون عبدالسلام عارف ويدفعونه باتجاه والقوى الوطنية الأخرى التي لم تكن تؤيد الوحدة او الوحدة الفورية تناصر وتدفع عبدالكريم قاسم بإتجاه آخر.

وكانت القوى الوطنية التي تناصر عبدالسلام عارف تتألف من الوحدويين وحزب البعث العربي الاشتراكي والقوميين العرب والاخوان المسلمين ومعظم المستقلين ممن لهم نزعة قومية او دينية. اما القوى الوطنية التي كانت تناصر عبدالكريم قاسم فقد كانت

تتمثل بالشيوعيين والوطني الديمقراطي والحزب الديمقراطي الكردستاني وكثير من الديمقراطيين ممن لم يجدوا مبرراً لقيام الوحدة الفورية بل لم يؤمنوا اساساً بمسألة الوحدة.

اما كيف دار النقاش والمتابعة بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف وكيف انتهيا؟ فقد فكرت مع نفسي ان اتركهما وحدهما قليلاً قد تكون بينهما بعض الاسرار، فأستأذنت بالخروج. وما ان خرجت من الغرفة ودخلت غرفة السكرتير حتى وجدت ناجي طالب ومحي الدين عبدالحميد وعبدالعزيز العقيلي وناظم الطبقجلي وعبدالوهاب الشواف امتلكهم العجب بسبب تركي لهما وخروجي من غرفة عبدالكريم قاسم، حتى ان اللواء الركن ناجي خاطبني مازحاً: «ابا فرهاد كملت الطبخة؟» قلت: «لاوالله». وفي تلك اللحظة سمعت عبدالكريم قاسم يناديني من غرفته التي تؤدي الى غرفة السكرتير قائلاً: «أين أنت ذاهب يا فؤاد؟»، فعرفت انه لايريد ان اتركهما وحدهما او ربما كان يخشى ان يبقى مع عبدالسلام عارف وحده، فعدت فوراً الى غرفته واوصدت الباب من ورائي وتشاغلت عنهما بالنظر الى بعض الصور المعلقة على الجدار والنقاش دائر بينهما وانا انتقل من صورة الى اخرى حتى سمعت عبدالكريم قاسم يصيح بحدة: «ياعبدالسلام خنت الثورة من اليوم الرابع لقيامها»، فالتفت الى عبدالكريم قاسم لأجده يخرج ورقة ويقول: «هذه برقية، بعث بها عبدالمجيد فريد، الملحق العسكري المصري في بغداد الى الرئيس جمال عبدالناصر»، وقد استطاعت بعض الجهات ان تستحوذ على هذه البرقية وتسلمها الى عبدالكريم قاسم. يذكر الملحق العسكري المصري ببرقيته مايأتي وقد قرأها عبدالكريم قاسم: «لقد اتصلت بعبدالسلام عارف وهو مصر على ان يقيم الوحدة الفورية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وسوف يرغم عبدالكريم قاسم على قبول هذه الوحدة، وإذا لم يوافق فسوف يتخلص منه». وفجأة وجدت عبدالكريم يصرخ قائلاً: «ولك انت شدتسوي؟» اي «ماذا تفعل؟» فالتفت الى عبدالسلام عارف اذا به قد سحب مسدسه وهو يهجم على عبدالكريم قاسم ممسكاً به وما كان مني إلاّ أن انقضضت بدوري على يد عبدالسلام عارف وامسكت به ثم بدأت ألوي ساعده حتى أخذت المسدس منه وكان يحاول عبدالسلام المقاومة ولكني سيطرت عليه فسقط على الأرض وهو يبكي.

دفعت الضجة التي حدثت في غرفة عبدالكريم قاسم الى فتح الباب ودخول السادة الذين ذكرت انهم كانوا جلوساً في غرفة السكرتير بالاضافة الى عبدالكريم الجدة آمر

الانضباط العسكري ووصفي طاهر، مرافق عبدالكريم قاسم، وكان اول الداخلين هو محي الدين عبدالحميد وبدأ عبدالسلام عارف يبكي وهو ملقى على الارض، وكنت اقوم بتفريغ المسدس من إطلاقاته.

وجدت عبدالكريم قاسم يصيح قائلاً: «لولاك لإغتالني عبدالسلام»، فقال عبدالسلام: «انا لم انو قتلك» فقال عبدالكريم قاسم: «اذن لماذا سحبت مسدسك؟» قال عبدالسلام: «كنت اريد ان انتحر» فقال له عبدالكريم قاسم: «إذا كنت تريد أن تنتحر، فانتحر في بيتك، اما هنا فانك قد سحبت مسدسك في حضور رئيس الوزراء وهذه جريمة تحاسب عليها».

في الحقيقة اني لا استطيع ان اتهم عبدالسلام عارف بمحاولة الاغتيال، وهذا ما اكدته امام المحكمة العسكرية العليا[١].

وبعد اخذ المسدس منه سمعت عبدالكريم قاسم يقول: «انا اعرف ان هناك مؤمراة لإغتيالي وان تكتلاً من الضباط بتوجيه وتبرير عبدالسلام عارف يدبر للتخلص مني». وعلى اي حال بقينا هناك حتى حلّ المساء، واذكر ان الدكتور محمد الشواف جاء ايضاً واخذ الجميع يقنعون عبدالسلام عارف بالسفر الى بون ولو بصورة مؤقتة لبضعة اسابيع ريثما تعود الظروف الى احوالها الطبيعة.

وبعد ذلك وصل طاهر يحيى ليأخذ عبدالسلام عارف ليوصله الى بيته. واذكر ان عبدالسلام طلب مني راجياً ان اطلب من عبدالكريم قاسم ان يكون في توديعه في المطار صبيحة يوم سفره، اي في اليوم التالي، وذلك تحسباً لبعض الاعتبارات ولكيلا يتصور الناس ان في الأمر انتقاصاً من شخصية عبدالسلام عارف، قلت له: «بأنني سأقوم بإقناع عبدالكريم ليأتي الى توديعك في المطار وسنكون هناك إن شاء الله لتوديعك».

---

(١) كان فؤاد عارف الشاهد الاول في قضية عبدالسلام عارف امام المحكمة العسكرية العليا في السابع والعشرين من كانون الاول من العام ١٩٥٨، ومما قاله في شهادته: «كل واحد له ضمير وشرف يتألم لهذه الظروف الحالية، لأني كنت اعرف علاقة عبدالسلام مع الزعيم عبدالكريم، مثل اخ او اب ووالد»، وقلت لكليهما ان «الاستعمار يريد التفريق بينكما فيجب ان تكونا قلباً واحداً في جسمين، ولم يتكلم (عبدالسلام عارف) بأي كلمة ضد الزعيم لا قبل ١٤ تموز ولابعده» (ينظر نص شهادة فؤاد عارف في «وزارة الدفاع. القيادة العامة للقوات المسلحة. محاكمات المحكمة العسكرية العليا الخاصة»، عدد خاص، الجزء الخامس، ص١٩٨١– ١٩٨٦).

وبعد ان غادر عبدالسلام الى بيته وكان الوقت متأخراً، طلب عبدالكريم قاسم فيما بعد ان ابقى معه.

وفعلاً اعطاني سرير نومه وفرش لنفسه هو على الأرض. واذكر ان عبدالكريم قاسم قال لي قبل ان ينام: «والله يا اخي، يا ابا فرهاد، منذ ان قامت الثورة وانا وعبدالسلام ننام في هذه الغرفة واعطيه فراشي مثلما اعطيتك اياها الآن وانام أنا على الارض، ولكن فرقاً واحداً بينك وبينه، هو انه عندما كان ينام في غرفتي، كنت انام واصبعي على زناد مسدسي خشية غدره، بينما انا الآن سأنام الليلة مطمئناً منك...» وحاولت أن اخفف من انطباعه عن عبدالسلام، وطلبت منه أن يأتي معنا لتوديع عبدالسلام في المطار فوافق وفعلا ذهبنا صباحاً لتوديعه. واذكر ان قادة الفرق ايضاً كانوا في المطار وقد جاءوا لتوديعه.

وبعد سفر عبدالسلام عارف قال لي عبدالكريم قاسم: «يافؤاد أرأيت موقف عبدالسلام عارف مني؟ منذ بداية الثورة وهذا الرجل يريد ان يتخلص مني بكل وسيلة حتى بالقتل مع العلم انا الذي جئت به الى تنظيم الضباط الاحرار وفرضته في مواقع من تنظيمات الضباط الاحرار، وانما وافق الاخوة على قبوله نزولاً عند رغبتي وعلى مضض منهم، لأنه انسان غير منضبط والآن اتلقى جزاء مافعلت».

على أي حال، سألت عبدالكريم قاسم عن الشخص الذي يمكن ان يحل محل عبدالسلام عارف وزيراً للداخلية، ففكر ملياً ثم قال: «هل الزعيم الركن احمد محمد يحيى موجود في بغداد»؟ قلت: «نعم». قال «مارأيك لو عيناه وزيراً للداخلية؟» قلت: «حسنا تفعل». في الحقيقة كان المقرر تعيين احمد محمد يحيي متصرفاً للواء السليمانية، فذهبت اليه وكان نزيل احد فنادق بغداد واخبرته برغبة الزعيم عبدالكريم قاسم فقبل الرجل، وفعلا بعد ايام صدر مرسوم جمهوري بتعيينه وزيراً للداخلية.

ومن الجدير بالاستدراك انه بعد ان عرف عبدالسلام عارف بتعيينه سفيراً خارج العراق، في بون، قدم استقالته من منصبه الجديد، وعندما تسلم عبدالكريم قاسم استقالته مزقها ورماها ارضاً. وانما استقال عبدالسلام عارف من منصبه محتجاً بقوله: «اقوم انا بالثورة وصديق شنشل هو الذي يصدر الأمر بتعييني سفيراً...». كان صديق شنشل وزيراً للإرشاد ووكيل وزير الخارجية يومئذ.

موقفي من قرارات الاعدام

وبعد ان ابعد عبدالكريم قاسم عبدالسلام من الساحة السياسية خلا الجو لأنصاره من الشيوعيين وغيرهم، فسيطر الحزب الشيوعي على الساحة وبدأ بمحاربة جميع الأحزاب المناوئة لعبدالكريم قاسم وكان عبدالكريم قاسم يعتقد ان الحزب الشيوعي انما يعمل من أجله ناسياً انه كان يعمل من أجل نفسه لتثبيت قدميه وتحقيق مكاسبه الحزبية، فأخذ الحزب الشيوعي يتمادى في اتهام هذا وذاك بالتآمر على الجمهورية ويطالب بإحالتهم الى محكمة الشعب، وشرعت محكمة الشعب بمحاكمة هذا وذاك وتصدر الاحكام القاسية بحقهم، ولن اكون مغالياً اذا قلت ان عبدالكريم قاسم- كما اعتقد- لم يكن سيقدم على الموافقة على إعدام أي شخص لأسباب سياسية، وهذا انطباعي الشخصي عن هذا الرجل قبل الثورة وبعدها. وكان الرجل يؤمن بالديمقراطية والحوار، ولكن الأيام جعلتنا نشهد أُحكام الاعدام بحق اناس اسهموا بالثورة او الاعداد لها وزاملوا عبدالكريم قاسم ورافقوه.

في الحقيقة كان لهذا الامر، اي تنفيذ حكم الاعدام وخصوصاً شهداء ام الطبول، وقعه النفسي الكبير عليَّ، واستطيع ان اقول ان احد ابرز عوامل برود العلاقة بيني وبين عبدالكريم قاسم كان موضوع إعدام هؤلاء الشهداء، لكن الذي يحير فعلاً ان عبدالكريم قاسم لم يعدم عدداً من الاشخاص الذين استهدفوا حياته وعلى طريقة (عفا الله عما سلف) المقولة التي شاعت في عهده وارتبطت به، هذا من جهة ومن جهة اخرى كانت المفاجأة كبيرة عندما وجدنا عبدالكريم قاسم ينفذ حكم الاعدام في بعض المحكومين، لأننا كنا نعتقد انه سيؤجل التنفيذ او يخففه لاعتبارات عديدة، ولكن كما يبدو لي ان بعض العوامل ادت دوراً في تأليب عبدالكريم قاسم وملء صدره بالحقد الى درجة الخروج من سجيته المعهودة. فالمعهود منه، حسب اعتقادي، انه لم يكن- كما اشرت- ميالاً الى الاعدام، واعني بالعوامل هنا الضغوط التي تؤثر فيه. وقد ادى الحزب الشيوعي العراقي دوراً كبيراً في هذا الموضوع بلا شك. ومما يؤكد لي هذا، ان عبدالكريم قاسم كان متذبذباً بشأن تنفيذ الاعدامات. فان قضية سعيد قزاز، على سبيل المثال، كانت اول قضية اعدام تواجه الجمهورية. اردت التدخل فيها لدى عبدالكريم قاسم لإنقاذه لا لأنه كردي من مدينتي. فإن الرجل كان من وجهة نظري ومن وجهة نظر الكثيرين لايستحق الاعدام او في الاقل يستحق العفو، لأنه انقذ بغداد من الغرق قي العام ١٩٥٤ ورفض تخلية العاصمة

بسبب الفيضان ولو حدثت التخلية لحدث ما لاتحمد عقباه. كان سعيد قزاز رجلاً يطبق القانون، جريئاً، نزيهاً في تطبيق القانون. وقد حاولت مع المهداوي واعضاء المحكمة العسكرية ثم مع عبدالكريم قاسم نفسه الذي قال لي مانصه: «دع المحكمة تفعل ما تفعل وانا لا أقتل ذبابة» لذا كنت في البداية اعتقد ان عبدالكريم قاسم لن يعدم في عهده اي أنسان لسبب سياسي، بيد انه تغيّر، فقد وقع تحت تأثير وايحاءات ضرورة الاعدام والا فسيزاح لامحالة. واذكر مرة انه كان يخطب في سينما الخيام عندما امتلكته ثورة من غضب وهو يخاطب الجمهور قائلاً: «لماذا تطلبون مني وتنادون دائماً اعدم... اعدم... لماذا لا تطلبون شيئاً آخر، لماذا لاتنادون ببناء مصنع؟».

من هنا اقول ان عبدالكريم قاسم لم يكن في اعماقه يحمل نزوعاً حقيقياً او رغبة في الاعدام انما وقع تحت تأثير البعض. فأعدم سعيد قزاز. وبالرغم من اني كنت متصرفاً ثم وزيراً في عهد الجمهورية الجديد الذي جاء ليحاكم رجال العهد البائد، وكنت اشعر من خلال مجريات المحكمة مع سعيد قزاز ولغة المحكمة وتباين المنطق بين المتهم والحاكم، كم كان سعيد قزاز ارفع من مستوى المحكمة التى حاكمته؟ هذه حقيقة أقولها للتاريخ. ولعل كل من قرأ وقائع تلك المحكمة لتوصل الى ما ذهبنا اليه تواً[١].

ان محاكمة سعيد قزاز هزّت مشاعري، ولاسيما تلويح بعض من المهرجين بالحبال في قاعة المحكمة حسب ماسمعت من أهله. فذهبت صباح اليوم التالي، وقابلت قاسماً وقلت له بالحرف الواحد: «لقد فقدت العدالة من هذه المحكمة وباتت محكمة المهداوي مهزلة ليس إلاّ». وصادف ان دخل المهداوي علينا في تلك اللحظة، فسألته مباشرة قائلا: «أمحكمة كانت الجلسة التي حضرتها أمس أم مهزلة؟» ولم ينبس المهداوي ببنت شفة، ولكني وجدته يشير الى عبدالكريم قاسم موحياً ان عبدالكريم هو الموجه. ثم قال له عبدالكريم قاسم: «اذهب وداوم على مهرجاناتك». قلت عبدالكريم: «امهرجانات تلك ام مهازل؟». واردفت قائلاً: «لا ادري هل الزعيم يوافق على مثل هذه المهازل؟».

اما محكمة ناظم الطبقجلي وجماعته، فقد كان ناظم الطبقجلي احد الضباط الأكفاء ومن المخلصين لهذا الوطن، وكان حريصاً على التقاليد العسكرية، وكان صديقي منذ العام ١٩٥٤ في جلولاء، تجمعنا مودة وصداقة واحترام.

---

(١) عندما صدر حكم الموت بحق سعيد قزاز قال قولته الخالدة: «سأصعد فوق المشنقة وأرى تحت اقدامي أناساً لايستحقون الحياة».

ليست لدي معلومات حقيقية عن المحاولة التي اراد بها ناظم الطبقجلي او دوره في هذه المحاولة للإطاحة بعبدالكريم قاسم، اذ لايمكن للقارىء ان يراجع المصادر والصحف ووقائع المحاكمات حول الموضوع، لكن الذي لابد من ذكره ان الطبقجلي كما كنت اعرف، كان غير راض عن صيغة الحكم وعما آل اليه الحال في الجيش. وبحكم وطنيته وروحه العسكرية لم يستطع الاصطبار. ومما اذكر اني حين كنت وزيراً واقوم بجولة في كردستان، وعقب عودتي من السليمانية استقبلني في كركوك وطلب مني ان يحدثني في مسائل مهمة، وكان يتحدث متألماً مما آلت اليه الأمور. فقد كان في قلق على ما يجري، فأكّد لي مسألة ضعف الضبط بين العسكريين بسبب الحزبية التي تغلغلت في صفوف الجيش واستشراء الفوضى في حياة المدينة بكركوك بسبب البارتيين والشيوعيين والقوميين والتركمان. وكيف ان الشيوعيين يؤدون دوراً ضاراً بمصلحة الجيش العراقي وتقاليده. ورجاني باخلاص ان افاتح عبدالكريم قاسم بهذا الشأن فنقلت له بدوري معاناة الطبقجلي وكنت مؤمناً بما يؤمن به الطبقجلي من الناحية العسكرية، لكن عبدالكريم قاسم ضحك وقال: «اعرف ماذا يقصدون. انهم يريدون ان يتآمروا علي. وقد وضعتهم تحت المراقبة. ولدي تقارير عنهم، ولكن انتظر القبض عليهم متلبسين بالجريمة».

وعلى الرغم من ان قراراً صدر في ٢٩ كانون الاول ١٩٥٨ يقضي بابعاد الجيش عن التكتل الحزبي غير ان القرار ظل حبراً على ورق. واعتقد ان عبدالكريم قاسم كان في تلك الفترة اضعف من ان يتصدى للحزبية في الجيش.

فقد كان الامر قد خرج من يده. وكذلك كان يخشى ان يتخلى الشيوعيون عنه والمؤيدون له من الاطراف السياسية الاخرى فآثر الابقاء على الحالة الراهنة في صفوف الجيش، لكن لابد من القول ان الجيش العراقي عاش حالة فوضى وضعف في الضبط في تلك الفترة لم يعشها خلال كل حياته منذ تأسيسه حتى يومنا هذا. ومن جهة اخرى كان ناظم الطبقجلي يؤكد على توضيح مسألة هوية الحكم او طابعه لكن الفوضى كانت سائدة. صحيح ان الحكم صار جمهورياً بعد ان كان ملكياً، ولكن الفوضى كانت سائدة ويغلب على الحكم طابع الارتجال. وكان الطبقجلي احد المطالبين بإعلان اهداف الثورة ضمن المنهاج الوزاري. وان ما اكده الطبقجلي في حينه بدأ يؤكده الكثيرون حتى من مؤيدي عبدالكريم قاسم انفسهم. فكان ثمة مطلبان رئيسيان: الحزبية في صفوف الجيش وهوية الحكم وتوضيحها.

اذكر انه عندما كان لدينا اجتماع مجلس وزراء، وكانت اجتماعاتنا تعقد كالمعتاد ليلاً. ولما وصلت وزارة الدفاع، حيث نجتمع، لم اجد الوزراء، فذهبت الى غرفة احمد صالح العبدي، الحاكم العسكري العام.

وعندما دخلت غرفته وجدت الفريق نجيب الربيعي، رئيس مجلس السيادة ومحي الدين عبدالحميد واحمد صالح العبدي جالسين، وحزن كبير يخيم على وجوههم، حتى انهم كانوا في حالة شبه بكاء فالدموع قد ملأت عيونهم، واعتذرت، وظننت ان اجتماعاً خاصاً يجمعهم. فقالوا: «تفضل وحسناً فعلت، حين جئت اما سمعت؟»، قلت: «كلا ماذا؟» قالوا: «سينفذ حكم الاعدام برفعت الحاج سري وناظم الطبقجلي والمجموعة كلهم غداً».

فعجبت للأمر: لأننا كنا نتوقع ان عبدالكريم قاسم سيغض النظر عن الموضوع او ربما يلغي الحكم. سألت نجيب الربيعي: «هل قام بمحاولة ما؟» أجاب: «كلا، اننا لم نستطع ان نفعل شيئاً. هل بإمكانك ان تقوم بشيء؟» نهضت وذهبت الى عبدالكريم قاسم، وهو في غرفته ورجوته بحرارة ان يعدل عن رأيه، وألاّ يقدم على تنفيذ حكم الاعدام فيهم، فقال: «فؤاد لاتتدخل في هذا الأمر. ان هؤلاء خونة متآمرون عليّ، ولقد قررت اعدامهم. انهم كانوا يريدون اغتيالي وهدم الثورة». فاحتد الكلام والنقاش بيننا ووصلت المشادة الى ان دفعني خارج غرفته واغلق الباب ورائي بقوة. واذكر ان مرافقه وصفي طاهر الذي كان هناك قال لي: «كيف تدافع عن المتآمرين؟!».

عدت الى غرفة الاجتماعات، وتم الاجتماع ولم يتحدث اي من الوزراء عن هذا الموضوع، ولكن الألم كان واضحاً على وجوه الكثير من الوزراء.

وبحسب علمني انه لم يفاتحه احد من الوزراء حول العدول عن رأيه في تنفيذ حكم الاعدام سواي. للأسف نفذ حكم الاعدام فعلا صباح اليوم التالي. والحقيقة ان علاقتي به ساءت بعد إعدام هؤلاء الضباط.

كنت اتألم دائماً عندما اجد هذه النخبة الممتازة من ضباط جيشنا الاحرار وقد اصابهم هذا الصدع والتحاقد. كم كنت اتألم عندما شعرت ان الخلاف دبَّ بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف، وكم حاولت اصلاح ذات البين وانعاش العلاقة بينه وبين الضباط الاحرار ممن شاركوا في تفجير الثورة. في احد الايام كان عبدالكريم قاسم يشعر بشيء من الضيق فطلب مني ان نذهب عنده ونتناول الغذاء معه، فقلت: «كلا، تعال نتناول الغذاء عندنا». وفي الطريق طلبت من السائق التوجه بحسب ارشاداتي. واخيراً وصلنا الى دار

طاهر يحيى في الصالحية، ولم يكن عبدالكريم يدري ما انويه. هناك قلت: «أن لطاهر يحيى حقاً عليك، وهو زميلك وضابط من الضباط الاحرار، وله حق في ان تزوره»، وكان عبدالكريم قد فرض على طاهر يحيى الاقامة الجبرية في داره واحاله على التقاعد. وفعلا فرح بنا طاهر يحيى كثيراً، شاكراً تلك الزيارة. ومن هناك اشرت على عبدالكريم ان نزور ناجي طالب ايضاً، فزرناه وقد شكرني عبدالكريم بعد ذلك على هذه المبادرات الطيبة في بعث روح الاخوة والرفاقية بيننا، ولكن للاسف لم يستمر عبدالكريم قاسم في تحسين علاقاته مع صحبه، بل استمرت التقارير تؤثر فيه، ونشطت اجهزة الامن والاستخبارات التي لم تكن متطورة في زمن عبدالكريم لإرتباطهم في ذهن الناس بالاساءة وتعذبت الناس، إلاّ انها بدأت ترفع تقاريرها على هواها كل حسب مصلحته ومنظوره الخاص، وهذه هي من وجهة نظري احد الاسباب التي ادت الى نجاح الاطاحة بنظام عبدالكريم قاسم. بقي ان اقول، ان عبدالكريم كان يعتمد على بعض الاشخاص ممن يقدمون له التقارير السرية، فاذكر من هؤلاء محسن الرفيعي مدير الاستخبارات العسكرية وعبدالمجيد جليل مدير الامن العام اللذين كانا معتدلين ومنصفين، ولم تكن هذه الاجهزة ارهابية.

لم يكتف عبدالكريم قاسم بهذه المعلومات من الاجهزة الرسمية، فأخذ يعتمد على بعض الاشخاص في الشمال والجنوب من امثال عبدالجبار حمزة وكمال عثمان وطاهر الدباغ، وكان احياناً يقارن بين هذه المعلومات وما تأتيه من معلومات ترسلها الاجهزة الامنية. واعتقد ان كثيراً من المعلومات الواردة من هؤلاء الاشخاص كانت غير منطقية وغير صحيحة.

كانت هناك محاولات للاطاحة بعبدالكريم قاسم، يعرفها الناس جميعاً، مثل حركة الشواف ومحاولة اغتياله في شارع الرشيد وثورة ١٤ رمضان التي نجحت في الاطاحة به واعدامه. اما المحاولات الاخرى فاننا كنا نسمع بين حين وآخر عن وجود تآمر، ولكن لانعلم مدى صحة هذه الشائعة او تلك. والذي اعرفه ان هذا المطلح (متآمر) اصبح في وقت ما من المصطلحات الشائعة. ولقد اطلق بإسراف على أناس كثر. فكان من السهل جداً ان يطلق على اي كان، لعله قاد بعضهم الى السجن او الضرب والاهانة، بل كلف بعضهم الآخر حياتهم، كما حدث في حوادث الموصل وكركوك. فقد ذهب بعض الناس الابرياء ممن لم يكونوا حتى على علم بما يجري او بالسبب الذي أدى الى تنفيذ الموت فيهم.

تصور، حتى سميت يوماً ما متآمراً. لقد وصل الابتذال بهذا المصطلح الى حد ان اخذ البعض من المتحمسين لعبدالكريم قاسم وبعض المتطرفين من الشيوعيين يطلقونه على كل فرد ممن اراد ان (ينتقد) حالة ما في نظام عبدالكريم او اراد ان ينتقد الوضع العام او يعترض او يُبين عدم رضاه عن ظاهرة ما.

والحق اني لا أعرف مدى صدق هذه الشائعات حول التآمرات ولكن الذي اعرف ان رشيد عالي الكيلاني وهو صديقي وتربطني به علاقة ودية اقتيد الى المحكمة وافرج عنه، ثم لم يلبث ان اقتيد ثانية الى المحكمة واجريت محاكمته ثانية وحكم عليه بالاعدام بتهمة تآمره على الدولة ومحاولته اسقاط نظام الحكم، ولكن لم ينفذ فيه الحكم واطلق سراحه، وغادر العراق،ثم عاد بعد ثورة ١٤ رمضان.

وقد يثار سؤال عن ورود اسمي في قائمة اسماء الوزراء الذين اتفق عليهم من قبل جماعة رشيد عالي الكيلاني ان يديروا الحكم بعد اسقاط نظام عبدالكريم قاسم. في الواقع اني فوجئت بهذا الأمر اذ لم يكن لي اي علم وصلة بهذا الموضوع اطلاقاً. فألححت على عبدالكريم قاسم ان يطلب من الهيئة التحقيقية الافصاح عن أي صلة لي بهذا الموضوع، فتبيّن أن لا علاقة بذلك. اما لماذا اختارتني هذه الجماعة؟ ألمجرد اني، على حد تعبيرهم، رجل طيب ولاغير؟!.

وفي خضم هذه الصراعات، ربما كان ثمة من يشجع عبدالكريم قاسم على تحصين نفسه بتشكيل حزب سياسي، ولكن قاسما كان يرفض هذه الفكرة أساساً، ويقول: «انا فوق الميول والاتجاهات»، وكان يتصرف من فوق الاحزاب السياسية، وحتى علاقته بالحزب الشيوعي كانت محدودة ومؤقتة.

فلما وجد ان مطالبه وحجمه بدءا يتضخمان على حساب الدولة ورئيس الدولة وضع حداً لذلك، وجاءت مشكلة كركوك مبرراً جيداً له للكشف عن الحساب مع الحزب الشيوعي. واني اعتقد ان عبدالكريم كان مصيباً في رفضه لفكرة تأليف حزب سياسي برئاسته، لأنه كان سيحجم شخصيته او وجوده بحجة حزبه، في حين كان عبدالكريم قاسم يبني علاقات او يرغب في بناء علاقات مع الناس اي مع الشعب لا على أساس تكتلاتهم بل على اساس عراقيتهم بغض النظر عن كل شكل من اشكال التمايز الجغرافي او القومي او حتى السياسي. اقول، ان عبدالكريم كان رجلاً عراقياً له مواصفات العراقي...

كان الرجل انساناً بكل معنى الكلمة، واقصد بالبساطة هنا التواضع، كان لايعرف

الحقد، كريم النفس، سخياً لايعرف البخل، غيوراً على العراق، طالباً وضابطاً. كان كتوماً جداً، حتى اننا كنا في فترة ما نعتقد انه من المخلصين لنوري السعيد. كان قبل الثورة قليل الكلام، ولا اعرف كيف حلت عقدة لسانه بعد الثورة، وغدا خطيباً يحتكر لنفسه معظم اوقات التلفاز والاذاعة. ولعل كل من عرف عبدالكريم قاسم يقول: «كيف اصبح هذا المقل في كلامه على هذه الدرجة الكبيرة من القدرة على الكلام؟!». حقاً اننا لم نجد عبدالكريم يوماً ينتقد الحكم الملكي غير المنضمين الى حلقته في تنظيمات الضباط الاحرار. وفي اعتقادي ان مسؤولية قيادة العراق كانت اكبر من قدراته الحقيقية، وربما كان هذا سبب فشله، ولكنه كان ضابطاً جيداً وشجاعاً.

اما عبدالسلام عارف فكان جريئاً وجيداً، لكن جرأته فيها شيء من التهور احياناً، غير قادر على صياغة افكاره بلغة موزونة، لذا وجدناه يقع في مطبات ومزالق اثناء خطاباته، كما كان سليط اللسان قلما يحترم مقابله. وكان اتجاهه الى الوحدة العربية واضحاً، لكني اعتقد انه وظّف هذا الإتجاه واستثمره لا من اجل الوحدة ذاتها بل من اجل عزل عبدالكريم قاسم قومياً، وتأليب الجماهير عليه وهو لم يكن بمستوى حماس عبدالسلام عارف في موضوع الوحدة والوحدة الفورية خصوصاً وان مايجعلني اذهب الى هذا الاعتقاد ان عبدالسلام عارف عندما اصبح رئيساً للجمهورية لم يحقق الوحدة الفورية التي كان يطالب بها في عهد عبدالكريم قاسم، بل لم يتحدث عن فورية هذه الوحدة اصلاً.

وزيراً في وزارة عبدالكريم قاسم

بعد سفر عبدالسلام عارف الى بون سفيراً وتعديل الوزارة اصبحت وزيراً للدولة لشؤون الاوقاف، وكان من عادتي في الذهاب الى اجتماعات مجلس الوزراء ان اصاحب السيد خالد النقشبندي عضو مجلس السيادة بسيارته، وكان يجاورني في مسكني في منطقة العلوية، مقابل مستشفى السلام، في الذهاب الى وزارة الدفاع، حيث كان يعقد مجلس الوزراء، وكنت اترجل في الباب الشرقي واقطع شارع الرشيد مشياً على الاقدام الى مقهى حسن عجمي في الحيدرخانه، حيث التقي عدداً من اصدقائي القدامى، مثل العقيد المتقاعد محمد خورشيد[١] والمقدم المتقاعد مصطفى احمد، والمقدم المتقاعد حكيم طاهر وغيرهم.

(١) من الضباط الكرد المعروفين، ينتمي الى عشيرة (دهلو) في منطقة كركوك، اشترك بحماس في الخطة التي اودت بحياة بكر صدقي في آب ١٩٣٧، فقد كان يحمل في اعماقه حقداً دفيناً تجاه قائد =

وكنا نشرب النارجيلة الى ان يحين موعد اجتماع مجلس الوزراء. كنت اترك المقهى واتجه إلى وزارة الدفاع. ففي احدى المرات كنت اتمشى مع صديقين إلى ان وصلنا الى وزارة الدفاع مشياً على الاقدام، وكان موعد اجتماع مجلس الوزراء حوالي العاشرة اعتيادياً، فودعتهم ودخلت وزارة الدفاع وارتاب في امري الحرس ولم يعرفوني، فقالوا: «من أنت؟» فقلت: «أنا متعهد الارزاق!» صاح الجندي الحارس: «والله خوش متعهد للأرزاق، يجي نص الليل يسلم الأرزاق، تعال آمر حرس! شوف الأفندي شي يكول، جاي نص الليل يكول آني متعهد الأرزاق». فعرفني آمر الحرس فأدى لي التحية وقال: «هذا الجندي ما يعرف حضرتك». فألتفت الى الجندي وقال: «ولك اللواء فؤاد عارف، وزير الدولة». فأعتذر الجندي وقال: «شمدريني سيدي، انت نص الليل جاي، داخل وزارة الدفاع، نص الليل وين دائرة، وين ارزاق وين؟!»، ضحكنا جميعاً، ودخلت الوزارة.

= الانقلاب بكر صدقي؛ لأن الاخير وقف قبل الانقلاب الى جانب لازار، الضباط اليوناني الاصل في الجيش العراقي الذي تعرض الى اعتداء محمد خورشيد في شجار نشب بينهما، الأمر الذي استغله اعداء بكر صدقي للتأثير فيه، وكان معروفاً خصوصاً بالجرأة وروح الاقدام.

عبدالكريم قاسم ووزير الدولة فؤاد عارف في احتفال عيد الشجرة ٢١ آذار
عام ١٩٥٩، الى يمين فؤاد عارف اسماعيل عارف

عبدالكريم قاسم ووزير الدولة فؤاد عارف في احتفال عيد الشجرة ٢١ آذار عام ١٩٥٩، يبدو في الصورة حافظ علوان مرافق عبدالكريم قاسم و اللواء الركن علي عزيز معاون رئيس اركان الجيش

عبدالكريم قاسم ووزير الدولة فؤاد عارف في احتفال عيد الشجرة ٢١ آذار عام ١٩٥٩، يبدو الى يسار عبدالكريم قاسم علي وزير العدل ويظهر خلفهما طارق فهمي سعيد متصرف بغداد

فؤاد عارف، عبدالكريم قاسم، عبدالسلام عارف وطاهر يحيى قبل
ثورة ١٤ تموز في منتجع شيخ باوه

عبدالكريم قاسم الى يمينه فؤاد عارف واللواء مجيد حسن أمين العاصمة.
التقطت الصورة في ٢١ آذار ١٩٥٩

عبدالكريم قاسم في احتفال نوروز الذي اقيم في قاعة كلية العلوم ليلة ٢٠-٢١ آذار عام ١٩٥٩. الى يسار عبدالكريم قاسم هديب الحاج حمود، والى يمينه مرافقه الاقدم وصفي طاهر ووزير الدولة فؤاد عارف

الرئيس الاندنوسي سوكارنو في بغداد. من اليمين الى اليسار: نجيب الربيعي واحمد سوكارنو وفضل عباس المهداوي وهاشم جواد وفؤاد عارف و عبدالكريم جده آمر الانضباط العسكري

عبدالكريم قاسم في حفل افتتاح كنيسة مار يوسف ببغداد في ١٩ تموز ١٩٥٩. يبدو في الصورة حاخام اليهود في العراق

من اليمين الى اليسار عبدالكريم قاسم وفؤاد عارف و اسماعيل عارف

احمد محمد يحيى و فؤاد عارف مع شوان لاي وزعماء الصين في تشرين الاول ١٩٥٩

فؤاد عارف مع احمد صالح العبدي رئيس اركان الجيش و الحاكم العسكري العام.
التقطت الصورة في ٢٥ ايلول ١٩٥٩

وفي اجتماعات مجلس الوزراء كان كل وزير يتحدث عن شؤون وزارته، ولم نكن نتحدث عن الشؤون السياسية المحتدمة في البلد. حتى أني لم اسمع بمشكلة كركوك إلاّ في الليلة التي كنت مع عبدالكريم قاسم في الكنيسة، عندما ألقى خطابه المعروف في توجيه اللوم الى الحزب الشيوعي وانتقاده أعمالهم. وأكاد اقول اننا كنا نجتمع كل ليلة. ان اجتماعات مجلس الوزراء كانت تستمر حتى الصباح وفي الصباح كان عبدالكريم قاسم يخرج من جيبه نصف دينار ويرسل احد المراسلين لشراء قدر باقلاء (المطبوخ) مع عدد من أرغفة الخبز من باب المعظم كي يفطر مجلس الوزراء ثم نشرب الشاي ونغادر كل الى وزارته. وكان احياناً يشتري لنا (گيمر) القيمر.

بعد استقالة السيد عبدالوهاب أمين من وزارة الزراعة اصبحت وزيراً لوزارة الزراعة وكنت أعرف أني فقير في خبراتي الزراعية لبعدي عن طبيعة هذا العمل، لكني مع ذلك أكدت على الجانب الإداري واجتمعت بالمسؤولين في الوزارة وطلبت منهم عند رفع اي قضية لي لإستحصال موافقتي ان يرفق معها ملخص يتضمن رأي المختص كي لا أخطيء في موافقتي أو في رفضي معتقدا ان الرجل الاداري عليه ان يعتمد على آراء المختصين، وكانت وزارة الزراعة هي وزارة الري والاصلاح الزراعي آنذاك فاستفدت من خبرات احد الموظفين من ذوي الخبرة الجيدة فجعلته مستشاراً لي مع العلم انه كان محسوباً على العهد الملكي وهو الدكتور احمد سلمان الذي كان ذا خبرات واسعة في شؤون هذه الوزارة فأعتمدت عليه، ولما اصبح عادل جلال وزيراً للزراعة بعدي أراد عبدالكريم قاسم العثور على نقاط ضعف هذه الوزارة ابان وجودي بقصد التشهير بي، لكنه لم يفلح. والحقيقة اني لم اكن ابت في أمر إلاّ بعد تفكير واستشارة وقناعة واستئناس برأي المدير العام والمستشار المخص. لذا لم يجدوا نقصاً او نقطة ضعف تسجل على وزارتي. ولقد اعطيت حرية كاملة للمدراء فأخلصوا في العمل وحاولوا دوماً الاجتهاد لمصلحة استنهاض الوضع الزراعي فى البلد. حقاً اني عندما اصبحت محافظاً لكربلاء كانت معاناتي اكبر من استيزاري، لأني كنت آنذاك حديث العهد بالعمل الاداري، وكنت قد قضيت حياتي عسكرياً (آمراً) لم اتعود ان يجادلني من هو ادنى مني رتبة. لما اصبحت محافظاً وجدت مدير البلدية مثلاً ومدير دائرة ما يقول لي «هذا ما يصير سيادة المتصرف لانه يتقاطع مع كذا... الخ» في حين ان الحياة العسكرية لايسمع الآمر فيها من المأمور عبارة (هذا ما يصير) وليس هناك مجال الاجتهاد من قبل الأصغر، ولكني اعتدت من بعد. ولما غدوت وزيراً كنت قد اعتدت العمل المدني او الوظيفة المدنية.

اما الجو السائد في مناقشات مجلس الوزراء فلم يكن ليتيح الحرية الكافية لكي يستطيع الوزراء التصريح بما يجول في أذهانهم، بل كانوا لايفتأون يتهامسون كلما سنحت فرصة. انهم اكتشفوا من الوهلة الاولى ان عبدالكريم قاسم لايرغب في الخوض في موضوعات خارج اختصاصات الوزراء واعمال وزاراتهم، وكان قد احتكر لنفسه الحديث عن الشؤون السياسية ومشكلات البلد العامة، فلم يكن الوزراء بالجرأة الكافية لطرح تلك المشكلات الحادة.

اما عن دور مجلس السيادة فكان في الوقع شكلياً، كانت وظيفته مقتصرة على اعطاء قرارات مجلس الوزراء وعبدالكريم قاسم، الشرعية او الصفة الدستورية.

حركة عبدالوهاب الشواف

كان العقيد عبدالوهاب الشواف ضابطاً كفوءاً وطيب القلب، وكان من الضباط الاحرار المخلصين. واعتقد انه فوجيء بالمنصب الذي أُنيط إليه بعد الثورة مباشرة، فقد كان يعتقد ان من المفروض ان يكون في موقع آخر أعلى من الناحية العسكرية البحتة، كما يعرف ذلك الكثير ممن عايشوا الحركة او قرأوا عنها وعن ملابساتها فقد اكتنفت حركته أخطاء كثيرة أدت به إلى الاخفاق سريعاً. والحقيقة ان العقيد عبدالوهاب الشواف عول كثيراً على الجمهورية العربية المتحدة التي ساندته في محاولته الفاشلة الاطاحة بعبدالكريم قاسم.

في اثناء كوني وزيراً حدثت حركة عبدالوهاب الشواف في الموصل. وبعد فشل الحركة قرر مجلس الوزراء ايفادي الى الموصل لتهدئة الأوضاع. في الحقيقة لا أدري لماذا وقع الاختيار عليّ؟ على أية حال سافرت بالطائرة الى الموصل وحال وصولي استغربت ألاّ اجد احداً في استقبالي في المطار، برغم علم المسؤولين في الموصل بالمهمة التي اوفدت من اجلها وبموعد سفري ووصولي. فحملت حقيبتي واتجهت اطلب أقرب هاتف، اتصلت بآمر موقع الموصل، العقيد حسن عبود الذي كان قد عهدت اليه مهمة السيطرة عسكرياً على احداث حركة الشواف وتسلم زمام الأمر، وكان حسن عبود احد الضباط الذين عملوا في امرتي، ولي معه معرفة سابقة ووطيدة، فعاتبته عتاباً شديداً على تجاهله وصولي الموصل. واذكر اني قلت: «افرض يا حسن، اني لست وزيراً أمثل الدولة. ولكن بصفتك صديقي، ألم يكن من مقتضيات الصداقة ان تكون في استقبالي؟!» اعتذر قائلاً: عفواً سيدي، سأكون عندك حالاً، وفعلاً حضر بسرعة وذهبنا الى مقر الموقع واجتمعت

بـالمسؤولين الـبـارزيـن فـي الموصل، ثـم زرت المستشفـى واطـلـعت علـى احوال الجرحـى والمصـابين بسبب الأحداث المؤسفة.

بعد ذلك سافرت الى تلعفر، وهنـاك إستقبلتني مظاهرة صـاخبة وخطبت فيهم من فوق احد السطوح، وكـان المتظاهرون في حـالة هيـاج يطالبون بـالقتل والاعدام... الخ. خطبت فيهم وذكرت لهم ان ليس لأحد فضل على الثورة، انها قـام بهـا الجيش العراقي وعلى كل من يرى مخالفة قـانونية ان يخبر عنها لا ان يجعل من نفسه مسؤولاً او حـاكماً ينفذ الاحكام حسب رغبته، لأن في ذلك فوضى، ومن يفعل مثل هذه الافعال غير القـانونية فأنه خـائن بعينه.

اذكر اني حدثتهم عن ضرورة التعقل في إتخاذ القرارات قـائلاً: «لو أن شخصـاً كـان ابوه إقطاعياً واستولت الثورة اليوم بموجب قـانون الاصلاح الزراعي على تسعة آلاف دونم من اراضيه وابقي له الف دونم فقط وهو مؤيد للثورة، هل يعتبر هذا خـائنـاً؟ ولمـاذا هو خـائن؟ ألأنه ورث هذه الاراضي من أجداده؟ جاءت الثورة اليوم لإنصـاف الفلاحين، ولايجوز ان نتعامل مع كل من ملك قطعة ارض متآمراً على الجمهورية». وعلى اي حـال شعرت ان الجماهير في تلعفر قد اقتنعت بحديثي معهم يومذاك.

بعد ذلك سافرت الى سنجار وهنـاك تحدثت ايضـاً مع أهـالي القضاء عن ضرورة الالتزام بـالهدوء والسكينة، ثم سافرت الى عقرة والزيبار والى منطقة نهلة. وكـان يرافقني في رحلتي مدير شرطة الموصل السيد اسماعيل عبـاوي (توحله). وبعد ذلك قصدت اربيل وحـاج عمران و كويسنجق والسليمـانية وحلبجة.

واستقبلني قـائد الفرقة داود الجنـابي في كركوك. وبعد عودتي من هذه الجولة التي استغرقت اسبوعين تقريبـاً او اكثر التقيت عبدالكريم قـاسم واعطيته صورة عن الوضع القائم في الشمـال ومـا آلت اليه الحـال من ضعف في الضبـاط وانتشار الفوضى وتلاشي نفوذ الدولة أمـام نفوذ الأحزاب، ولاسيمـا الحزبـان البـارتي والشيوعي كل بحسب منطقة نفوذه الواسع بسبب تغلغله في صفوف الجيش و القـادة كـانوا من الشيوعيين، مثل داود الجنـابي، قـائد فرقة كركوك الذي كـان يدعم الشيوعيين ويزيد من نفوذهم في المنطقة.

لـقـد حـاولت ان اعـطـي بـصفـتي وزيراً وأحد المخـلصين لـلـنظـام الجـمـهوري وصديقـاً لعبدالكريم قـاسم صورة صـادقة عن الحـالة، لا كمـا كـانت تعكسه (بعض) التقـارير الكـاذبة عن الأوضـاع المأسـاوية التي كـانت المنطقة تمر بهـا والتي وجدت فيهـا عوامل تقويض

للثورة و للجمهورية وباسم الثورة والجمهورية.

والغريب ان عبدالكريم قاسم استقبلني ببرود بعد عودتي من الجولة التي قمت بها، وكنت اعتقد انه متلهف للسؤال عن نتائجها وجهودي في المنطقة، لكنه تجاهل ذلك فاضطررت ان ابادره بالحديث عن جولتي واعطائه انطباعاتي. وقلت: «لماذا تتجاهل موضوع جولتي الى الشمال؟ وقد ذهبت بقرار من مجلس الوزراء» فقال: «اكتب تقريراً بذلك وقدمه الى طه الشيخ احمد» الذي كان مديراً للخطط العسكرية، فامتعضت من كلامه وقلت له وانا في غاية العجب: «انك تريد مني ان اكتب تقريراً واقدمه لطه الشيخ احمد؟» ثم قلت: «إني مسافر الى خارج العراق لمعالجة ابني المريض، وفي اثناء سفري يمكنك التحقيق من صحة ما قلته لك عن واقع الحال في شمال العراق».

وفعلا سافرت الى لندن ومكثت هناك قرابة شهرين بسبب مرض ابني ولما عدت وجدت ان عبدالكريم قاسم تغير تماماً موقفه مني نحو الأسوأ. اما سبب هذا التغير فله جملة من الاسباب اجتمعت سوية، فمصارحتي اياه لم تكن تتفق و مزاجه الذي لم يكن كذلك في البداية. ولعل شعوره بإلتفاف الجماهير حوله وتمسكها بالثورة والهتافات الحارة بحياته كل ذلك جعله يعتقد كأنه معصوم من الخطأ، بينما بقيت انا على صراحتي وموضوعيتي في مكاشفتي له في الشؤون التي كنت ارى من الضروري ان اكون صريحاً معه فيها. هذا من جهة ومن جهة اخرى كنت اشعر ان بعض الضباط قد لحق بهم الحيف فعلاً ممن كانوا من رجال الثورة، اي لم أكن متحيزاً لعبدالكريم قاسم، بل كنت انظر بعين الحق الى علاقته برفاقة من رجال الثورة، زد على ذلك ان التقارير السرية عني اخذت طريقها الى عبدالكريم قاسم، وانا متثبت من أن معظم هذه التقارير كانت ملفقة. وعلى أية حال ساورته الشكوك فظنني غير مخلص تماماً له ولعل موقفي من إعدام شهداء ام الطبول كان يمثل النقطة التي اثارت الشكوك في نفسه، فضلاً عن مواقفي من محكمة المهداوي.

بدايات علاقاتي بالبارزاني

اما معرفتي بالبارزاني الخالد الذكر فتعود جذورها الى حدود العام ١٩٣٠ حين كنت لا أزال أدرس في الكلية العسكرية. يومذاك عمل خالي ماجد مصطفى من أجل التقريب بين وجهات نظر الحكومة وزعماء بارزان، فاقتنع الشيخ احمد بأن يبعث شقيقه الملا مصطفى الى بغداد للقاء الملك فيصل الأول ليكون ذلك دليل اظهار حسن النية. وكان الوضع عموماً متوتراً في كردستان في ذلك الوقت، لذا فان خطوة من هذا القبيل كان من شأنها ان

تساعد على تجاوز مشكلات كثيرة. استحسن الشيخ احمد اقتراح خالي، فجاء كلاهما، خالي والملا مصطفى الى بغداد، وكان يرافق البارزاني ما بين عشرين الى ثلاثين مسلحاً اقاموا جميعاً في فندق دجلة بالقرب من جسر الاحرار حالياً (جسر مود سابقاً). زرناه انا ومجموعة من الطلبة الكرد الدارسين في بغداد اكثر من مرة في مقر اقامته، وقد استضفناه لمشاهدة احد الافلام الوطنية، ولم تكن الافلام ناطقة يومذاك، فقام زميلي الدكتور ابراهيم حلمي فتاح الذي كان معنا، وكان يجيد اللغة الانجليزية بصورة جيدة، بترجمة العبارات (المطبوعة على الشاشة باللغة الانجليزية)، وقد اخذه الحماس في ذلك. وعلى ما اتذكر ان الملك فيصل دعا البارزاني الى تناول الغداء معه، وكان البارزاني يومذاك في عنفوان شبابه.

ثم التقينا ثانية مع البارزاني في العام ١٩٣٩، وكنت يومذاك مساعد آمر فوج. وكان هو منفياً في السليمانية. وكنا نلتقي دوماً وعلاقتنا ودية وطيبة، كما كنت ازور الشيخ احمد شقيقه الاكبر الذي كان هو ايضاً منفياً في السليمانية. وكان يزورنا في بيتنا ايضاً. ثم افترقنا لنلتقي العام ١٩٥٩ عندما عاد من روسيا.

عاد البارزاني وقد استقبله العراقيون عرباً واكراداً استقبالاً لم يسبقه مثيل لزعيم كردي آخر(١).

سكن البارزاني دار نوري السعيد، وخصصت له قيادة الثورة راتباً شهرياً. بالرغم من أنه ابدى لعبدلكريم قاسم ولاءاً كبيراً، بيد ان العلاقات بدأت تسوء بينهما بالتدريج وكان البادىء عبدالكريم قاسم. انه هو الذي اشعل نار الفتنة وليس البارزاني، اقولها من أجل التاريخ، لأني متثبت في المسألة وواثق منها، وهي ان الملا مصطفى البارزاني والحزب الديمقراطي الكردستاني ما كانا يريدان الحرب، بل بدأ عبدالكريم قاسم يخطط من أجل

---

(١) روى لي المؤرخ الكردي جميل بندي روژبياني، وهو كان في مندلي انه بعد رجوع البارزاني من الاتحاد السوفيتي، دعاه بعد اسبوع حسين جميل الى بغداد بحكم علاقاته الجيدة مع «الحزب الوطني الديمقراطي»، وابلغه ان كامل الجادرجي، رئيس الحزب، يرغب في لقائه من دون تأخير، فحينما ذهب الى الجادرجي طلب منه ان يذهب الى البارزاني ويطلب منه ان يضع في الحال حداً للإستقبالات الحافلة التي كانت تجري له يومياً حيثما يحل، ولاسيما في مقر اقامته بفندق سمير اميس، حتى لايتكرر ما حدث لرشيد عالي الكيلاني الذي استقبل بدوره بحفاوة بعد عودته من المنفى اثر انتصار الثورة، فإن عبدالكريم قاسم، كما قال الجادرجي، ليس من النوع الذي يتحمل مثل هذه الأمور، وقد ابلغ روژبياني البارزاني بما قاله الجادرجي.

البارزاني الخالد عاش ومات من اجل
الكرد وكردستان

صورة تجمع بين البارزاني الخالد وفؤاد عارف

في انتظار وصول عبدالرحمن عارف الى جنديان لملاقاة البارزانى الخالد ١- احمد كمال قادر ٢- فؤاد عارف ٣- بابا علي ٤- فاضل عباس حلمي فريق ركن قائد قوة الميدان ٥- نافذ جلال ٦- حسن محمد علي

الاقتتال لكي ينهي نفوذ البارزاني ولم يكن يتصور ان القتال سيطول.

ان ظروف التناحر، والتنابذ التي خلقتها سياسة عبدالكريم قاسم بعد إنتصار ثورة الرابع عشر من تموز بمدة هي التي هيأت الأجواء لمقتل صديق ميران(١) وهي نفسها التي ادت الى مقتل احمد آغا الزيباري(٢) فان قاسماً بدأ يفكر في اثارة الفتنة في الشمال من أجل تفتيت الكرد، انني شخصياً سمعته يقول: «لقد قلّت نفوذ الاقطاع في الجنوب بالاصلاح الزراعي ولكن بقي الشمال بيد المتنفذين ولابد من حل لهؤلاء». لهذا أراد أن يضرب الواحد بالآخر. لقد سمعته بنفسي يقول: «انا شيخ المتآمرين». ان ما يجعلني متثبتاً من ان عبدالكريم قاسم كان هو الذي يفتعل المشكلات في الشمال، لكي يعالجها بالسلاح، انه كان يرفض أية محاولة يبديها الوزراء للتدخل. وقد أشرت الى هذا في مناسبة أخرى. وفي إعتقادي ان عبدالكريم قاسم كان يرتاب من أية شخصية سياسية تتمتع بجماهيرية، لذا بدأ يحقد على رشيد عالي الكيلاني الذي وصل الى العراق بعد سنوات طويلة من المنفى حتى حكم عليه بالإعدام بإعتباره متآمراً.

ولقد التقيت البارزاني في العهد العارفي أيضاً وسيأتي ذكره. في الحقيقة كان هدفي وما زال ترصين الوحدة الوطنية ورضا الشعب الكردي ومساعدته وضمان حقوقه القومية المشروعة، ومحاربة التطرف من الطرفين الحكومة والشعب الكردي، لأني عرفت من خلال خبرتي الشخصية ان التطرف لايقود إلاّ الى نتائج سلبية، وكنت وما زلت متثبتاً من أن مصلحة الكرد التعايش مع العرب في العراق، وكنت اسعى دائماً الى ان يكون العراق عراقاً مرفوع الرأس، قُطراً متميزاً بين اقطار العالم، لأنه مهد الحضارات الانسانية، كما كنت اشعر بأن الجانبين يثقان بي، ولكن مع الاسف لم أجد أي بادرة تشجيع من الجانب الحكومي لتعزيز ثقة الشعب الكردي به وحل قضيته بصورة عادلة.

---

(١) صديق ميران بيك رئيس عشيرة خوشناو المعروفة في منطقة شقلاوة، من مواليد ١٩٠٧، خلف والده مير عبدالقادر بيك بن مصطفى بيك منذ العام ١٩٣٩، كان والده «حازماً داعياً للوحدة والتعاضد، ساعياً لنشر التعليم في أرجاء منطقته» (مير بصري، اعلام الكرد، ص ٢٤٦). انتخب صديق ميران بيك نائباً عن أربيل في حزيران ١٩٣٩، وبقي يحتفظ بمقعده في مجلس النواب طوال العهد الملكي، اغتيل في شباط ١٩٦١ بالقرب من شقلاوه.

(٢) من رؤساء عشيرة الزيبار القاطنة فى المنطقة الواقعة بين عقره وزيبار، مقرها الرئيس قرية (بيره كه بره)، تعاون البارزانيون والزيباريون في معاداة الانجليز في بداية عهد الاحتلال.

وفي إعتقادي ان الأيدي الأجنبية أمتدت في توجيه الدولة العراقية آنذاك من خلال وجوه (وطنية). وكم وجدت مَنْ يؤيدني في أحاديثي خارج الحكم حتى اذا تربع في دست الحكم تصرف بعكس ما كان يؤمن به، وللأسف الشديد اقول بمرارة انني لم أجد حكومة منصفة تماماً لطموحات الشعب الكردي المشروعة، ومن المؤسف أيضاً ان يتصور البعض ان التنكيل بالاكراد هو نوع من أنواع الوطنية، الأمر الذي أدى وما زال يؤدي الى تعثر العلاقات دوماً، واعتقد ان ثمة في بداية الستينيات وخلال امتدادات الحركة الكردية المسلحة من ينتفع باستمرار الحركة داخلياً وخارجياً.

لقد شهدت من خلال تجربتي في أكثر من وزارة واكثر من عهد، ان بعض العسكريين كانوا لايرغبون في إنهاء الإقتتال في كردستان لما في حالة الاقتتال المستمر ما يدر عليهم من مكاسب مادية لايمكن تجاهلها. لذا علينا استبعاد العناصر المنتفعة من مسار الحركة الكردية و قطع دابرها من الجذور لأنها حجر عثرة في طريق أي تحرك نحو حل القضية الكردية. هذا ما كنت انادي به مخلصاً بإستمرار. وطبيعي ان يكون من المحرج لي ان أبقي وزيراً في حكومة رئيسها عبدالكريم قاسم وقد بدأ يضطهد شعبي الكردي المظلوم الذي انتمي اليه والذي لاقيمة لي من دونه، لذا قدمت استقالتي ولبثت في داري. لقد ذكرت آنفاً ان عبدالكريم قاسم كان وراء كل فتنة تقع بين الحكومة والشعب الكردي، فكان يتصل برؤساء العشائر المتنفذين كل على إنفراد ويحرِّضهم على هذا وذاك من أخوته بشتى الدسائس التي اسفرت عن مقتل احمد آغا الزيباري في أكثر شوارع الموصل إزدحاماً وفي وضح النهار. وكانت غاية عبدالكريم قاسم إثارة الفتنة والحقد بين أبناء عشيرتين كبيرتين هما (الزيباريون والبارزانيون) بعد ان كادت السنوات الطويلة وغياب البارزاني عن العراق تنسي الطرفين روح التحاقد، إلاّ ان عبدالكريم نجح في إشعال نار الفتنة بين الطرفين مجدداً، وفعلاً وكعهدي به سابقاً وكما فعلت الحكومات السابقة من قبل بدأ يضرب البارزانيين والزيباريين وهي واحدة من مخططاته في تفتيت العشائر ومراكز النفوذ في كردستان، وكذلك نحن على ثقة من ان عبدالكريم قاسم هو الذي دبّر قتل صديق ميران رئيس عشيرة خوشناو المعروفة. لقد حاول عبدالكريم قاسم عن طريق الإصلاح الزراعي القضاء على المتنفذين، وبعبارة أخرى لم يكن يهدف من قانون الاصلاح الزراعي اصلاحاً اقتصادياً لمصلحة الفلاح المعدم، بل كان يهدف منه ان يكون أداة للقضاء على الاقطاعيين والشيوخ والاغوات الذين يخشى محاولاتهم او نواياهم بشكل واضح، ولما لم يكن البارزاني اقطاعياً، وهذه مسألة معروفة لأن نفوذ البارزاني او

العائلة البارزانية لم يظهر على أساس ملكية الأرض[١]. عاد البارزانى الى كردستان، فكان من الطبيعي ان يسلك قاسم سلوكاً آخر للقضاء عليه وهو إثارة الفتن والقلاقل العشائرية بينه وبين رؤساء العشائر وخلق مبررات الاقتتال في كردستان.

القطيعة بيني وبين عبدالكريم قاسم

حقاً لقد بدأت اشعر بإختلاف او تغيّر في نظرة قاسم ولاسيما بعد حساسيته المفرطة من موقفي من محاكمات المهداوي ومن نصائحي له دوماً بإتجاه عدم إثارة التفرقة بين أبناء العشائر الكردية في حين كنت موضع ثقته الكاملة الى درجة أنه دعاني الى ان أنام في غرفته الخاصة في وزارة الدفاع وفي فراشه بينما نام هو على الأرض وقال لي: «الآن سأنام من غير ان أقبض على زناد مسدسي...» كما ذكرت آنفاً.

لقد وجدت في عبدالكريم تغييراً نحوي، فشعرت بحذره إياي كلما جاء موضوع الأكراد، وبدأت احس انه اخذ يخفي عني بعض المواضيع وهو يعرف طبيعتي الصريحة في مجابهته كلما شعرت بأنه على خطأ.

فأخذ يتجنب الحديث معي في كثير من الامور، ثم زاد حذره واشتد الى درجة أنه لم يوافق على قيامي بزيارة كردستان بصفتي وزيراً للزراعة! وعندما رغبت في زيارة دربندخان ومنطقة السد منعني من ذلك وأنا وزير الزراعة والري في حكومته، والحقيقة أنه لم يسمح لي بزيارة كردستان.

وكانت آخر زيارة لي لكردستان في عهده تلك التي قمت بها بعد حركة الشواف مباشرة والتي تحدثت عنها وكانت بناءاً على رغبة مجلس الوزراء آنذاك. وعندما كان يسمع ان بعض رؤساء العشائر الكردية يزورونني بحكم كوني وزيراً كردياً ومن أهل المنطقة، ورغم اني كنت اقدم النصح الى العشائر بالالتزام بالوحدة الوطنية والإخلاص للجمهورية العراقية، كان يقول لي: «ان هذا ليس من إختصاصك!». وهكذا بدأت تظهر لي الصورة الحقيقية للوضع وموقعي في هذه الصورة التي ألجأتني الى الإستقالة كما ذكرت.

---

(١) لم تتأثر العلاقات العشائرية القوية (الابوية) التي تربط افراد عشيرة بارزان ببعضهم كثيراً بالتحولات الكبيرة التي عاشتها العشائر الكردية الاخرى على أثر إندماج كردستان بالأسواق الرأسمالية العالمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي ذلك يكمن سر قوة العشيرة وتماسكها، حتى ان ابناءها لايستخدمون الألقاب عادة عندما يخاطبون بعضهم البعض.

انا مع الفلاح وتأمين حياة حرة كريمة غير مستغلة له، وهذا مبدأ لايمكن لأي إنسان يمتلك ذرة من الإنسانية ان يحيد عنه. اذن من حيث المبدأ أنا كنت ولم أزل مع الإصلاح الزراعي، ولكن أشعر بوجود حاجة لإعادة النظر فيه وفي طريقة تطبيقه أيضاً، ولكن عبدالكريم قاسم لم يكن يسمع، لقد وضع اليساريون هذا القانون وطبقه عبدالكريم قاسم على عجل ليسحق من خلاله الزعامات الاقطاعية. هذا هو الهدف الأول الذي يأتي قبل الهدف الاساس الذي يفترض ان يكون هو الأول، وهو الفلاح ومدى قدرته على الانتاج. ان الطريقة التي اتبّعها عبدالكريم قاسم في تطبيق الإصلاح الزراعي التي لايمكن الآن الدخول في تفاصيلها شملت الانتاج في حقل الزراعة. واذكر اني وضعت امامه بدائل، لكنه رفضها جملة وتفصيلا، لأنه كان متعجلاً في تنفيذ الهدف السياسي. لقد اقترحت عليه التريث في تطبيق هذا القانون، لأن في العراق مساحات شاسعة من الأراضي الأميرية، وكان في الإمكان توزيعها على من لايملك ارضاً من الفلاحين، وأن يُهمل المالك الذي يملك من الف دونم سيحاً وثلاثة آلاف دونم ديماً مدة ثلاث سنوات يتصرف بأرضه، ريثما يتم توزيع الأراضي الأميرية، على ان يبيع أو يهب المالك مازاد على الألف دونم سيحاً وثلاثة آلاف دونم ديماً خلال هذه السنوت الثلاث، وبعد انتهاء السنوات الثلاث والانتهاء من توزيع الأراضي الأميرية تباشر الدولة بتنفيذ قانون الاصلاح الزراعي بالاستيلاء على مازاد عن النسبة المذكورة من الملاكين، لكن عبدالكريم قاسم لم يقبل بهذه الفكرة فأجابني بالحرف الواحد: «كلا ان هدفي ليس كما تعتقد أنت. ان هدفي سياسي. اني أريد ان اشتت الاقطاع واقضي على رؤساء العشائر والشيوخ بأي ثمن وبأسرع وقت ممكن».

وأذكر أنه قال لي ذات مرة: «لقد انهيت الشيخ محمد العريبي في جنوب العراق، والآن جاء دور انهاء الشيوخ والاغوات في الشمال». ان طريقة انهاء المتنفذين في الشمال اختلفت بعض الشيء عن طريقة انهائهم في الجنوب بسبب طبيعة الملكية الاقطاعية الصغيرة في الشمال قياساً الى ما كان موجوداً في الجنوب، فانتهج ضرب رؤساء العشائر بعضهم ببعض، بالإضافة الى اثارة الفتن والحزازات بينهم عن طريق تطبيقات قانون الإصلاح الزراعي. أما موقف الحركة الكردية من الإصلاح الزراعي فقد كان ايجابياً: لأن الملكية في كردستان كانت قائمة على أساس المساحات الصغيرة، لعدم وجود أراض شاسعة وأغلب الاراضي هناك ديمية، فقد حدد قانون الاصلاح الزراعي الملكية الزراعية في كردستان بـ(٣٠٠) دونم ديما و (٤٠) دونم سيحاً، والحقيقة ان

البارزاني نفسه الذي كان يمثل رأس الحركة الكردية لم يكن يخسر شيئاً شخصياً في تطبيق قانون الاصلاح الزراعي؛ لأنه لم يكن إقطاعياً، أي ان زعامته لم تكن قائمة على ملكية الأرض، في حين ان تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي يقضي على الملكيات الاقطاعية في المنطقة، وكان من مصلحة البارزاني ضرب المتنفذين الاقطاعيين تحت أي مبرر كان، لتحديد نفوذهم. ومن هنا أعتقد أن البارزاني لم يكن يخسر شيئاً في تطبيق قانون الاصلاح الزراعي بل كان يقوى نفوذه من خلال ضرب الإقطاع.

من جراء السياسة التي انتهجها عبدالكريم قاسم في كردستان بإثارة الفتن وضرب هذا بذاك، كما ذكرت آنفاً، أضطرت الحركة الكردية الى حمل السلاح في وجه هذه السياسة والدفاع عن نفسها. ولم يكن لعبدالكريم قاسم اي مبرر للقيام بالحركات العسكرية غير إتهام الحركة الكردية بالعمالة على شاكلة غيره من الحكام، فأخذ يطلق التصريحات تلو التصريحات ويدّعي بأن لديه من المستمسكات ما يثبت عمالة هذه الحركة وان وراءها الإنجليز والأميركان.

واعتقد انه لو كان لعبدالكريم قاسم فعلا مستمسكات تدل ان الحركة الكردية دُبرت مِن قِبل الانجليز والأمريكان لما أخفاها. كانت المشكلة في البداية مشكلة داخلية صرفة، ومازلت مصراً على ان عبدالكريم قاسم لم يعرف كيف يتصرف مع المطامح القومية المشروعة للشعب الكردي. فقد وقع تحت مؤثرات مختلفة بالاضافة الى عدم قدرته على تحمل أي شخص او كتلة لها نفوذ في أية منطقة من مناطق العراق. وقد سبق ان ذكرنا ذلك.

ان ما يجعلني أعتقد ان عبدالكريم قاسم أراد في حينه إتهام الحركة الكردية بأنها تدبير إنجليزي وأمريكي هو رغبته في تبرير استخدامه السلاح في قمع الحركة الكردية وقصف القرى من جهة، ومن جهة أخرى فان السلاح الذي استخدمه قاسم في ضرب الحركة الكردية كان سلاحاً روسياً، ولاسيما طائرات الميك القاصفة التي كان قد تسلّمها من السوفيت. ولطالما تشدق السوفيتيون وأنصارهم (للأسف الشديد) بأنهم مناصرون لقضايا الشعوب المظلومة!

اذا كان قاسم مقتنعاً ان الثورة الكردية، إنجليزية– أمريكية، فكيف اعتقد ان بإمكانه القضاء عليها في سبعة أيام فقط كما كان يدّعي؟ لابل ذهب به الإعتقاد الى أنها انتهت اساساً في الوقت الذي كان العالم الخارجي والشعب العراقي والجيش العراقي والكل

يعلمون ان الثورة الكردية قائمة وان مناطق عديدة كانت بيد الثورة الكردية. لذا اعتقد ان قاسم أراد ان يلعب لعبته في تصفية ذوي النفوذ آنذاك، ولكنه لم يُقدّر ان هذه الثورة سيكون بإمكانها المقاومة. وان قاسماً هو الذي شهد نهايته بقيام ثورة ١٤ رمضان.

وهنا لابد من الاشارة الى انه لو كانت الثورة الكردية ثورة عميلة لكانت كل الحركات الوطنية في العراق عميلة في حين ان القوى السياسية في العراق يومئذ كانت ضد دكتاتورية عبدالكريم قاسم ومتعاطفة بصورة او بأخرى مع الثورة الكردية.

لقد ذكرت اني كنت في كل المواقف أعمل على حل المشكلات بالتفاهم وبالطرق السلمية من دون اللجوء الى الحركات العسكرية، وكان موقفي هذا لايروق للإنتهازيين والمنتفعين والمدسوسين الذين كانوا يزينون لقاسم عملية ضرب الثورة الكردية بدل التعاون معها وحل المشكلة سلمياً، وترصين الوحدة الوطنية. فكان من الطبيعي ان يجدني هؤلاء حجر عثرة في طريقهم، فكانوا يحاولون بكل الوسائل دق الأسفين بيني وبين قاسم، وفعلاً نجحت محاولاتهم عن طريق رفع التقارير السرية عني.

ومن الحوادث الطريفة والمؤلمة في آن واحد، أن أوضح كيف ان قاسماً لم يكن يتأثر بإنطباعات الشيوعيين عني وكيف اني كنت موضع ثقته في البداية، لكنه تصور فيما بعد، اي بعد استقالتي اني على علاقة بالحزب الديموقراطي الكردستاني. لقد القي القبض على فاتح جباري الذي كان ضابطاً كردياً بالأساس وشيوعياً، وقد اتصل بي اهله لكي أتوسط عند قاسم لإخلاء سبيله، فذهبت الى وزارة الدفاع وتناولت الغداء مع قاسم واحمد صالح العبدي، وقلت لعبدالكريم قاسم: «ان فاتح جباري ضابط وصديقك وهو اليوم موقوف، وبأمرك انت أوقف، وقد اتصل بي أهله وذووه يطلبون ان اناشدك بإطلاق سراحه»، ضحك قاسم وقال: «كيف؟! أأنت يافؤاد جئت لتتوسط من أجل إطلاق سراح فاتح جباري؟» قلت: «ولم لا؟ إنه صديقي وصديقك. ومازلت اشعر بصداقتنا ومودتنا». قال عبدالكريم: «حسناً، لحظة!» فخرج من غرفته الى غرفة السكرتير وجاء برسالة مكتوبة بخط فاتح الجباري موجهة الى داود الجنابي قائد الفرقة الثانية في كركوك، فأخذ عبدالكريم يقرؤها، واذا بفاتح الجباري يتحدث عن جولتي في كردستان بعد حركة الشواف مباشرة ويقول: «اعلم يا داود! ان فؤاد عارف، إذا جاء الى كركوك فسيؤثر في الديموقراطية الموجهة التي تبنّيناها. ثم من هو فؤاد عارف؟ انه عميل الرجعية والاستعمار، ان الاقطاعيين من الأغوات والشيوخ والرجعيين ينتظرون مجيئه بفارغ

الصبر، وهم مستعدون لإستقباله. ولاتنس انه صديق عبدالكريم قاسم، لسوف يؤثر فيه. لذلك علينا ان نعمل ما في وسعنا ان نجعل هذه الجولة فاشلة او نمنع حدوثها».

وبعد ان انتهى عبدالكريم من قراءة الرسالة التي كتبها عني صديقي فاتح جباري الذي جئت اتوسط له لإطلاق سراحه قلت لعبدالكريم: «برغم هذا فانه مازال صديقي وأناشدك في اطلاق سراحه، وهذا هو الفرق بيني وبينه». وقد ذكرت بأني كنت في العهد الملكي أتعاطف مع الشيوعيين وكنت أشعر بالمودة تجاههم، لأنهم كانوا ضد الحكم المتواطيء مع الاستعمار، واعتقد ان معظم الناس كانوا يتعاطفون ولو بصمت مع الشيوعيين في العهد الملكي ولكن للأسف عندما قامت الثورة واسست الجمهورية ارتكب الشيوعيون أخطاءاً كثيرة جعلتهم يفقدون مودة كثير من الناس فتغيّرت مشاعري ازاءهم فقد بالغوا في افتعال بعض المشكلات واثروا سلباً في توجهات عبدالكريم قاسم. لعل ما قام به المهداوي وخضوع هذه المحكمة،، اي محكمة المهداوي الى الأهواء وسيطرة الضباط الشيوعيين علاوة على أحداث كركوك والموصل والقسوة التي اتصف بها بعض افراد هذا الحزب في تعامله مع المواطنين جرده من شعبيته، حتى ان بعض اعضائه اعادوا النظر في مواقفهم. والغريب ان عبدالقادر اسماعيل جاءني ذات مرة يزورني ولم يمض على استيزاري شهر وبصحبة شخص مكسور الساق، يمشي على عكازة، فقال لي:

– اترى هذا الشخص يافؤاد! انك تدافع عن الأغوات، وهذا واحد ممن ضربهم محمود بك خليفة رئيس عشيرة برادوست ونائب سابق وصديقك ايضاً، ألا ترى مافعل بساق هذا المسكين؟

قلت:

– اولاً، اني لا أدافع عن الاغوات، انما ادافع عن اي شخص لم يرتكب جريمة يحاسب عليها قانوناً، ثم دعني اسأل هذا الشخص المكسورة ساقه.

– تفضل،

– ما أسمك؟

– فلان،

– من اي مكان انت؟

– من رواندوز.

– منذ متى وانت تسافر الى عشائر برادوست في أعمالك؟

– منذ اكثر من عشر سنوات أو اكثر.

– هل اعتدى عليك أحد خلال هذه السنوات كلها في تجوالك في منطقة برادوست؟

– كلا.

– ألم يكن محمود بك متنفذاً آنذاك وبإمكانه ان يعتدي عليك؟

– بلى.

– لقد اصبح الوضع لمصلحتكم اشهراً معدودات فأحرقتم بيت محمود بك ونهبتم داره، بينما هو لم يعتد عليك طيلة عشر سنوات، والآن بعد ان احرقتم داره انتم الشيوعيون، ماذا تريده ان يفعل عندما يستطيع ان ينتقم لنفسه؟ طبعاً يكسر ساقك، وإلاّ لِمَ لَمْ يكسر ساقك من قبل؟ وهل تعتقد ان قيادة الثورة تؤيدكم في احراق بيوت الناس ونهبها او قتل المواطنين؟ واذا كانوا مذنبين في شيء فهناك قانون.

ومع ما ذكرت آنفاً من تعاطفي مع الشيوعيين قبل ثورة تموز فاني لست مع الفوضى ولست مع الاعمال الارتجالية التي يخرق المرء فيها القانون بإسم الوطنية وتحت أي تبرير. من هنا، لم أكن مع تصرفات أفراد المقاومة الشعبية ولم أكن مع ما سمّي بلجنة صيانة الجمهورية، كما لم أكن مع الحرس القومي وأعماله ايضاً حين كنت وزيراً في عهد عبدالسلام عارف.

ومما أذكر من أعمال المقاومة الشعبية غير المرضية اني حين كنت متصرفاً للواء كربلاء واسافر غالباً الى بغداد، صادف ان عدت ذات يوم من بغداد ومعي مرافق (شرطي) وسائق وانا في سيارتي المعرفة بسيارة المحافظ أوقفني بعض الطلبة في المقاومة الشعبية قبل ان نصل الى كربلاء ببضع كيلومترات وبعضهم (بالبيجامة) وبيدهم مسدسات فوقفنا، وقال لهم الحرس: «ماذا تريدون» فأجابوا: «نحن مقاومة شعبية وواجبنا ان نفتش السيارة»، قال لهم الحرس: «ولكم هذا متصرف»، فقال أحدهم: «واذا متصرف؟ ألا يجوز ان يكون المتصرف من الخونة؟»، فنزلت من السيارة ونزل معي السائق والحارس واشبعناهم ضرباً ثم أخذنا اثنين منهم ووضعناهما في الصندوق الخلفي للسيارة، وجئنا بهما الى كربلاء وهناك اشبعناهما ضرباً ايضاً ثم اخلي سبيلهما. واعتقد ان كثيراً من الناس مازالوا يحملون ذكريات سيئة ومؤلمة عن سوء تصرف هؤلاء

في الإعتداء على كرامة الناس وفي تعذيبهم اياهم جسدياً.

كما اذكر اني عندما اصبحت وزيراً للإرشاد وكالة لفترة قصيرة في العام ١٩٥٩ فوجئت بوجود دائرة كاملة لها صادرة وواردة وكتبة، واسمها (لجنة صيانة الجمهورية) والحقيقة اني لم استطع ان استوعب دور هؤلاء فطردتهم شرّ طردة من الوزارة ولم اسمح بمثل هذه الدائرة. ما معنى لجنة صيانة الجمهورية أليس من مهمة الشعب صيانة الجمهورية؟ ومالفرق بينه وبين هؤلاء الذين نصّبوا أنفسهم أصحاب الصيانة للجمهورية؟!. اذكر ان صالح كبه جاءني مرة في العام ١٩٥٩ وقال لقد هربت من البنك المركزي لأني كنت هناك وأخذ البعض يصيح هذا خائن... وما كان مني إلاّ ان اتصلت بأحمد صالح العيدي واتخذت الاجراءات بحقهم وأعتقد ان الاسباب كانت شخصية.

ومن الطريف أنه جاءني مرة السيد أحمد وهاب متصرف كركوك وتمتد معرفتي به منذ ان كان قائممقاماً في شهربان وهو من كربلاء، جاءني منفعلاً في احد الصباحات وقلت له:

– خيراً مابك؟

– هربت!

– وكيف تهرب من كركوك وانت محافظها؟

– ان الشيوعيين وداود الجنابي أصدروا الأمر بالقاء القبض عليّ.

اتصلت بعبدالكريم قاسم هاتفياً فلم اجده، ثم اتصلت بوزير الداخلية احمد محمد يحيى، وقلت له: «ان متصرفكم في كركوك قد هرب وهو الآن بين يدي»، فقال: «ارسله لنا»، فأرسلته وهناك عالج مشكلته.

هذا مثال على مدى التصرف الكيفي الإرتجالي في تلك الفترة بحيث يضطر المحافظ الى ان يهرب من محافظته.

بعد ان صدر أمر تعييني متصرفاً لكربلاء بثلاثة أيام أي في ١٨/ تموز/ ١٩٥٨ على ما أعتقد زارني في كربلاء كل من ابراهيم احمد سكرتير اللجنة المركزية للحزب الديموقراطي الكردستاني ونوري احمد طه عضو اللجنة المركزية ودار الحديث بيننا ثم سألتهما قائلاً: «ماذا تريدان بالضبط؟» فقالا: «نحن نريد ان يكفل الدستور المزمع تشريعه حقوق الشعب الكردي»، فقلت لهما: «اكتبا بالضبط الصيغة التي تعتقدان انها تضمن حقوق الشعب

الكردي»، فكتبا على ورقة ما ارادا واخذت تلك الورقة لعبدالكريم قاسم بعد أن اخذت الموافقة المبدئية من نجيب الربيعي حولها بإعتباره رئيس مجلس السيادة.

اما موقفي من البارتي، فتربطني بأكثر من قادته صداقات شخصية قديمة، وبخاصة رئيسه الراحل الزعيم الملا مصطفى البارزاني وسكرتير الحزب السيد ابراهيم احمد وغيرهما.

واذكر ان السيد ابراهيم احمد حاول شهراً كاملاً ان يحظى بزيارة عبدالكريم قاسم فلم يستطع. وفي احد الايام رأيته في غرفة الاستعلامات واخبرني انه منذ شهر يحاول زيارة عبدالكريم قاسم ولا يستطيع الالتقاء به، فأمسكت بيده وادخلته معي وزارة الدفاع وادخلته الى مكتب عبدالكريم قاسم وقلت له: «كريم انا بعيد عن المشكلة الكردية او القضية الكردية، لكن هذا الرجل هو الشخص المعني الذي يعرف ابعاد وتفاصيل قضية الشعب الكردي، وهو سيصدقك الكلام وان مصارحته لك هي في مصلحتك ومصلحة الجمهورية على ما اعتقد، ويريد ان يحدثك»، فقال: «اجلس يا فؤاد» فقلت: «كلا انا سأغادر؛ لأني أريد ان تكونا وحدكما، وأؤكد لك انه يكون صادقاً في كل مايقول، حتى وان مسَّني انا شخصياً في كلامه».

ويبدو ان بعض التقارير من بعد اخذت تصل عبدالكريم قاسم مفادها أني اجتمع مع ابراهيم احمد وغيره من اعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني. وللتاريخ والحقيقة اقول ان هذه التقارير كانت كاذبة، فاني، بصفتي فؤاد عارف لدي علاقات بالاكراد وبالعرب، من الحزبيين و غيرهم، فإذا سلم فلان او حدثت فلاناً فهذا لايعني انني انتميت الى افكاره السياسية او حزبه، ولكن للأسف هذه هي آفة هواة كتابة التقارير ومحترفيها.

كما انه لايعني انني منسلخ عن القضية الكردية او عن هموم الشعب الكردي، فأنا كردي في قوميتي وعراقي في وطنيتي وتهمني الحقوق القومية للشعب الكردي، دون التحيز الى رأي هذا او ذاك.

لم يكن موقفي طوال حياتي على ما اعتقد تحت تأثير أي جهة بقدر ما كانت بوحي من ضميري ووجهة نظري الخاصة في إطار مصلحة شعبي، أما إستقالتي فإنه لم يضغط علّي او يدفعني احد للاستقالة. وكل ما في الأمر اني كنت اتمنى ان تتعزز الوحدة الوطنية. هذه كانت غايتي من مواقفي على ان اكون وزيراً في حكومة الثورة. ولكني وجدت الأمور تتجه الى تعثر العلاقة بين عبدالكريم قاسم والاكراد، وان انسحابي من الوزارة اسهام في

تعزيز الوحدة الوطنية بين هذين الشعبين العريقين في العراق، العرب والاكراد، وانا على يقين لو ان الظروف او الاحداث المؤسفة التي حدثت في كردستان آنذاك اقول لو انها حدثت في جنوب العراق لقدّمت ايضاً استقالتي من الوزارة، لأني لا اميّز بين الشمال والجنوب ولدي من الأصدقاء في الجنوب اكثر من أصدقائي في الشمال. لقد حاولنا كثيراً ألاّ تتعثر العلاقة مع الاكراد، ولكن لم نفلح مع عبدالكريم قاسم. حتى اني اتذكر ان الدكتور محمد الشواف حاول كثيراً مع عبدالكريم وطلب منه ان يكلفه هو للذهاب بنفسه الى كردستان، اذا كان لايريد ان يرسلني انا لحل المشكلة والتفاهم مع قادة الحركة الكردية، إلاّ ان قاسماً رفض الطلب وأصر على ان الأمر من صلاحيته وهو المسؤول عنه.

ولابد من القول ان الحركة الكردية لم تكن بنت يومها في زمن قاسم او غير قاسم، فان جذورها اقدم بكثير وتعود الى اواخر القرن التاسع عشر حين فرضت السياسة العثمانية الاستبدادية القصيرة النظر مثل هذه الحركات وتطورها. ومنذ ذلك الوقت تدين السلطة أية حركة معارضة لها بأنها حركة خائنة. وهكذا كان الأمر في أوربا ايضاً قبل أن يتبلور الاتجاه الديمقراطي هناك بمفهومه الحديث.

وتعقيباً على ذلك أود ان اؤكد ايضاً ان من الصعب الركون الى صحة التقارير في العالم الثالث على علاتها، فهي تعكس في الغالب مستويات الناس وأحقادهم الخاصة مما أفقدتها الموضوعية، فلا يستعبد ان تجد سياسياً وهو في ذروة الوطنية يهبط به بموجب تقرير سري الى حضيض الخيانة، وفي تقرير آخر يتحول وطني الأمس الى خائن اليوم.

ان التقرير وثيقة، والوثيقة مهمة، ولكن الاهم قراءة الوثيقة. ان رؤساء العشائر الكردية والعربية الذين وقفوا الى جانب وزارة علي جودت الايوبي وصموا بالخيانة من قبل ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني. وعندما ألّف الهاشمي آخر وزارة له (قبل انقلاب ١٩٣٦) حضر عدد غفير جداً من المتنفذين الكرد، اقلّتهم الى بغداد ستون سيارة للوزارة. دخل هؤلاء في تقارير ووثائق خصوم القطبين الهاشمي والكيلاني في عداد الخونة.

وفي الغالب ترتبط هذه الامور في قناعتي برغبات ذوي السلطة ومصلحهم قبل أي شيء آخر، وهو منظور متغير، لايصح الأخذ به دائماً. اني شخصياً لا اتهم احداً من العراقيين بالخيانة حتى تثبت خيانتهم، فهم عرباً او اكراداً مخلصون للوطن، إلاّ ان العديد من الحكام كانت تنقصهم الخبرة ويتسمون بقصر النظر وروح الانانية فهم الذين تسببوا في إثارة المشاكل ثم اطلقوا التهم جزافاً على هذا وذاك من اخوتهم كما شاءوا. ان قاسماً

هو الذي أثار الحركة الكردية وأثار الكرد واثار غيرهم. ولعل قسماً من الوزراء ادركوا هذه الحقيقة، وفي مقدمتهم زميلي محمد الشواف الذي حاول عبثاً إقناع عبدالكريم قاسم بكل اخلاص لكي يتراجع عن موقفه المتعنت. اني مازلت اتذكر جيداً كيف قال لعبدالكريم قاسم انه على استعداد تام للذهاب الى كردستان للاتصال بالطرف الكردي من أجل إنهاء المشكلة؛ إذا كان يرفض ان يقوم فؤاد عارف بذلك، إلاّ ان عبدالكريم قاسم أصّر على موقفه لدوافع خاصة به، مع العلم انه لم تكن هناك مشكلة أصلاً، بل ان قاسماً هو الذي خلقها وفرضها، لأنه لم يكن خبيراً بالسياسة، ولم يسمح لعقول الساسة ان تؤدي دورها.

انه كان يحكم دولة كما لو كان يدير لواءاً عسكرياً لا أكثر... ان مثل هذا الحقد والتطرف لدى المسؤول الأول يجلب الويلات دائماً على الشعوب التي يدفع ابناؤها ثمن أخطاء حكامهم... انها السياسة اللعينة وألاعيبها وفنونها التي اشمئز منها شخصياً.

والأهم من كل ذلك أنني على ثقة ان الحركات الكردية التي اتحدث عنها كانت موجهة أصلاً ضد جور السلطة وتعنتها، ومن أجل ابسط الحقوق المشروعة؛ لذا فانها لم تؤد في يوم من الأيام الى حدوث تقاطع فعلي بين الشعبين العربي والكردي اللذين يربطهما تاريخ طويل حافل، وعقيدة إسلامية سمحاء واحدة. ان سجل التاريخ مليء بالشواهد على التعاون والتآزر والتآخي بين العربي والكردي، فمن لايعرف دور صلاح الدين الايوبي وأسرته الكريمة والآلاف المؤلفة من الاكراد الذين تبعوه طوعاً من أجل الاسلام، وقلما يوجد مثقف عراقي لم يسمع بالدور الذي أداّه الملك محمود الحفيد مع ألف من أعوانه لصد الإنجليز، وهو يقف فى خندق واحد مع اخوته العرب في الشعيبة ١٩١٥(١).

قصة استقالتي من الوزارة

في الحقيقة، بعد ان قرّرت الاستقالة عن قناعة تامة، كتبت كتاباً شديد اللهجة. وأذكر ان السيد ميرحاج رحمه اللّه. جاءني وحدّثني بلهجة معاتبة قائلا: «بأن أخوتي الكرد في

---

(١) اشتركت اعداد كبيرة من المتطوعين الكرد (حسب الوثائق البريطانية حوالي ثلاثة آلاف شخص) في معركة الشعيبة التي وقعت في نيسان ١٩١٥ ضد القوات البريطانية، فكان ذلك أول مؤشر للنضال المشترك ضد المحتل الجديد، ومما له مغزاه ان هوسة شعبية سادت وسط العراق وجنوبه يومذاك، ردّدتها الجماهير العربية بصيغتين، الأولى «ثلثين الجنة لهادينا وثلثها لكاك احمد وأولاده»، والثانية «ثلين الجنة لهادينا وثلثها للشيخ محمود وأكراده»، ويقصدون بهم الوجيه هادي مكوطر وكاك احمد الشيخ والشيخ محمود البرزنجي الذي قاد المتطوعين الكرد.

كردستان تهدم دورهم على رؤوسهم وانا جالس هنا، لاأحرك ساكناً» فأطلعته على طلب استقالتي، فنهض وقبلني. ثم زارني السيد حسن رفعت الذي كان وزيراً للاسكان، وأعلمته بقراري في الاستقالة، فأبدى بدوره رغبته في الإستقالة، وقال اريد ان استقيل معك، قلت: «تفضل، ضع توقيعك الى جانب توقيعي على هذه الإستقالة»، فقرأ نص استقالتي فرفض التوقيع أول الأمر بحجة انها شديدة اللهجة. قلت: «طيب، اذهب واكتب اي نص تختاره انت للإستقالة وسأوقع انا عليه معك». وفعلا كتب نصاً آخر للإستقالة ووقعت عليه معه، دون ان أقرأ ما كتب. فقد اكتفيت بكون النص نص، إستقالة. وأخذت الطلب وذهبت الى مقر عبدالكريم قاسم في وزارة الدفاع. وكنت منفعلاً، وهناك أخبرني مدير المكتب الخاص للزعيم عبدالكريم قاسم بأنه موجود، وكان المكتب في غرفة تؤدي الى غرفته، وكان حسن رفعت معي، وتأخرنا كثيراً، وقال هيا نذهب! ثم نعود، فأبيت وبقيت في مكاني حتى أضطر عبدالكريم قاسم الى الخروج من غرفته وقبلني وجلس الى جانبي وقال: «ماذا عليّ ان أفعل؟» قلت، «لن اكلمك في شيء ولاشيء لديّ لأحدثك عنه، لكني سأقص عليك قصة قصيرة، مؤداها: ان تاجراً كان ابنه يجلب له الغداء الى متجره كل يوم في إناء خزفي ثمين. وكان هذا التاجر يعتز كثيراً بهذا الاناء، وكان في كل يوم يمسك بأذن إبنه ويجرها محذراً إياه من سقوط هذا الإناء وتحطمه، وبدأ التجار من زملائه يعاتبونه على معاقبة ابنه من دون ان يقترف ذنباً، لأن الإناء لم ينكسر بعد، ولكنه كان يقول بأنه يخشى ان يسقط وينكسر، وفي يوم ما سقط الإناء من يد الولد وانكسر ولم يحرك التاجر ساكناً ولم يعاقب الولد، فدهش زملاء التاجر، اذ ظنوا انه سيحل بإبنه عقاباً صارماً. ولما سألوه عن سرّ سكوته، قال: «لقد انكسر الإناء وانقضى الأمر، فلا موجب للعقاب»، فقلت: «وهكذا أنت يا عبدالكريم قاسم، كنت أحذرك دوماً من مشكلة شقّ الوحدة الوطنية. والآن فعلتها، فلا عتاب لي سوى الإنسحاب عن مدارك».

قرأ عبدالكريم الاستقالة، ثم قال: «هل هي مقترحات حتى تحمل أكثر من توقيع؟ هل هي مذكرة؟»، قلت: «طيب، اشطب اسم حسن رفعت، واعتبرها إستقالتي الشخصية، وليقدم حسن رفعت استقالته من بعد».

تحدث عبدالكريم قاسم معي محاولاً ان يثنيني عن رغبتي في الإستقالة، فكنت مصراً، وغادرته الى البيت. ولم اذهب الى الوزارة في اليوم التالي.

وفوجئت بإرسال وكيل الوزارة بعض الاوراق الخاصة بالوزارة للتوقيع عليها.

وفهمت من بعد، ان عبدالكريم قاسم كان قد أمر بذلك، وأخبر الوكيل من طريق مكتبه بأني مصاب بوعكة، ويمكن ان ارى اعمال الوزارة في البيت بضعة أيام، على أمل من عبدالكريم قاسم ان اغّير رأيي، ولكني واصلت إصراري من دون تردد على أني مستقيل، وأبديت رجائي ان لايرسل لي أي شيء رسمي يتعلق بالوزارة، اذ انتهت علاقتي بها ولن أوقع علي اي شيء.

اتصل بي عبدالكريم قاسم وطلب مني زيارته فأمتنعت، فطلب ان يزورني هو بنفسه في داري، قلت: «لن افتح لك الباب ما لم توافق على الإستقالة». فوافق، ثم زرته. ودعاني الى الغداء. وكان آخر جلسة يشوبها الصمت وعنوان النهاية بيني وبينه بعد صداقة طويلة أمتدت ثلاثين عاماً تقريباً أو اكثر، فقد كنّا اصدقاء دراسة كما ذكرت. وهكذا كانت قصة استقالتي ولكن حسن رفعت لم يستقل.

وبعد الاستقالة شعرت تماماً بأني مراقب وان هذا الشعور بدأ يخالجني قبل الإستقالة ثم عرفت اني مراقب فعلاً كما نبهّني الى ذلك بعض الاصدقاء.

لقد كانت في تلك الفترة التكتلات السياسية واضحة. وقد زارني بعض الشخصيات السياسية، أذكر منهم المرحوم احمد حسن البكر. زارني في داري مرتين، كما زارني المرحوم طاهر يحيى مرات عدّة وعدد من الوزراء ممن كانوا لايزالون في وزارة عبدالكريم قاسم. ومما اذكر اني زرت المرحوم عبدالسلام عارف بعد الإفراج عنه وخروجه من السجن.

الفصل السادس

ثورة ١٤ رمضان

فترة ماقبل ثورة ١٤ رمضان

في الفترة التي تلت استقالتي من وزارة عبدالكريم قاسم في ١٩٦١ حتى قيام ثورة ١٤ رمضان كنت أتوقع قيام إنقلاب وانتهاء عبدالكريم قاسم. ومما أذكر أني قلت للسيد بابا علي الحفيد ذات مرة: «ان انقلاباً ما سيقع خلال الاشهر المقبلة لامحالة على وجه التأكيد»، حتى اني راهنته على صدق نبوءتي وانها لو تحققت لوجب ان يقدم لي قطعتين من الارض مقابل ذلك. ومازلت اطالب ببدل الرهان والسيد بابا على مدين لي. وما ضاع حق وراءه مطالب.

لقد كان بعض مخططي إنقلاب رمضان على علاقة مستمرة بي. فقد كان طاهر يحيى واحمد حسن البكر وغيرهما مثلا يزورونني بين الحين والحين. وكنت اعرف ان ثمة إعداداً ومقدمات لتغيير الحكم. ومن الأمور التي كانت تدور بيننا اثناء هذه الزيارات، قبل انقلاب رمضان بفترة وبعد معرفتي ان الانقلاب سيقع لامحالة اني قلت لطاهر يحيى: «نحن العسكريين لانصلح للحكم، فاذا قمتم بثورة وغيّرتم النظام فالمفروض تسليم الأمور لذوي الخبرة على ان يأتي رئيس الجمهورية عن طريق الانتخابات والعمل بالنظام البرلماني في ادارة الحكم». وقد سألني طاهر يحيى في حينه عمّن أرشح ليكون رئيساً للوزراء اذا ماقامت الثورة، اقترحت حكمت سليمان. وفعلا تحدثت مع حكمت سليمان في الموضوع، فوافق على الاقتراح شريطة الاّ يبقى أكثر من ستة أشهر بعد الاطاحة بنظام عبدالكريم قاسم، غير ان احمد حسن البكر جاءني وذكر ان حكمت سليمان كبير السن، وقد لايستطيع النهوض بأعباء الوزارة، قلت انه على عكس مايتصور، وهو جدير بهذه المسؤولية، وموافق مبدئيا ولستة اشهر، فأرسل طاهر يحيى للقاء حكمت سليمان والتأكد من الوضع. ولكن بدا أنهم لم يوافقوا عليه، بالرغم من اعتقادي بأنه الرجل الانجح لتلك الظروف، لاسيما بعد اسقاط قاسم لإعتبارات عديدة.

بعد فترة اشعرني أحد الاصدقاء من المشتركين في تخطيط ثورة ١٤ رمضان برغبة أمين سر حزب البعث العربي الاشتراكي، علي صالح السعدي، بأن يلتقي بي. وفعلا التقينا في بيت كاظم العبادي الذي كان زميلي منذ الدراسة، وهو آمر القوة الجوية في العهد الملكي. وتحدثنا عن ظروف استقالتي من وزارة قاسم ومآآلت اليه الأوضاع. وفاتحني علي صالح السعدي في موضوع القضية الكردية وسبل حلها اذا ما نجحت الثورة. قلت

اني وان كنت كردياً وتهمني القضية الكردية، لكنني اعتقد ان الأجدى ان يصار الى الاتصال بممثلي الحركة الكردية مباشرة. واقترحت عليه الاتصال بصالح اليوسفي الذي كان مختفياً في بغداد، فوافق على الاقتراح. وفعلا جرى الاتصال في حينه. واتصلت انا بدوري بالسيد شوكت عقراوي، وافهمته الموضوع، لأن شوكت عقراوي يعرف مقر صالح اليوسفي. وفي اليوم التالي، في الساعة العاشرة مساء، تم لقاء صالح اليوسفي مع علي صالح السعدي بصحبة شوكت عقراوي في ساحة عنتر. ومن هناك اصطحبهما السعدي بسيارته الشخصية الى مكان الاجتماع. في هذا الاجتماع تمّت المداولة بين صالح اليوسفي والسعدي ومن معه حول القضية الكردية والاتفاق بشأنها اذا مانجحت الثورة.

قيام الثورة واستدعائي الى دار الاذاعة

ولما قامت الثورة وسمعت ببيان إعلانها من الاذاعة، أستدعيت فوراً الى دار الاذاعة.و كانت هواتف الوزراء مقطوعة، وكان اليوم هو الجمعة، وسائق سيارتي الشخصية كان مجازاً، فذهبت بنفسي اقودها، ومعي مسدسي، ولم أستطع اختراق شارع الجمهورية لأنه كان مقطوعاً، فذهبت عبر شارع الكفاح، إلاّ ان معارضي الانقلاب من انصار قاسم كانوا قد وضعوا حواجز في الطرقات وهم يقاومون والرمي متواصل من الطرفين، فاصطدمت بي دبابة فتعطلت سيارتي، وجاءني اثنان يناديان: (قف!) فاخرجت مسدسي اطلقت النار عليهما فهربا.

مرّت سيارة عسكرية وصحت بالسائق وقلت: «قف!» فلم يقف، فهجمت على السيارة وتعلقت بها واخرجت مسدسي وصوبته الى السائق وقلت له: «هل مع الثورة أنت ام ضد الثورة؟» قال: «انا مع الثورة»، قلت: «انا الزعيم فؤاد عارف وقد استدعتني الاذاعة». وكان يجلس الى جانب السائق ضابط برتبة ملازم.

طلبت منهما ان يوصلاني الى هناك، فاعتذرا عن الامتثال لطلبي بأن لهما واجباً، واقترحا علي اخذي الى آمر الكتيبة في مقر كتيبتهم حتى لايكونا مسؤولين. وكان مسدسي مايزال مصوباً نحوهما. فسألتهما عن آمر كتيبتهما، أجابا بأنه فلان، فوافقت؛ لأني كنت اعرفه. وذهبنا الى الكتيبة وطلبت منه ايصالي الى دار الاذاعة العراقية عبر جسر الاحرار.

ووصلت الاذاعة ومازال المسدس في يدي. وان اول شخص التقيته في دار الاذاعة

الرئيس (النقيب) عبدالله مجيد، مرافق عبدالسلام عارف. وكنت اعتقد اني سأجد حكمت سليمان والشيخ رضا الشبيني والسيد مهدي كبه هناك، بناءاً على اقتراحي، بخصوص تأليف وزارة مدنية من أعضاء لهم تاريخ وتجربة سياسية، ولكن لم اجد احداً ممن توقعت، ولم اجد غير عبدالسلام عارف وعلي صالح السعدي وصالح عماش واحمد حسن البكر فسألتهم: «أين الوزراء المدنيون؟ ألم نتفق على ذلك؟»، قال صالح مهدي عماش: «ابو فرهاد احنا نسوي ثورة ونجيب الافندية، ليش احنا شبينا؟»، ثم قال عبدالسلام عارف: «شنو احنا شبينا؟ ليش مانجي للحكم؟» ثم اردف قائلاً: «ابو فرهاد، احنا نريد تأييدك» قلت: «انا لا املك اية قوة سياسية لتأييدكم؛ لأني لاامثل احداً». ثم وجهت كلامي الى علي صالح السعدي وقلت: «لقد سبق لك ان اتصلت بممثلي الحزب الديمقراطي الكردستاني، وبإمكانك الاتصال بهم الآن».

وعندها اتصلت بشوكت عقراوي في داره، ليتصل هو بدوره بصالح اليوسفي ويأتي بصحبته الى الاذاعة. وقلت لصالح اليوسفي: «انك تمثل الحركة الكردية والحزب الديمقراطي الكردستاني، وانت بإمكانك الآن ان تتصرف». فأجابني صالح اليوسفي قائلاً: «انا لا أتصرف من دونك». قلت: «لابأس». ثم كتبنا تأييداً لثورة ١٤ رمضان معاً. وانطوى التأييد على طلب الحكم الذاتي. واذيع التأييد من دار الإذاعة بإسمي واسم صالح اليوسفي ممثل الحزب الديمقراطي الكردستاني.

واذكر اني قبل دخولي على عبدالسلام عارف طلب مني الرئيس عبدالله تسليمه مسدسي، متذرعا بأنه لايمكن دخولي عليهم حاملاً مسدسي وهم في الساعات الاولى من الثورة، ومازال قاسم يقاوم. فأعطيته المسدس. لما حل المساء نهضت لأعود الى البيت وطلبت إعادة مسدسي. ضحك عبدالسلام عارف وقال: «ابو فرهاد، اعطني مسدسي الذي اخذته مني، كي اعطيك اليوم المسدس الذي أخذوه منك».

قلت: «لاياعبدالسلام، لم يأخذوه مني، انما انا الذي اعطيتهم اياه بمحض ارادتي. اني لست ممن ينتزع المسدس من أيديهم، وانت تعرف كيف انتزعت انا المسدس من يدك في حينه». وقد فهم عبدالسلام ماذا ارمي من ردي له، لأني انا الذي انتزعت المسدس من يده عندما اخرجه في اثناء نقاشه مع قاسم في حضوري، ثم إدعّائه بأنه كان يريد ان ينتحر... وقد جلب لي عبدالله مجيد مسدسي وخرجت من دار الاذاعة.

وفي صبيحة اليوم التالي ٩ شباط ١٩٦٣ جاءت سيارة لأخذي الى دار الاذاعة وهناك

قالوا لي: سيأتي عبدالكريم قاسم مستسلماً وسنعدمه». قلت: «لا أستطيع ان أرى هذا المنظر». اعتذرت وعدت الى البيت.

وزيراً في العهد الجديد

في اليوم التالي للثورة انعقد مجلس الوزراء وكنت وزيراً للدولة وشؤون الأوقاف، أما بابا علي الشيخ محمود فقد كان وزيراً للزراعة. وقد تم الاجتماع في مبنى البلاط الملكي، وكان احمد حسن البكر يرأس الاجتماع بوصفه رئيساً للوزراء.

وعن طبيعة الجو الذي كان يسود اجتماعات مجلس الوزراء في عهد عبدالسلام عارف قياساً الى مجلس وزراء قاسم يمكن القول بأنه كان يتسم بالحرية الكاملة، وطبيعي ان يعود هذا الى عوامل عديدة. كان ثمة اجتماع آخر يعقد من دون علمنا نحن الوزراء المستقلين باسم اجتماع مجلس قيادة الثورة الذي لم يعهده مرحلة حكم قاسم، وكانت رئاسة هذا الاجتماع دورية، وكانت اجتماعات قيادة الثورة تجرى بمعزل عن اجتماع مجلس الوزراء وقد خصص كما عرفت في حينه مبلغ ٥٠٠٠٠ دينار مخصصات حزبية للقيادتين القومية والقطرية. والجدير بالملاحظة ان عبدالسلام عارف كان يحضر مجلس الوزراء.

وعموماً فان مجال المناقشة كان مفتوحاً، وفي بعض الأمور كان مجلس الوزراء يصر على رأيه وإن تقاطع هذا الرأي مع رأي عبدالسلام عارف، وهذه مسألة اقولها للأمانة التاريخية. وعلى سبيل المثال اذكر قضية السيد كاظم خلف الذي كان قد اعفي في عهد قاسم وكان سفيراً للعراق في لندن.

وبعد ثورة ١٤ رمضان اراد وزير الخارجية السيد طالب شبيب اعادته، وسألني عن رأيي فيه، أجبت انه إنسان طيب وفي اعادته الى الوظيفة عين الصواب، إلاّ ان عبدالسلام عارف كان يكره كاظم خلف هذا من دون سبب نعرفه نحن وطلب مني وزير الخارجية ان أساندُه عند طرح موضوعه في المجلس. ولما طرح موضوع كاظم خلف بشأن اعادته ابدى عبدالسلام عارف إنزعاجه قائلاً: «هم كاظم وهم خلف وهم تردون أرجعه... ما أرجعه...!» ولكن بعد اخذ ورّد اقتنع عبدالسلام عارف اخيراً بوجهة نظر وزير الخارجية وأعيد الرجل الى الوظيفة في وزارة الخارجية رغم معارضة عبدالسلام عارف الشديدة. لقد كان اتخاذ القرارات يتم بعد المناقشة بأكثرية الأصوات.

اما ما يتعلق بصيغة البيان الذي اذيع يوم الثامن من شباط ١٩٦٣ فأني لا اتذكرها مفصلة ولكن للحقيقة والتاريخ لابد من القول بأنه تطرق الى القضية الكردية، ولكن بشيء من السطحية والغموض. فقد اشار الى تعزيز الاخوة العربية الكردية بما يضمن مصالح القوميتين، وأكد على احترام حقوق الأقليات. ولا أدري ما إذا كان قد اعتبر الاكراد اقلية؛ لأن عبارة احترام حقوق الاقليات جاءت بعد عبارة تعزيز الاخوة العربية الكردية، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان عبارة حقوق الاقليات بما يخص القضية الكردية لم تكن واضحة الجوانب في ذهن قادة ثورة رمضان، هل كانت تعني الحكم الذاتي؟ هل كانت تعني إصلاح واعمار المنطقة؟ هل كانت تعني تمثيلاً في الوزارة؟ من هنا اقول كان يشوب هذه العبارة بعض الغموض.

ومن الطبيعي ان هذا كان مبرراً لإجراء الحوار بين قادة الحركة الكردية المسلحة وقادة ثورة رمضان بعد قيامها برغم اتصالات مسبقة جرت بين علي صالح السعدي وبعض كبار اعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني، مثل السيد صالح اليوسفي الذي كان مختفياً في بغداد يومئذ. وعلي اية حال فقد اكد البيان في مواضع عدة على ما اذكر الوحدة الوطنية واطلاق الحريات الديمقراطية. وعلى اثر صدور البيان من قادة الحركة الكردية من خلال عدد من الشخصيات الكردية المعروفين الموجودين يومئذ في بغداد، وكانوا على اتصال مستمر مع قادة الحركة الكردية. اقول بعد مرور شهر تقريباً على قيام ثورة شباط، أي في الخامس من آذار جاء وفد كردي الى بغداد برئاسة جلال الطالباني، وقد حضرت الاجتماع الذي عقد بهذه المناسبة، وكان المرحوم صالح مهدي عماش حاضراً أيضاً وقد أثار بعض الأمور التي لا ارى داعياً لإثارتها، فأنتقدته بعنف على ذلك، وقلت له حرفياً: «نحن نريد الحل والاتفاق بينما انت تنبش الماضي وتريد تعقيد الأمر بعملك هذا». هنا توجه لي جلال الطالباني، وقال لي: «كاك فؤاد اتركنا وشأننا، فنحن حزبيون ولانستطيع التفاهم من دون مثل هذه الاساليب»، وفعلا لم أحضر بعد تلك المرة الاجتماعات التي عقدت بين الطرفين و شجعني بابا علي على عدم الحضور قائلاً: كاك فؤاد من الأفضل ان لاتحضر الاجتماعات لأنك بإنفعالك لاتصلح لمثل هذه اللقاءات الساخنة».

كان ذلك اول لقاء لي مع السيد جلال الطالباني وجهاً لوجه، فوجدته شاباً نشيطاً وذكياً، ولبقاً جداً، الأمر الذي تأكد لي اكثر اثناء لقائنا بالرئيس جمال عبدالناصر،

الموضوع الذي اعود الى تفصيلاته فيما بعد.

بعد فترة تقرر تأليف وفد القيادة الكردية. والذي ضم إضافة لي بصفتي وزيراً كردياً، السيد طاهر يحيى، والسيد علي حيدر سليمان سفير العراق في واشنطن، وكان الوفد جاداً في رغبته للتوصل الى نتائج إيجابية تخدم الوحدة الوطنية في العراق بما يكفل حقوق القومية للشعب الكردي. اما تركيبة الوفد فبقدر ما يتعلق بالسيد علي حيدر سليمان فانه كانت تجمعه بعبدالسلام عارف علاقة صداقة وكان موضع ثقته التي نشأت ابان مرافقته لعبدالسلام عارف حين عين سفيراً في بون كما ذكرنا، كما كان معتدلاً في آرائه رغم كونه كردياً، وربما كان دوره في تخفيف المطالبة بالحقوق القومية الكردية هو الآخر من عوامل اختياره عضواً في الوفد.

وصلنا بطائرة مروحية الى منطقة (چوار قورنه) وكان السيد البارزاني في استقبالنا وفي معيته رؤساء العشائر وبعض الاعضاء الكبار من الحزب وغيرهم، وكان البارزاني يقصد من ذلك أنه لايمثل الحزب فحسب بل رؤساء العشائر ايضاً، وقد اشار رؤساء العشائر اكثر من مرة الى تأييدهم للبارزاني.

قرأ علي حيدر سليمان مسودة المشروع، اي مشروع الدولة بشأن حل القضة الكردية، لكن الملا مصطفى البارزاني لم يوافق عليه وقال: «لنا مشروعنا، ونحن في الاساس كنا قد طلبنا الحكم الذاتي».

حسب اعتقادي، ان حزب البعث العربي الاشتراكي آنذاك لم يكن قادراً على تقرير حقوق الشعب الكردي، فلجأ الى الشخصيات الوطنية والعربية يستأنس بآرائهم، مثل جمال عبدالناصر واحمد بن بله، واشترك السيد جلال الطالباني ايضاً في الحوار مع هذين الزعيمين في الحوار، لأني اساساً لم أكن موافقاً على المشروع الذي اقترحته الدولة؛ لأنه من وجهة نظري لم يكن يمثل طموحات الشعب الكردي، لذا فقد اشعرت قيادة الحركة الكردية من خلال شخص اتصل بالبارزاني مقدماً بأني لست براض عن مشروع الحكومة حول الموضوع، حتى اني قد اخبرته بأن القيادة الكردية إذا وافقت عليه فستقع المسألة ضمن مسؤوليتهم وحدهم وليست مسؤوليتي، لذا لم اتدخل في النقاش بشأن الموضوع.

اما أبرز ما جاء في المذكرة التي قدمتها إليَّ القيادة الكردية بوصفي عضو مفاوض والممثل للحكومة العراقية هو الاعتراف الفوري بالحكم الذاتي لمنطقة كردستان العراق وتثبيت ذلك في الدستور العراقي واذاعته من دار الاذاعة العراقية ونشره في الجريدة

الرسمية واعطاء نسخة من الدستور المتضمن للحكم الذاتي للشعب الكردي الى الأمم المتحدة. كما حدّدت المذكرة المنطقة التي يفترض ان تشمل بقانون الحكم الذاتي، وكذلك اكدت المذكرة ان تكون اللغة الكردية هي اللغة الرسمية في المنطقة، عدا المناطق التي لايسكن فيها مواطنون اكراد، فتكون دراسة غير الاكراد بلغاتهم الخاصة مع تدريس اللغة الكردية ايضاً. وكانت ثمة تفصيلات أخرى بشأن الحكم الذاتي لا اتذكرها ولكن بإمكان أي باحث ان يرجع اليها في المصادر والكتب المعنية بالقضية الكردية.

اما رد الفعل للمذكرة من جانب الحكومة فكان سلبياً، اذ لم تكن مقتنعة تماماً بما جاء فيها، مع العلم انها ذكرت بأنها قابلة للمداولة والمناقشة وانها ليست نهائية، ولكنها تعبر عن وجهة نظر الحركة الكردية ومطاليبها التي من اجلها رفع الشعب الكردي السلاح، وكل ما في الأمر ان الحكومة قررت تأليف وفد شعبي وأعني بالحكومة مجلس قيادة الثورة. وتقرر ان تجري مفاوضات بين الوفد الشعبي وقيادة الحركة الكردية بما يخدم الوحدة الوطنية في العراق.

وفعلاً تألف الوفد من شخصيات سياسية ذوي ماضٍ نضالي وسياسي في البلد، وهم السادة محمد رضا الشبيبي الذي كان يقود حزب الجبهة الشعبية في فترة ما من تاريخه السياسي، والمحامي فائق السامرائي وهوأاحد قادة حزب الاستقلال؛ اذ كان في فترة ما نائباً لرئيس الحزب، والمحامي حسين جميل الذي كان سكرتيراً للحزب الوطني الديمقراطي، والمحامي فيصل حبيب الخيزران، وهو من الاعضاء البارزين في حزب البعث العربي الاشتراكي آنذاك. كما اسهم في الوفد الدكتور عبدالعزيز الدوري رئيس جامعة بغداد(١)، والسيد زيد احمد عثمان وهو شخصية كردية.

فيما يتعلق بطبيعة المفاوضات ونتائجها ان الوفد الشعبي هذا اجتمع بقيادة الحركة الكردية في قرية چوارقورنه وفي يومي ٧–٨ آذار ١٩٦٣ وتوصل الطرفان الى صيغة غير نهائية وتمهيدية على هذا الموضوع ان ما توصل اليه الطرفان كان خطوة متقدمة في مصلحة حل المشكلة الكردية وتخفيف حدتها بغية الوصول الى لغة مشتركة، فقد خلق عهد عبدالكريم قاسم عدداً من المشكلات التي تفاقمت بسبب قيام الحركة الكردية العام ١٩٦١. واذكر ان ما جاء في هذا التمهيد الذي توصل اليه الطرفان آنذاك اي الوفد الشعبي وقيادة الحركة الكردية، اعلان حالة العفو العام عن كل من اشترك في الحركة الكردية

---

(١) مؤرخ كبير، له دراسات جادة في التاريخ الاسلامي تتسم بالتحليل الدقيق، والموضوعية.

واطلاق سراح المعتقلين حالاً وكذلك الاعتراف بحقوق الشعب الكردي على أساس الادارة الذاتية وإقرار هذا في الدستور العراقي، ثم التوصل الى تفاصيل هذه الادارة الذاتية التي هي من وجهة نظري ومن حيث الجوهر هي الحكم الذاتي، وكذلك جاء التأكيد على رفع الحصار الاقتصادي عن كردستان التي كان قاسم قد فرضه عليها حصاراً اقتصادياً مشدداً كجزء من خطته للقضاء على الحركة الكردية، كما جاء في هذه الوثيقة مطالب تتضمن تطهير جهاز الدولة من المسيئين للاكراد ممن عملوا في المنطقة الشمالية ورفع الحجز عن اموال وممتلكات من حجزت اموالهم بسبب الحركة مع ابداء مشاعر حسن النية بسحب القطعات العسكرية من كردستان لإضفاء حالة من الحياة الطبيعية على المنطقة.

اما بصدد تنفيذ هذه المطالب فقد اصدر مجلس قيادة ثورة رمضان بياناً اقر فيه الحقوق القومية للشعب الكردي على أساس اللامركزية وقد وعد البيان ان تعتمد هذه الصيغة في الدستور العراقي المؤقت والدائم، ولم تتضح تماماً صيغة اللامركزية هذه في البيان. واعتقد ان الخلاف جرى من بعد حول مسألتين، الصيغة من جهة والتلكؤ في التنفيذ من جهة اخرى.

ومما زاد من غموض صيغة اللامركزية، التعددية في المصطلحات المتمحورة حول الموضوع، وقد يكون ثمة فوق بين الادارة الذاتية والحكم الذاتي واللامركزية من حيث المعنى الظاهري، ولكن المحتوى الحقيقي هو الذي يمّيز الفرق عند التطبيق.

لقد وجدت الحكومة مصطلح الادارة الذاتية اخف وطأة من الحكم الذاتي أو ان الادارة اللامركزية كانت مقبولة في نظرها اكثر من مصطلح الحكم الذاتي، في حين تشبثت القيادة الكردية بمصطلح الحكم الذاتي اكثر، بالرغم من انها وافقت بعد ذلك على المصطلحات التي ارادتها الحكومة انذاك. فقد تم الاتفاق على الادارة الذاتية. وفي فترة اخرى وافقت على الادارة اللامركزية، وكانت وجهة نظري هي: كم يمنح الشعب الكردي من حقوقه القومية؟ ما معنى اللامركزية ان كان واقع الحال لايعبر حقاً عن ادارة لامركزية وتمتع الشعب الكردي بادارة نفسه محلياً، اي لامركزياً. اقول ان العبرة بمدى تحقق المكاسب وليس بالعناوين.

ولعل اهم اسباب الخلاف كما اعتقد، وعدم التوصل الى نتائج ايجابية في النهاية هي مسألة مدلول هذه المصطلحات في ذهن كل من الطرفين. وعلى الرغم من ان اجتماعات جرت بين الوفدين الشعبي والكردي إلاّ إن المفاوضات لم تسفر عن نتيجة، لأن السبب كان

يكمن في اختلاف مفهوم الادارة الذاتية لدى الوفدين من جهة وافتقار الوفد الشعبي الى صلاحيات حقيقية، مما دفع الحركة الكردية الى المطالبة بمفاوضة اعضاء رسميين من الجانب الحكومي. وفعلا قامت الحكومة بتشكيل وفد مفاوض رسمي مؤلف من الفريق صالح مهدي عماش وزير الدفاع، والعميد ناجي طالب وزير الزراعة، وحازم جواد وكيل وزارة الداخلية مع بابا علي، هذا اضافة الى الوفد الشعبي الذي انضم الى الوفد الرسمي. وفعلاً بدأت الاجتماعات تتخذ طابعاً اكثر جدية من ذي قبل وبدأ الوفدان يعملان على صياغة قانون الادارة اللامركزية المتبع آنذاك في جمهورية السودان، وخطت المفاوضات خطوات جيدة لمصلحة حل المشكلة واقرار المشروع وضمان السلام في كردستان، إلاّ ان المفاوضات تعثرت ووصلت الى طريق مسدود بسبب الاختلاف في تحديد الحدود الجغرافية للمنطقة التي ستخضع الى قانون الادارة اللامركزية، وكان هذا هو السبب في عودة الاقتتال بعد فشل المفاوضات في حينه، وبدأ القتال قبل منتصف حزيران العام ١٩٦٣، وساءت الاحوال النفسية والاقتصادية في كردستان، واضطربت أكثر من ذي قبل.

مع جمال عبدالناصر وبن بله

بعد ثورة شباط زرت القاهرة ضمن وفد رسمي ضم كلاًمن السادة علي صالح السعدي رئيساً، وطالب شبيب وزير الخارجية، وحردان التكريتي وزير الدفاع وغيرهم اعضاء. وقد خصصت الحكومة المصرية قصر الطاهرة مقراً لإقامتنا.

في الوقت نفسه وصل وفد شعبي عراقي الى القاهرة، وقد ضّم شخصيات سياسية معروفة من امثال السيدين حسين جميل وفائق السامرائي، ومثل السيد جلال الطالباني الحركة الكردية في الوفد. واذكر للتاريخ ان الطالباني كان متردداً جداً في قبول الاشتراك في الوفد من دون موافقة مسبقة من البارزاني، إلاّ أنني اقنعته بضرورة الاشتراك، واخذت توضيح الأمر للبارزاني على عاتقي بعد عودتنا. وقد علمت فيما بعد ان البارزاني لم يكن في البداية مرتاحاً من اشتراك الطالباني في الوفد، إلاّ انه غيّر رأيه بعد ان وضّحت له الأمر.

اجتمع الرئيس الراحل جمال عبدالناصر بالوفدين على انفراد فالتقيته لأول مرة عندما اجتمع بالوفد الرسمي، فوجدته انساناً رائعاً، متفهماً، متأنياً، متواضعاً، فأعجبت به كثيراً. وقد وقفت على خصاله هذه عندما التقانا، انا والطالباني لوحدنا في داره،

جلال الطالباني والزعيم الراحل جمال عبدالناصر وفؤاد عارف في دار عبدالناصر بالقاهره. زينت غرفة الاستقبال المتواضعة للرئيس المصري بصور زعماء حركة عدم الانحياز نهرو وسوكارنو وانديرا غاندي و تيتو

على المنصة نائب رئيس الجمهورية المصرية علي صبري، وعلي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء في العراق، وخلف المنصة من اليمين السفير العراقي عبدالرحمن البزاز ووزير شؤون الاوقاف فؤاد عارف، وصالح مهدي عماش وزير الدفاع، ووزير الخارجية طالب شبيب عام ١٩٣٦

فازددت إعجاباً به لسببين، اولهما انه كان ينصت الى محدثه بكل جوارحه، وثانيهما انه لم يكن يدّعي معرفة ما لايعرف. انني كنت معجباً بجمال عبدالناصر منذ الخمسينيات، اذ كنت اتابع خطاباته، ومواقفه، فزاد اعجابي به، وحبي له بعد لقائي به شخصياً.

تحدث علي صالح السعدي مع جمال عبدالناصر بشأن القضية الكردية بأن القيادة في العراق لاتريد حل مشكلات القطر بمعزل عن الأمة العربية، كي لا تلام. وفي العراق مشكلة اسمها القضية الكردية وانهم يريدون ان يحاوروهم بشأنها. وكذلك تحدث السعدي مع احمد بن بله ايضاً حين التقيناه في الجزائر وهو رئيس الجمهورية آنذاك.

لقد اولانا جمال عبدالناصر حباً وتقديراً، ودعانا انا وجلال الطالباني للاجتماع به على إنفراد في داره. وقد اوضح جمال عبدالناصر رأيه صراحة بأن للكرد حقاً في الصيغة التي يرتؤونها لحياتهم مادامو لايريدون ولايطالبون بالانفصال عن العراق. ومن الفروض ان تعطيهم الحكومة العراقية حق اختيار الاسلوب الذي يريدون العيش به. وكان جمال عبدالناصر يؤيد فكرة الحكم الذاتي للشعب الكردي. وكان على جانب كبير من المعلومات حول القضية الكردية.

اما بن بله فقد ذكر بأننا اولاً بشر، ثم مسلمون، ثم عرب، والاكراد اخوة للعرب في الانسانية والدين. لم يكن بن بله راضياً باسلوب العنف ابداً وكان متألماً من معالجة قضية شعب يريد الحكم الذاتي ان يضرب بالنار والحديد. لقد ايد وشجع الوفد العراقي الرسمي على رسم صيغة تضمن حل المشكلة من دون عنف مادام الاكراد لايطالبون بالانفصال عن جسد العراق.

لقد اوضحت للرئيسين عبدالناصر وبن بله أنه لم يحدث اي خلاف عبر التاريخ بين العرب والاكراد وانما الخلاف هو بين الشعب الكردي والحكومات التي اتت الى دست الحكم ولاتعرف كيف تعالج المشكلة، لأننا من حيث الاساس شعب واحد، وكل ما في الأمر ان لنا خصوصية قومية تتصل بلغتنا القومية وثقافتنا وتقاليدنا وهذه مسألة مفهومة عالمياً ولاتحتاج الى هذه الاشكالات كلها، فثمة دول عديدة في العالم تتعايش فيها قوميات متآخية والاساس هو توفر عنصر الديمقراطية في التعامل.

لقد كانت هذه اللقاءات مثمرة وصريحة لعلي صالح السعدي بشكل خاص، بيد ان الامور تعقدت من بعد للاسف بالرغم ان السعدي كان يريد ان يهتدي بآراء هذين الرئيسين، وبالرغم من كون جمال عبدالناصر وبن بله داعيين الى وقف القتال، لكن

القتال بين الحكومة العراقية والحركة الكردية بدأ من جديد.

وعلى اثر بدء سوء العلاقة في اواسط الستينات بين المسؤولين في العراق وجمال عبدالناصر وتوجيه النقد بلغة ساخنة الى السياسة العراقية وعلي صالح السعدي نفسه وما دار في محادثات الوحدة الثلاثية و ذكر اسمي باعتباري عضواً في الوفد الذي سافر الى مصر لهذه الغاية دارت بعض الشكوك حولي بأني قد تحدثت بشكل منفرد مع جمال عبدالناصر واتفقت معه على مسائل تخص القضية الكردية بمعزل عن معرفة الوفد العراقي، ولكن اذاعة صوت العرب اذاعت كل ما دار بيني وبين عبدالناصر وكنت شاكراً لها. وقد ودعنا جمال عبدالناصر بقلب مفعم بالإعجاب والود والثقة بوجوب حل القضية الكردية حلاً ايجابياً، وان هذا لا يتقاطع مع رأي وتوجهات اثنين من ابرز الشخصيات السياسية في الوطن العربي اولهما جمال عبدالناصر، والثاني احمد بن بله.

وهنا تحضرني طرفة وهي انني عندما ودّعت السيد جمال عبدالناصر قال لي: «سلّم على الشعب العربي في العراق»، قلت له: «سيادة الرئيس تقصد الشعب العراقي او العرب وحدهم في العراق؟ لأن العراق يعيش فيه عرب واكراد وقوميات اخرى وعندما تسلم على الشعب العربي فانك تعزل سلامك عن الآخرين في حين يكن غير العرب ايضاً لسيادتكم الحب والاحترام والاعجاب». فشكرني على هذه الملحوظة العتابية قائلاً: «ان تركيبة الشعب المصري تختلف عن تركيبة الشعب العراقي، لأننا في مصر نتكلم العربية جميعاً وكلنا شوافع، وفعلا عليّ ان اقول: سلم لي على شعب العراق كلهم...»».

ثم تحدثنا في تلك اللحظات الأخيرة مرة أخرى عن العلاقات التاريخية بين العرب والاكراد وكيف ان العشائر العربية والكردية تعيش بشكل متجاور ولم تختلف يوماً ما ولم تعتد عشيرة على أخرى لسبب قومي، بل ان المشكلات سببها كان دوماً عدم قدرة السلطات على إحتواء مطالب الشعب.

لقاء آخر مع جمال عبدالناصر سنة ١٩٦٧

اشتركت في الوفد العراقي الذي توجه الى مصر للتباحث مع السيد جمال عبدالناصر بشأن الحرب مع اسرائيل، والدور الممكن للعراق عند تأزم الوضع ونشوب الحرب. جرى الحوار حول الموضوع وافاد عبدالناصر انه ليس بحاجة تماماً الى مساعدة العراق، وكان ينطق في حديثه من موقع قوة وثقة عالية بحجة ان الجيش المصري هو ضعف الجيش

الاسرائيلي، ولن يحتاج الى تدخل العراق عسكرياً في حالة وقوع الحرب، كما ان الطيران المصري اكثر بكثير مما لدى اسرائيل. ثم اعقب بأننا، وهو يقصد العراق وسورية، اذا أردنا مساعدة الجيش المصري فان الأمر يعود الينا ونحن الذين نقرر. وقد ألحّ الوفد العراقي على رغبته في الاسهام في هذه الحرب. فوافق عبدالناصر على تقديم مساعدات معنوية فقط بإرسال فوج عراقي.

وكان الوفد يتألف من السيد طاهر يحيى نائب رئيس الوزراء وانا بوصفي نائباً لرئيس الوزراء ايضاً ووزير الدفاع ووزير الخارجية ووزير الوحدة.

اما عن دوري في الحوار فقد لذت بالصمت أول الامر، وانا اسمع فقط، وكنت جالساً الى جانب عبدالناصر تماماً، وفجأة وضع يده على يدي وسألني قائلاً: «لماذا لاتتكلم يافؤاد!» قلت له: «قبل ان أتكلم، أريد ان اسأل سيادتكم سؤالاً واحداً» فقال: «تفضل»، قلت له: «هل ستقوم الحرب» قال وهو يغير من جلسته: «اعتقد انها ستقوم وان مقدار توقعي لقيامها ٨٥٪؛ لأننا احتللنا شرم الشيخ وطردنا قوات الطوارىء». فقلت له: «اذن ياسيادة الرئيس مادمت قد ذكرت قبل قليل ان الجيش المصري متحشد، وهو ضعف القوات الاسرائيلية عدة وعتاداً، وان الجيش الاسرائيلي غير متحشد بعد، فلماذا لاتقوم بهجوم مباغت وتنقل المعركة الى داخل ارض العدو وتباغتهم فتعرض شروطك عليهم، وانت في أرضهم؟» فقال: «لا أريد ان اكون معتدياً بادئاً في الحرب». قلت: «ياسيادة الرئيس انك طردت قوات الطوارىء وسيطرت على شرم الشيخ، والعدو سيهجم لامحالة واذا ما هجم فان الحرب ستقع على ارضكم، وهذه مسألة ستكلفكم كثيراً. والحرب لابد ان تكون قصيرة، لان الشرق والغرب لايريدان إدامة الحرب. وبهذا فان احتمالاً كبيراً اذا ما هجمت اسرائيل ان تحسم الحرب لمصلحتها وارى ان تباغت انت اسرائيل».

بعد لحظة صمت، اجابني جمال عبدالناصر قائلاً: «ياسيد فؤاد، أرجو الاّ تتصور ان الحرب ستكون حرباً كبيرة، ربما فوج من هنا وفوج من هناك... وبعض المناوشات وهي ليست بحرب جدية وقد تكون على غرار مناوشات العام ١٩٤٨». قلت: «ياسيادة الرئيس اني اخالفك الرأي، ولكن ارجو اللّه ان اكون على خطأ»، ولذت بالصمت.

وبعد عودتنا الى العراق وصل وفد من مصر الى بغداد برئاسة نائب رئيس الجمهورية والقائد العسكري العام وآخرون وكان الوفد العراقي للتباحث مع الوفد برئاسة الرئيس عبدالرحمن عارف وانا وطاهر يحيى وعبدالغني الراوي واسماعيل مصطفى مع رئيس

اركان الجيش، وقادة الفرق وآمر القوة الجوية، اجتمعنا في القصر الجمهوري للبحث في كيفية تعاون الجيش العراقي مع مصر. ويبدو ان جمال عبدالناصر قد بدأ يغير من نظرته الى مستوى الحرب المتوقعة التي لمسناها في حوارنا معه في مصر.

ومما اذكر من الأمور التي دارت بين الوفدين اني تقدمت برأي شخصي واخذ بنظر الاعتبار وحظي بموافقة الوفدين وهو ان تعطى القوات العراقية في حال اشتراكها في الحرب التي ستكون تحت أمرتكم واجبات واهداف معينة، وان يطلب منها تحقيق اهدافها الموضوعة لها، لا ان توزع وتشتت على جبهات مختلفة اي ان تبقى هذه القوات محتفظة بشخصيتها العراقية، وان تعطى القوة الجوية العراقية، اي ان تحدد الاهداف من قبل القيادة المصرية ويتم التنفيذ وصدور الاوامر من القيادة الجوية العراقية. وقد قوبلت مقترحاتي بتقدير الوفد وشكره.

بعد هذا اللقاء سافر وفد عراقي برئاسة طاهر يحيى الى مصر وهناك حدث الهجوم في ٥ حزيران في العام ١٩٦٧ وعاد الوفد العراقي وطاهر ومما يذكر عن الموقف العسكري في مصر اننا ذهبنا في جولة ميدانية، برفقنا اللواء الركن شاكر محمود شكر وزير الدفاع العراقي وهو من الضباط الركن اللامعين ولم يكن راضياً عن الموقف العسكري كما لم يكن متفائلاً. فقد ابدى ملاحظاته حول نواقص استعدادات الجيش المصري وتجمعاتهم حول الماء، وضعف الضبط والمقرات المكشوفة ومصادر المياه المكشوفة وضعف الاستحكامات فكانت عموماً ضعيفة وانعدام الضبط. واعطى وزير الدفاع العراقي شاكر محمود شكري الى عبدالحكيم عامر ملاحظاته، كما ناقشنا هذه المسائل من بعد عند إستضافته إيانا في داره.

السعدي والقضية الكردية

اما موقف علي صالح السعدي من القضية الكردية فإني مقتنع ان علي صالح السعدي كان يرغب عميقاً ان تعالج القضية الكردية سلمياً وديمقراطياً كما كنت أستدل من أحاديثه معي ومع السيد عبدالناصر. اما كيف تبدل موقفه بعد ذلك فانه بوصفه حزبياً كان عليه ان ينفذ القرارات الحزبية، وثمة فرق بين الرأي الشخصي والرأي الحزبي. ومما اذكر ان طالب شبيب جاءني وهو وزير للخارجية بعد أن وجدني منفعلاً عقب احد الإجتماعات التي تناولت القضية الكردية وقال لي: «أن موقف علي صالح السعدي جيد ازاء القضية الكردية واسلوب معالجتها، ولكنه بوصفه كردياً اصلاً، فانه لايبدي حماساً

كبيراً بشأن الموضوع، لذا فقد كلفّني، اي كلف طالب شبيب ان يتحدث هو ويوضح أبعاد القضية وحقوق الشعب الكردي في الاجتماع». اي أن علي صالح السعدي لم يكن قادراً او راغباً في الافصاح عن كامل رغبته في معالجة القضية الكردية، ومنح الكرد حقوقهم المشروعة كي لايفسر موقفه تفسيراً عرقياً او كي لايكون التفسير مقترناً بقومية السعدي الذي كان كردياً في الأصل.

مع عبدالرحمن البزاز

ترجع معرفتي بالمرحوم عبدالرحمن البزاز الى العام ١٩٦٣ عندما كان سفيراً في القاهرة والتقيته هناك لدى سفري مع الوفد العراقي الرسمي. وقد وجدت فيه شخصاً على درجة عالية من الثقافة والاطلاع والذكاء. وكان متفهماً للقضية الكردية بموضوعية عالية، قياساً الى الشخصيات السياسية العراقية في تلك الفترة. ولكن في تقديري أخطأَ البزاز في محاربته للإتجاه والثقل العسكريين في الحكومة قبل ان يقوي ويمسك بزمام الامور تماماً.

وكنت دائماً اطالب بهذا وقد اقترحت الحياة البرلمانية في كل المناسبات قبل انقلاب ٨ شباط وبعده، كما اشرت في هذه المذكرات. واعتقد ان المسألة التي لم يقدرها البزاز هي ان الاقتتال في كردستان كان من مصلحة بعض الضباط المنتفعين من الحالة غير الطبيعية؛ لذا اطيح به؛ لأن موقعه كان أضعف من مجموع مواقع العسكريين في الدولة زمن عارف. وقد علمت من بعد ان البزاز عارض موضوع اعتقالي وارسالي منفياً الى عين التمر، ولكنه لم يستطع ان يؤكد هذه المعارضة امام عبدالسلام عارف، أي أنه لم يكن مستريحاً لهذا الاجراء ابداً. وقد اشتركت معه في مفاوضات العام ١٩٦٦ عند مجيء ادريس البارزاني الى بغداد.

بيان التاسع والعشرين من حزيران

كان البيان خطوة واضحة وجيدة الى امام للطرفين؛ اذ كانا بحاجة الى وقف القتال وإلتقاط الانفاس. وقد ارادت القيادة الكردية كما اعتقد، اعطاء الفرصة للرئيس عبدالرحمن عارف الذي خلف شقيقه عبدالسلام، في معالجة القضية الكردية، فقد كان الرئيس الجديد يحتاج ايضاً الى (هدنة)؛ لكي يتبين طريقه بوصفه رئيساً جديداً يفاجأ بالرئاسة. لقد كانت الحركة الكردية تتوخى نتائج جيدة من سياسة عبدالرحمن البزاز.

فقد وقف اطلاق النار ودخلت القضية الكردية في حوار جديد اسفر عن بيان التاسع والعشرين من حزيران.

وبعد بضعة ايام من اطلاعي على مشروع بيان ٢٩ حزيران جاءني بابا علي وكان منفعلاً وقال لي: «يافؤاد قرّرت ألاّ اعمل مع هؤلاء بعد اليوم». وكان بابا علي قد اختلف مع البزاز واحتد في المناقشة معه فسلّمني زمام المفاوضة على أساس ان الحكومة ستتصل بي بهذا الشأن. ثم جاءني في اليوم التالي السيد زيد احمد عثمان ليخبرني ان البزاز يرغب في دعوتي الى العشاء في المجلس الوطني على ان ادعو من أشاء من الشخصيات الكردية للتحدث بشأن القضية الكردية. ولبيت الدعوة، وذهبنا انا وفتاح شالي ومجيد علي واحمد كمال وزيد احمد عثمان وعبدالرحمن المفتي (جماعة عين التمر). افتتح الكلام علي حيدر، فعاتبته بالكردية قائلاً: «كيف يتجاوز البزاز على بابا علي؟» والبزاز فعلاً كان قد كلم بابا علي باسلوب حاد، مما جعل بابا علي متأثراً الى درجة إعلانه عن عدم رغبته في التعاون مع حكومة البزاز. وقد فهم البزاز ما قلته بالكردية وادرك اننا متأثرون منه بسبب اسلوبه مع بابا علي، فغير مجرى الحديث رأساً فدخل في الحوار، وقال: «ماذا تريدون؟» قلت: «نقترح ان ترسل هذه المقررات (٢٩ حزيران) الى قيادة الحركة الكردية لدراستها لأنها هي الجهة التي تستطيع ان تقرر او توافق او لا توافق». ثم سافرت الى لبنان.

النفي الى عين التمر ١٩٦٦

في العام ١٩٦٦ كنت خارج المسؤولية، متقاعداً. والسبب هو إنفعال عبدالسلام عارف بسبب زيارتي له قبل صدور أمر النفي بيومين، فقد أرسل يطلب مقابلتي، وكما بدا لي من خلال مقدمة حديثه معي يريد تكليفي منصباً ما، او بعبارة اوضح يريد ان اعود الى الوزارة. فبدأ يمتدح نفسه ويسبغ على نفسه مجموعة من الصفات الجيدة، ثم اعقب كلامه بتوجيه سؤال قائلاً: «بالله موهيچي؟» قلت: «لاوالله موهيچي». ثم اعقبت قائلاً: «ياعبدالسلام أنا اريد ان اكون صريحاً معك. انت رئيس جمهورية، ولا أريد ان اكذب عليك، فأنت لك أخطاء كثيرة». قال: «ما أخطائي؟» قلت: «لك اخطاء كثيرة، انك حقود...». انفعل قائلاً: «انك اخي الكبير واتقبل منك هذه الكلمات...». قلت له: «اني لم الفظ هذه الكلمات لإهانتك بل رغبة في أن تصلح نفسك...». قام من كرسيّه، فمد يده الي قائلاً: «شكراً انتهت المقابلة...» فصافحته وخرجت.

بعد يومين او ثلاثة من هذا اللقاء فوجئت، وانا في عمارة حسيب صالح بمجيء شخصين من الأمن العامة، ومعهما ورقة تتضمن أمر إعتقالي وكان السيد عبدالله سعيد هناك. وأمر الاعتقال يذكر (فؤاد عارف وجماعته) مع اسمائهم، وبعد فترة وجدت الجماعة ايضاً قد وصلت، وهم عبدالفتاح الشالي واللواء مجيد علي واللواء عبدالرحمن المفتي والعميد احمد كمال قادر. اما زيد احمد عثمان ورشيد جودت فقد اعتقلا قبلنا مع آخرين لا أتذكر أسماءهم. ثم جاءوا بأشخاص آخرين منهم الرئيس الاول الحقوقي محمود حمزه وزوراب دارا خان وجمال ولي ابو الحسين وابراهيم محمد حسن ونعمة الحيدري وجهاد مجيد وحمدي علول وشيركو ابراهيم والسيد علي وعائلته وأحد ابناء عزيز پشتيوان وآخرون وبقينا في عين التمر حتى وفاة عبدالسلام عارف.

اما عن حياتنا في عين التمر فإننا عندما وصلنا هذا المنفى تذكرت بعض أصدقائي أيام كنت محافظاً لكربلاء. بادرت الى مخابرة أصدقائي من بيت آل النقيب، منهم السيد جواد النقيب، فعاتبوني؛ اذ لم اخبرهم بوصولي الى عين التمر فوراً، فبينت لهم ظروفي، وقلت لهم: «بإني موقوف الآن وقد فرضت علّي الاقامة الجبرية هنا».

خابر اصدقائي مدير الناحية فأخلي لنا قصر (كان للجماعة قصر خاص في عين التمر) فوفروا لنا كل شيء، ثم جاءوا لزيارتي، وسكّنا في دارهم العامرة. وجاء العلامة السيد مهدي الحكيم نجل آية الله السيد محسن الحكيم مع وفد من علماء النجف بإسم آية الله السيد محسن الحكيم. وقد قدّم لنا أهالي كربلاء والنجف الأشرف خدمة جليلة لن انساها، حتى ان الطباخ الخاص لمتصرف كربلاء استقال من عمله، وجاء ليصبح طباخاً لنا، نحن المقيمين المبعدين في عين التمر.

وقبل وصولنا الى عين التمر جرى توقيفنا كالعادة وأخذنا مخفورين الى دائرة الأمن، ثم أتوا بنا الى مركز السراي واتصلت بالنادي العسكري لإرسال العشاء الينا، وقد جيء لنا بالعشاء فعلاً. وفي الصباح استأجرنا سيارة من مالنا الخاص لإيصالنا الى عين التمر.

بعد عودتنا من عين التمر اتصل كل من بابا علي وزيد احمد عثمان بعبدالرحمن البزاز حول بيان ٢٩ حزيران، ثم ذهب زيد احمد عثمان للقاء البارزاني. ثم اتصل بي بعض الاخوان وقالوا: «ان زيد احمد عثمان وبابا علي وعلى حيدر سليمان يخططون لحل القضية الكردية من دون الرجوع اليك او اشراكك». قلت لهم: «ليس شرطاً ان أكون معهم، أرجو اللّه ان يوفقهم لما فيه مصلحة الوطن». في الواقع ان بابا علي كان يعتقد ان زيد

صورة المنفيين الكرد الى عين التمر عام ١٩٦٦.

من اليمين: اللواء المتقاعد عبدالرحمن المفتي، زيد احمد عثمان، العميد احمد كمال قادر، اللواء فؤاد عارف، اللواء عبدالمجيد علي

احمد عثمان يخبرني بتفاصيل الموضوع خطوة خطوة، ولكن زيداً قد حجب عني ماكان متوقعاً ان يطلعني عليه من تفاصيل، ولا ادري لماذا؟.

وفي احد الايام دعاني بابا علي للغداء في فندق بغداد مع كل من الاستاذ حسين جميل وزيد احمد عثمان وغيرهما من الشخصيات. هناك اخرج بابا علي نسخة من المشروع، وقد شعرت بشيء من التأثر، حينذاك عرف بابا علي أن الموضوع قد حجب عني، فبدأ يتصل بي منذ ذلك اليوم ويخبرني عن كل صغيرة وكبيرة بشأن الموضوع.

قناعتي بعدالة القضية الكردية

عندما وصل وفد الحركة الكردية بغداد وحضر عن الجانب الحكومي صالح مهدي عمّاش وحردان التكريتي وآخرون بدأ العتاب، وتدخّلت في الموضوع وقلت: «اني أعتقد أن لاحاجة الى العتاب وتبادل الاتهامات فالمفروض ان نبدأ صفحة جديدة من اليوم». لكن السيد جلال الطالباني رئيس الوفد قال: «لا يا كاكه فؤاد، هذا هو الاسلوب الحزبي الجاري في المناقشات، ويجب ان نصفي حساباتنا». لهذا السبب انسحبت من الاجتماع؛ لإقتناعي بأن هذا الاسلوب لايقود الى نتيجة إيجابية بقدر ما يزيد من الانفعالات كما سبق وان بينت ذلك.

الحق، أني عندما ذهبت بصفتي عضواً في الوفد المفاوض مع السيد طاهر يحيى وعلي حيدر سليمان عن الجانب الحكومي لمفاوضة قادة الحركة الكردية لم أكن شخصياً

سلطان لحد وامير عمان في دار متصرف كربلاء اللواء فؤاد عارف ١٩٥٨/١١/٢٤

مقتنعاً بورقة الدولة... كنت واثقاً بأنها لن تلقى رضاهم آنذاك. وفعلاً هذا ما حدث، أي أني لم أكن مقتنعاً أساساً بفكرة الادارة الذاتية والادارة اللامركزية؛ لأن مطلب الاكراد كان واضحاً في القصد من الحكم الذاتي.

ومع مرور الايام، وبالرغم من اني لم ابق إلاّ فترة قصيرة في الوزارة التي كان يرأسها احمد حسن البكر في عهد عبدالسلام عارف توصلت الى قناعة تامة ان للحكومة تناقضاتها في موضوع القضية الكردية. فقبل قيام ثورة رمضان كان بعض قادة هذه الثورة يتحدثون عن القضية الكردية وسبل حلها بأسلوب بدائي مختلف تماماً مع توجهاتهم لحل القضية بعد تسلمهم الحكم، هذا من جهة، ومن جهة اخرى بدأت اشعر بحراجة موقفي بوصفي وزيراً كردياً في وزارة، وحكومة متذبذبة في حل القضية الكردية، وهي تحاول بشتى الطرق ان تتنصل من بعض الالتزامات التي قطعتها على نفسها وهي كثيرة لايمكن حصرها في هذه العجالة، إلاّ ان مجمل التفاصيل اليومية، وما كان يكتنف المفاوضات من اختناقات جعلتني لا أجد مناصاً من الإستقالة.

ففي احد اجتماعات مجلس الوزراء تحدثت بإسهاب عن علاقة العرب والكرد في العراق واوضحت للمجلس دور الشعب الكردي في دعم الحركة الوطنية ودور الشيخ محمود الحفيد في الدفاع عن العراق ضد الانجليز وارساله لقواته الى الشعيبة، وكيف أن الكرد دافعوا عن العراق وصدوا التقدم الروسي في رواندوز، وكيف ان الاكراد صوتوا لمصلحة الانضمام الى الدولة العراقية، لا الى تركيا في وقت صوت فيه بعض العرب لمصلحة الانضمام الى تركيا! وقلت للمجلس: «ان العربي هنا في العراق يشعر بإمتداد مواطنته الى كل الاقطار العربية، فاذا لم يرغب في العيش هنا فبأمكانه ان يكون مواطناً في الجزائر او مصر او السودان او السعودية، فكلها وطنه. اما نحن الكرد فليس لنا كما شاء قدرنا السياسي هنا إلاّ كردستان العراق فهو ملاذنا الأول والاخير، لذا لا أجد مبرراً للتشكيك بإخلاص أي كردي في مواطنته الكردية العراقية، فأين يذهب الكردي إن لم يكن في العراق؟ وإن ذهب فإنه ينتهي لامحال...» ووجهت الحديث الى عبدالسلام عارف واحمد حسن البكر قائلاً: «منذ اليوم الذي جلستما على كرسي الحكم نسيتما ما كنتما تتحدثان به قبل ثورة رمضان». ومما اذكر اني رويت لهما وللآخرين قصة القس الفاجر الذي استطاع خادمه استدراجه الى اجلاسه على كرسي الاعتراف وتناسى القس كل سؤال وجهه اليه الخادم بشأن فجوره وادعى الصمم بحجة انه لايسمع شيئاً طالما هو جالس

على الكرسي، وشبهتهم في موقفهم عن حق الشعب الكردي والاعتراف بوجوده بذلك القس... وعلى الفور نهضت معلناً إستقالتي من منصبي بصفتي وزيراً، وقلت لهما: «غداً تصلكما إستقالتي تحريرياً».

وجرى حديث جانبي بيني وبين كل من عبدالسلام عارف واحمد حسن البكر خارج المجلس، وهما يحاولان ان يثنياني عن الاستقالة، فقلت لهما: «لقد تحمّلت كل شيء منكما، ولكن لايمكن ان اهرق كرامتي امام شعبي الكردي». وللتاريخ اقول: ان بابا علي نهض وقال «اني مؤيد لفؤاد عارف في كل ما ذكره».

في اليوم الثاني ارسلت استقالتي مع سائق سيارتي مشفوعاً بطلب لسحب الهاتف الخاص الموضوع في داري بوصفي وزيراً. واتصل بي بابا علي بعد نصف ساعة واخبرني ان احمد حسن البكر قد اتصل به واعلمه بوصول طلب استقالتي تحريرياً وقد طلب منه، اي بابا علي العمل معاً على صرفي عن الاستقالة والعدول عنها، بيد ان بابا علي بعد اتصاله بي وتأكده من اصراري على الاستقالة قدم بدوره إستقالته ايضاً واخبر السيد احمد حسن البكر بذلك.

في الواقع اني بقيت فترة بعد الاستقالة مراقباً. واذكر ان دراجة بخارية كانت تلاحق سيارتي حيثما ذهبت مدة ما. وللتاريخ اقول ان علاقتي بقيت حسنة مع عبدالسلام عارف

نائب رئيس الوزراء فؤاد عارف يؤدي اليمين الدستورية امام رئيس الجمهورية عبدالرحمن عارف

ثلاث سنوات رغم ماجرى بيننا، وقد دعاني اكثر من مرة، إلاّ ان علاقتي ساءت معه عندما طلبني وأراد ان يسند لي منصب نائب رئيس الوزراء فرفضت وبينت له بعض صفاته غير المقبولة كما ذكرت آنفاً وامر بإعتقالي.

ثم حاول بعض الزملاء مثل السيد عبدالرحمن البزاز، رئيس الوزراء وطاهر يحيى وسعيد صليبي وعبداللطيف الدراجي وآخرون تغيير قراره من التوقيف الى النفي والابعاد الى عين التمر كما ذكرت، وبقيت منفياً في عين التمر حتى توفي رحمه اللّه.

ولعل أبرز شيئين قمت بهما العام ١٩٦٧ هما تحديد موقفي من السلطة بعد إستقالتي من الوزارة بصفتي نائباً لرئيس الوزراء، وتقديم مذكرة مشتركة مع بابا علي الى رئيس الجمهورية بشأن القضية الكردية وما آلت اليه. (نشرت المذكرة في جريدة خه بات- النضال لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني).

ومهما تردد من ذكر أسباب استقالتي يومئذ فالذي يجب ان أوضحه أن مشروع وزارة الشؤون الكردية، اي وجود وزارة دائمية معنية بشؤون كردستان من خلال عدد من المديريات العامة المرتبطة بهذه الوزارة ومن مختلف الاختصاصات كان مشروعاً سبق ان درس ونوقش في منزل السيد بابا علي الحفيد من قبل سكرتير الحزب الديمقراطي الكردستاني، السيد حبيب كريم، بمشاركتي انا والسيد بابا علي ومسعود محمد وفائق هوشيار وشخصيات أخرى لا أتذكر اسماءهم، وتم الاتفاق على ان يقدم هذا المشروع باسم السيد بابا علي وباسمي الى السلطة. وكان بابا علي يستشير ذوي الاختصاص بالقانون، منهم السادة رشيد نجيب وفائق هوشيار وزيد احمد عثمان ايضاً ممن كانوا يحضرون هذه الاجتماعات في دار بابا علي او داري وتمحور النقاش حول تسمية المشروع بـ(وزارة شؤون الشمال) حتى اني اذكر ان وزير الوحدة عبدالرزاق محي الدين وجه الحديث الى رئيس الجمهورية بأن فكرة هذه الوزارة تتقاطع مع فكرة الوحدة العربية وقال: «أرجو حمايتي! من هذا المشروع».

لقد ارسل اسم الوزارة (وزارة شؤون الشمال) الى وزارة العدل للبت في التسمية قانوناً، لكن وزارة العدل غيرت الاسم الى (وزارة إعمار الشمال)، إلاّ أني عاتبت وزير العدل السيد مصلح النقشبندي على ذلك، فأجابني قائلاً: «والله انا موظف ورئيس الجمهورية هو الذي أكد هذه التسمية»، فعدت أسأله ما إذا كان متثبتاً مما يقول؟ أجاب وزير العدل «نعم» واستغربت؛ لأن رئيس الجمهورية سبق ان وافق على التسمية المذكورة من قبل وان إرسال

الاسم الى وزارة العدل لم يكن إلاّ اجراءاً روتينياً. وحين انعقد مجلس الوزراء وجهت سؤالاً الى وزير العدل وقلت له: «بصفتي نائب رئيس الوزراء كيف تتجاوزني في تغيير اسم الوزارة ومن دون علمي وهو مقترح قدمناه نحن مجتمعين؟» لم يجب وزير العدل وظل صامتاً، فطلبت منه ان يكون صريحاً في اجابته، فأجاب ان رئيس الجمهورية هو الذي طلب منه تغيير الاسم من (وزارة شؤون الشمال) الى (وزارة إعمار الشمال)، فأخذت الاوراق الخاصة بشأن الموضوع وأنا في منتهى الغضب والانفعال من هذا الموقف غير المسؤول، حتى ان السيد احسان شيرزاد أراد ان يناقش الموضوع غير اني منعته من ذلك، ومزقتها امام رئيس الجمهورية الذي كان جالساً وهو يترأس مجلس الوزراء واعلنت إستقالتي امامهم. فطلب نائب رئيس الوزراء طاهر يحيى استراحة عشر دقائق، وحاول رئيس الجمهورية اثناء الاستراحة ان يعتذر وان يثنيني عنها غير اني اصررت على إستقالتي، مع العلم انه اعلن عن موافقته على اعادة تسمية الوزارة على النحو الذي اردناه (وزارة شؤون الشمال)، ولكني غادرت الاجتماع وتأجل الاجتماع. والحقيقة اني كنت في أشد حالات الانفعال؛ لأن مثل هذه الاعمال تتقاطع مع طبيعتي فاني صريح وأُقدر الصراحة ولا أحتمل ان تجري الأمور من وراء الكواليس، وقد منعت احسان شيرزاد، كما قلت، من مناقشة الوزراء حول الموضوع؛ لأنه اراد ان يناقشهم نقاشاً علمياً وبموضوعية ويفهمهم كيف ان في هذا المقترح الكثير من مصلحة العراق. وقلت له: «يا استاذ احسان، لافائدة من مناقشتهم، وارجو ان تكف عن هذا النقاش». وقد استقال احسان شيرزاد معي.

طلبني عبدالرحمن عارف فزرته في مقر الرئاسة وبادرني قائلاً: «لايجوز يافؤاد ان تستقيل، أرجو ان تسحب الاستقالة». قلت له: «انا مستعد لسحب الاستقالة على شريطة ان تعلن الانتخابات البرلمانية وان يصبح لدينا في العراق مجلس نواب وان تسلمهم أنت الامانة التي تحملها، وثق بأنك ستنتخب، ولن ينتخب غيرك، لأنك تكون قد تصرفت تصرفاً ديموقراطياً، والناس تشعر بظمأً شديد الى الديمقراطية... فلو فعلت انت هذا يا عبدالرحمن فان الشعب العراقي سيصنع لك تمثالاً من ذهب»، وكنت صادقاً معه فأجابني ان كلامي في منتهى الصواب، قلت له: «ما دمت تؤمن بصواب قولي، اذا سأعطيك ثلاثة ايام، مؤجلاً استقالتي، لكي تقرر. وبعكسه سأكون مستقيلاً»، ولكن للأسف فإن بعض الضباط مثل سعيد صليبي وغيره اقنعوه بالعدول عن هذا الرأي قائلين: «نحن ثرنا، كيف نسلمها لغيرنا من المدنيين؟». هذه هي آفة الثورات والانقلابات في دول العالم الثالث، وكانوا متحسسين كثيراً من عبدالرحمن البزاز ايضاً، لميله الى الاتجاه المدني

والديمقراطي في الادارة والحكم؛ لذا تحول عبدالرحمن عارف عن فكرة الانتخابات وقال لي: «انا الآن رئيس الوزراء وانت النائب، وليست ثمة مشكلة بيننا»، فلم أوافق. وبعد تركي الوزارة وفي حدود شهر أو اقل تخلى عبدالرحمن عارف عن رئاسة الوزارة واكتفى بمنصبه رئيساً للجمهورية وكلف طاهر يحيى بتشكيل وزارة جديدة.

ومما يذكر ان السيد احسان شيرزاد قدم هو ايضاً استقالته من منصبه اسوة بي وايد كل مواقفي في مجلس الوزراء.

نص مذكرة تاريخية

من طبعي انني قلما احتفظ، للأسف، بالوثائق والاوراق عموماً، ولكن لحسن الحظ لا ازال احتفظ حتى اليوم بنسخة من نص المذكرة التي تقدمت بها مع السيد بابا علي في التاسع من كانون الثاني السنة ١٩٦٧ الى السيد عبدالرحمن عارف بصفته رئيساً للجمهورية فآثرت ان اختتم بها هذا الجزء من مذكراتي علها تلقي بعض الضوء على صفحة مهمة من تاريخ العراق المعاصر فيما يخص القضية الكردية وأبعادها وملابساتها الحقيقية بعيداً عن الاتهامات الباطلة التي تنثر جزافاً.

«السيد رئيس الجمهورية المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اننا اذ نرفع مذكرتنا هذه الى مقام الرئاسة فذلك لأن البلاد تفتقد لسبب او لآخر وسائل التعبير الديمقراطية وفي مقدمتها الحياة البرلمانية، الأمر الذي يصعب معه على المواطنين الافصاح عن رغباتهم وقول كلمتهم عما يطرأ على شؤونهم وشؤون بلادهم، فليس لنا، والحالة هذه، إلاّ أن نتوجه بمشكلاتنا وبما نراه بشأنها الى مقام رئاسة الجمهورية لتعمل على حلها بحكم ما للرئاسة من سلطات وما تنهض به من مسؤوليات في هذه الفترة، مدفوعين في ذلك بنبل القصد وسمو الغاية وروح المواطنة المخلصة، مستهدفين خير العراق أجمع.

يا سيادة الرئيس

ان الحس الوطني المخلص لشرف المواطنة وتبعاتها هو الموجه والحافز لنا فيما سنعرض وان الهدف المتوخى من سعينا هو دعم الوحدة الوطنية وترصين الاخاء وشد أواصر الألفة والأخاء بين مختلف قوميات العراق وفي مقدمتها القوميتان العربية

والكردية، ونحن إذ نعبر عن رأينا فإنما نحدده ونعبر عنه بمعزل عن أي فئة او حزب او جماعة سياسية، والرأي الذي نبينه إنما هو نابع من ايماننا العميق بقدسية الوحدة العراقية وحرصنا عليها اشد الحرص، ومن الاعتزاز بقوميتنا اعتزازاً كريماً دونما استعلاء او كبرياء.

سيادة الرئيس

لاشك ان مشكلة الشمال ماثلة لكل خاطر ومآسيها المفجعة مازالت تحزّ في النفوس المؤمنة الأمينة الشريفة وتحزنها وان كل مواطن مسؤول او غير مسؤول، لمدعو الى العمل بهمة وأمانة وحرص على الحيلولة دون تكرارها وانطلاقاً من هذه النيات الهادفة للخير والصلاح نود ان نطرح أمام سيادتكم ما يتصل بالمشكلة الكردية من ظروف وملابسات، آملين ان تتدارسوا الأمر بما يتسم به سيادتكم من حكمة ورشاد وبما يناسب المشكلة ذاتها من أهمية كبرى بحيث يصبح بمقدور الاكراد ان يلمسوا الاجراءات الايجابية التي ستكون ولاشك ثمرة هذه الدراسة.

كانت الوزارة السابقة قد اصدرت بياناً بشأن المشكلة الكردية (بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦) وتبنته الوزارة الحاضرة وكان البيان قد أُستقبل بترحاب ورضى من قبل المواطنين وفي مقدمتهم الاكراد ورغبة منهم في توطيد الاخاء الحقيقي بينهم وبين اخوتهم العرب ولتمسكهم بتربة الوطن ووحدة ابنائه محبذين الروح الطيبة التي دفعت بالمسؤولين الى اصداره وتبني تطبيق بنوده. وقد تجلّت نوايا الاكراد الحسنة في الاستقبال الحافل الذي قوبلت به زيارتكم الكريمة للشمال والمشاعر الصادقة التي عّبروا عنها في كل مرحلة من مراحل الزيارة، وفي الاستقبال ومظاهر حفاوته، مما يدل دلالة واضحة على أن الاكراد كانوا ومازالوا من أشد انصار الوحدة العراقية وأكثرهم حرصاً عليها كما وانهم اعتبروا تلك الزيارة انعكاسا لما تحسون به سيادتكم من عطف شامل على المواطنين كافة من دون تحيز.

كان البيان المذكور معقد آمال المخلصين في حل المشكلة وكانت زيارتكم الكريمة فرصة للتعبير عن الرضى والترحيب بعودة الصفاء. لكن ياسيادة الرئيس يؤلمنا ان نعرض على سيادتكم بأن شيئاً غير قليل من الشكوك والأسى أخذ يتسرب الى قلوب الاكراد نظراً لما يلاحظون من التباطؤ في تطبيق بنود البيان، والذي رافق البيان منذ صدوره حتى الآن، إن هذه البادرة المثبطة للعزيمة والامل اخذت تخلق بدورها تساؤلات

كثيرة في الأوساط الكردية الأمر الذي من شأنه ان تنقلب معه هذه التساؤلات او تلك الشكوك الى خيبة في ما علقوا على البيان المذكور من آمال ما لم تبادر الجهات المختصة الى تدابير عملية ايجابية لتبديدها ولإحياء الأمل في النفوس ولتقوية الثقة التي بعثها البيان، تلك الثقة التي نرى من واجبنا جميعاً ان نعمل على تعزيزها كما هو هدف هذه المذكرة المتواضعة التي بين يدي سيادتكم وفي هذا الصدد نود أن نؤكد لسيادتكم بأن حرصنا المتزايد على الحفاظ على الروح الاخوية التي انبعثت من جديد بصدور البيان المذكور بين كافة الاخوة من العرب والاكراد، والسعي بصورة جدّية لمنع حدوث اي رد فعل غير مستحب في هذا الشأن هو الذي جعلنا نعمل على سرد الوقائع التالية التي ساعدت على خلق تلك الموجة من التساؤلات لدى المواطنين الاكراد وغيرهم من أبناء العراق المخلصين:

١ – لم يشرع حتى اليوم قانون المحافظات بشكله المعدل.

٢– لم يشرع قانون الانتخابات الذي نرى ان ينص على أن تكون الوحدة الانتخابية على أساس الناحية، او القضاء على أكبر تقدير تمشياً مع نصوص لائحة قانون المحافظات وبنود البيان.

٣– عدم إخلاء القرى الكردية بصيغتها العامة فلم يتم حتى الآن تشريع بتثبيتها.

٤– لم ينفذ البند الخاص بمشاركة الاكراد في الحكم ولانقصد بالمشاركة بالحكم تحديد المناصب او الرواتب وانما نقصد الاسهام الفعلي في رسم سياسة البلد وادارة شؤونها العامة بالقدر الذي يتناسب مع مكانة الاكراد ومكانهم في هذا الوطن. ومازالت الوزارات والدوائر المركزية والمؤسسات الهامة كشركة النفط الوطنية ومجلس التخطيط وغيرها خالية من عناصر كردية تشغل مناصب ذات مسؤولية فيها.

٥– لم ينفذ البند الخاص بحصر التعيين في المنطقة الكردية بأبنائها.

٦– وكذلك لم يطبق البند بإعتبار اللغة الكردية لغة رسمية في المنطقة الكردية في التعليم وفي الدواوين.

٧– على الرغم من اصدار قانون العفو العام عن الاكراد المشتركين في الحركات العسكرية في الشمال فان الشكليات المتبعة في التنفيذ وبعض نصوص القانون نفسه تشكل عرقلة كبيرة في إعفاء المعتقلين والمسجونين.

٨- كان مِن المنتظر بعد صدور البيان ان يعاد الموظفون والمستخدمون الاكراد الى وظائفهم غير ان هذا البند قد ظّل مهملاً والدليل على ذلك انه لم يعد أحد الى وظيفته ممن كانوا يشغلون وظائف هامة وان عدد صغار الموظفين الذين اعيدوا الى وظائفهم قد لايتجاوز ٥٪ من المجموع. اما العدد القليل من الضباط الذين اعيدوا فمعظمهم بقوا حتى الآن من غير عمل.

٩- اما من ناحية التعليم والثقافة فالملحوظ انه رغم قبول مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص الذي نص عليه فان ابواب الكليات وخاصة كليات الشرطة والعسكرية والطيران بقيت موصدة أمام الطلاب الاكراد وذلك بالرغم من أن الجهات المختصة كافة تعترف بأن الطلاب الاكراد تعرضوا لسنين عدة الى محنة مما كان ينبغي ان تعالج قضاياهم برفق وعطف وتقدير؛ اذ حرم الاكراد من الدراسة العالية فكيف يمكن ان يساهموا في المستقبل، في ادارة دفة الأمور في البلاد وان يحصلوا على حصتهم العادلة من الوظائف.

١٠- وقد لاحظنا مؤخراً ان مواضيع هامة ذات صلة وثيقة بحاضر البلاد ومستقبلها كانت ومازالت موضوع دراسة ومناقشة في اجتماعات خاصة تعقد لهذا الغرض ولكن لم تتح الفرصة لأية شخصية كردية للمشاركة في هذه الاجتماعات مع انه من المسلم بأن الاكراد هم ركن من اركان البلاد الهامة وان المشكلات او المسائل التي تمس أوضاع البلاد العامة لها مساس وثيق بهم كما بغيرهم فإبقاؤهم بمعزل عن مثل هذه الشؤون الهامة يترك لديهم انطباعاً غير محمود.

١١- ولا نغالي إذا قلنا أن الأهم من كل ماورد ذكره هو موضوع إعمار الشمال لأنه موضوع يمس في الصميم مئات الالوف من الاكراد ومع ذلك ورغم وجود وزارة بإسم وزارة اعمار الشمال منذ أكثر من خمسة أشهر فان أبناء المنطقة الشمالية الذين اكتووا بنار الدمار والتخريب والتخلف لم يروا حتى الآن بادرة عملية تبعث فيهم الأمل فالوزارة بقيت هيكلاً من غير روح وهي لاتملك حتى الآن من السلطات القانونية والتشكيلات الادارية والفنية والاعتمادات الكافية من المال- وهي عصب الحياة بالنسبة لمشاريع الاعمار- ما يمكنها من القيام بأي عمل عمراني وعلى هذا فان المنطقة بقيت محرومة من التقدم الاقتصادي والعمراني الذي تنعم به باقي المناطق في حين ظلت الوزارة المذكورة مادة دسمة للتحدث عنها في الصحف والاذاعات.

ان مآسي هذه المشكلة يا سيادة الرئيس لاتخفى على أحد ولانريد اليوم ان نثير العواطف او نبعث اشجانها وانما نأمل العمل الجاد المخلص المتكاتف بين الاطراف على ازالة اشباحها التي مازالت تجر الويلات والحرمان على الأغلبية المطلقة من الاكراد، ففريق يعيش اليوم دون مأوى، وآخر دون طعام او عمل، وقد عطلت مرافق الحياة وسدت أبواب المدارس وانعدمت العناية الصحية والخدمات الطبية، كل ذلك والمخلصون يؤملون تطبيق مايتضمنه المنهاج المذكور لتعود الحياة إلى مجراها الطبيعي والألفة والتآخي الى سابق عهدهما، علما بأن المنهاج المشار اليه هو منهاج إصلاحي التزمت به وزارتان متعاقبتان وباركه سيادتكم، وعلى هذا فانه اصبح خطة رسمية ثابتة للدولة ينبغي تطبيقها في كافة الظروف ومن قبل أية حكومة تتولى تصريف الأمور في البلاد ولايصح تعليق هذا المنهاج او إشتراط تطبيقه على شروط تمليها هذه المحكمة او تلك.

نحن اذ نرفع الأمر الى سيادتكم في تفاصيله لنأمل ان يجد لدى سيادتكم من العناية على حله وإنهائه مع مايتناسب وأهميته البالغة وذلك لأنه يمثل مشكلة لها جانب إنساني وآخر وطني يتعلق بمصالح فريق كبير من ابناء الشعب العراقي بل يمس مصلحة العراق عامة وأن حله وتطبيق المنهاج الذي اعد لذلك يعتبر بمثابة تمهيد لعودة الأمور الى سلامة سيرها لا في الشمال فحسب بل في ربوع العراق بصورة عامة حين تعود الحياة الدستورية البرلمانية التي هي في الواقع ركيزة الوحدة الوطنية وأمل الشعب العراقي بأسره.

إنّ هذه المذكرة ياسيادة الرئيس وان كانت تحمل توقيعنا نحن الاثنين فقط إلاّ أنها تعبر في الواقع عن وجهة نظر عدد كبير من ذوي الشأن والمثقفين الاكراد في بغداد والذين أعدوا هذه المذكرة على أساس المداولات والمذاكرات المستفيضة التي جرت معهم.

واللّه من وراء القصد

بغداد في ١٩٦٧/١/١٩

فؤاد عارف

بابا علي الشيخ محمود

الفصل السابع

ذكريات وعبر

كلمة

عندما كان يُنجز طبع الفصول السابقة من هذه المذكرات تباعاً، ويطّلع أصدقائي المقربين على مضمونها كانوا يسألونني عن سبب عدم تطرقي الى أمورٍ كثيرة كنت قد رويتها لهم في مناسبات مختلفة، ويصرون على ضرورة نشرها لما فيها من عبر مفيدة وطرافة مرغوبة، فإقتنعتُ برأيهم، وقررت أن اضيف هذا الفصل الى الجزء الأول من مذكراتي، واخترت له نماذج قليلة من ذكريات اعتز بأحداثها، وأرى فائدة في نشرها على أمل أن أتمكن من نشر نماذج أخرى منها في الجزء الثاني من مذكراتي بعونه تعالى.

معالي السيد محسن شلاش

في العام ١٩٤٧ كنت مديراً لتجنيد منطقة كربلاء، وقد كنت حريصاً في حينه على ان لا تتأخر معاملة أي مواطن، اذ كنت أقدّر ظروف المراجعين وأتجول في دائرة التجنيد والنفوس واطّلع بنفسي على سير المعاملات مما جعلني موضع حب الأهالي.

في أحد الايام زارني شخص وقور معمم ملتحف بعباءة، وكان كبير السن، فرحت به كثيراً واحترمته وقدمت له الشاي من دون ان أعرفه، وعلمت منه أنه جاء لمجرد الزيارة وليس لديه معاملة في الدائرة، وكنت اجاذبه الحديث واقضي في الوقت نفسه معاملات المراجعين.

اثناء ذلك رّن جرس الهاتف وسمعت على الخط عبدالحسين وقف مدير اوقاف كربلاء يطلب معالي السيد محسن شلاش(١)، فقلت له: «ان معالي محسن شلاش غير موجود هنا»، واذا بالزائر يقول: «انا محسن شلاش المطلوب على الهاتف»، عند ذاك علمت ان هذا الزائر هو وزير المالية في ١٩٢٣.

وتبسطنا في الحديث، وتحدث عن نفسه عندما كان وزيراً للمالية في العشرينيات وكان قد اشترط قبل توزيره أن لايمنع من الاستمرار في أشغاله الخاصة، اذ كان تاجراً ميسوراً جداً وكان يقرض الحكومة العراقية عندما يشح لديها المال، واخبرني انه جاء من النجف وليس له اي شغل وانما غايته التعرف علّي فقط، لسماعه حسن معاملتي للناس وحرصي على تمشية معاملاتهم.

---

(١) هو الحاج عبدالمحسن شلاش، اختير وزيراً للمالية في وزارة جعفر العسكري الأولى التي تألفت في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٣، وإستقالت في ٢ آب ١٩٢٤.

وقال لي: «لقد ارتحت لك كثيراً ،احببتك لمعاملتك الحسنة للناس، واحترامك لي من دون ان تعرف من أنا، وهذا يدل على حسن تربيتك»، ولهذه المناسبة حدثني عن موقف مّر به عندما كان وزيرا للمالية، حيث كان قد ذهب الى البصرة لقضاء بعض أشغاله الخاصة، وعند عودته بالقطار الى بغداد، شاركه في المقصورة شخص جلس في المقعد المقابل، وكان هو يرتدي العباءة ويعتمر العمامة وما أن تحرك القطار وبعد المجاملات المعتادة، حتى اخرج رفيقه في السفر زجاجة خمر وبعض المقبلات والفواكه، وقدم لي الفواكه وهو يتجاذب معي اطراف الحديث، فاعتذرت، ثم دعاني للشرب معه، فرفضت، واخذ يلح علي بمشاركته وانا أعتذر بأدب، رويدا رويداً لعبت الخمرة برأسه فبدأ يمازحني بسماجة ويتندر علّي وعلى عمامتي وعباءتي ولحيتي ويغني ويقول:

عمامتك سودة چلبي
ياختك مدهنة چلبي
لحيتك عفنة چلبي
هدومك وسخه چلبي

كل هذا وانا اتحمل صابراً، ثم صعدت الى سريري واخذت بالنوم وهو لايزال مستمراً في عبثه، حتى اذا جاء الصباح فنزلت من القطار في بغداد وكان بعضهم قد جاء لإستقبالي وتناولوا مني حقيبتي، فنزل هو أيضاً وكان تأثير الخمرة لايزال بادياً عليه، وأراد ان يعتذر مني وقال: «شيخنا، لقد كانت ليلة سعيدة، اخاف أن اكون قد ازعجتك، اذا احتجت الى أي شيء في بغداد، أرجو ان لا تتوانى عن مراجعتي، اعرفك بنفسي داعيك ممدوح المفتش المالي في وزارة المالية»، فأجبته: «لابأس أخي، داعيك وزير المالية محسن شلاش».

فوجىء أيمّا مفاجأة فأمسك جبتي بإحدى يديه، وباليد الاخرى اخذ يلطم، ويردد

وكعتي سودة چلبي
يتمت ولدي چلبي
هدمت بيتي چلبي
فدوة لعمامتك چلبي
فدوة للحيتك چلبي

واستطعت بمساعدة الحضور من تخليص نفسي منه، وعند ذهابي للوزارة بعثت في طلبه بعد عدة ايام، وقلت له: «ابني اذا لم تكن تعرفني فأي موجب دفعك لتصرفاتك تلك معي، ومع ذلك لابأس، فنصحته وسامحته».

امير ربيعة

تجمعني علاقة صداقة مع أمير عشائر ربيعة محمد الأمير، وخاصةشقيقه علي الأمير، وكنا نتزاور، وقد نزلت ضيفاً أنا وزوجتي عندهم في الكوت في الأيام الأولى من زواجي العام ١٩٣٨ عندما كان خالي ماجد متصرفاً للكوت.

وكان عبدالاله قد تزوج من هيام ابنة محمد الأمير، وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عندما كنت وزيراً في حكومة عبدالكريم قاسم زارتني والدة هيام (زوجة محمد الأمير) برفقة زوجة خالي ماجد مصطفى، وطلبت مني مساعدتها في استحصال مؤخر زواج ابنتها البالغ ١٢٠٠٠ دينار من الحكومة بسبب مقتل زوجها ولي العهد السابق عبدالاله، حيث أصبحت العائلة تعاني من العوز بعد صدور قوانين الاصلاح الزراعي.

وكانت السيدة هيام قد وكلت محامياً من آل العبطة- لا أتذكر اسمه- للترافع عنها أمام المحاكم، وقد زرنا، أنا والمحامي، وزير العدل السيد مصطفى علي وتحدثنا معه حول الموضوع، وقد اعتقد مصطفى علي بأني مكلف من قبل عبدالكريم قاسم بهذا الموضوع لأن علاقتي بعبدالكريم قاسم آنذاك كانت حميمة، والحقيقة أن عبدالكريم لم يكن يعلم بذلك.

وبعد ان اخذت الاجراءات القانونية مجراها، استطعنا ان نحصل على قرار حكم لصالح السيدة هيام من المحاكم خلال فترة قصيرة، وارسلت المعاملة الى دائرة الإجراء للتنفيذ.

واذكر اني بعد بضعة أيام دخلت الى غرفة الملحقة بمكتب عبدالكريم قاسم في وزارة الدفاع، وكان المهداوي وطه الشيخ احمد حاضرين، فوجدت عبدالكريم قاسم يتكلم بعصبية بالغة وبإنفعال عن هذا القرار القاضي بصرف ١٢٠٠٠ دينار لزوجة عبدالاله، ولذت بالصمت، وبعد دقائق حضر مصطفى علي، وزير العدل، الذي كان قد استدعاه عبدالكريم قاسم، ما أن دخل حتى بادره بالعتاب والتأنيب وامسك بكتفيه يهزهما على هذا الاجراء الذي اعتبره عبدالكريم قاسم مساً بهيبة الحكومة وربما سيتبع هذا الحكم او القرار أحكام وقرارات أخرى.

التفت وزير العدل نحوي يستنجدني لأن اتحدث، وهو يقول: «حسب علمي ان كاكه فؤاد لاينطق بالهوى». فقال عبدالكريم قاسم: «مامعنى لاينطق بالهوى». فأجبت: «نعم اني تابعت الموضوع بأمرك سيادة الزعيم، ألا تتذكر أنك قلت قبل مدة أن هذه المرأة عراقية، وهي على حق في طلبها، وان القانون معها، وعلينا ان ننصفها؟.

قال بعصبية «انا قلت هذا»، قلت: «نعم، ولكن يبدو أنك لاتتذكر، فليس من المعقول ان أتابع موضوعاً كهذا من دون علمك»، وبدأ العجب على وجهه ودخل غرفته الخاصة واقفل الباب، فقلت لوزير العدل: «تفضل أنت اذهب»، فقال وهو يودعني: «الله يطول عمرك أبو فرهاد» وكذلك قلت للمهداوي وطه الشيخ احمد: «اذهبا انتما ايضاً واتركاني معه لوحدنا».

وبقيت وحدي في الغرفة، وبعد دقائق خرج عبدالكريم قاسم بعد ان هدأ، فتوجه الى بالسؤال: «هل انت متأكد اني قد كلفتك بقضية هيام إبنة امير ربيعة؟» فقلت يبدو انك متعب، ثم لماذا أنت منفعل الى هذه الدرجة، ألم تسمع او تقرأ قصة الأمبراطور فردريك والطاحونه. فقال: «لا، ولكن مادخل فرديك والطاحونة بالموضوع». فقلت اسمع إذن.

كان فرديك الكبير امبراطور ألمانيا يتردد بين الحين والآخر على منطقة جميلة جداً في الريف للراحة والاستجمام والتماساً للهدوء، ولكن كانت هناك طاحونة يملكها شخص، وكلما اشتغلت الطاحونة ملأت المنطقة بالضجيج وأزعجت الامبراطور، فذهب رجال الامبراطور الى صاحب الطاحونة وقالوا له: «اختر بين أمرين، إما أن تنقل طاحونتك من هنا وأما ان تبيعها لنا، لأنها تزعج الامبراطور بصوتها». فقال لا اوافق على بيعها ولا أنقلها من هنا لأنها مصدر زرقي واشغلها متى ما اريد، وقدم شكوى للمحكمة فحكمت المحكمة لصالح صاحب الطاحونة.

وعندما تسلم صاحب الطاحونة قرار الحكم، ذهب وقابل الامبراطور وقال له: «أهدي لكم يا امبراطور بروسيا طاحونتي مع قرار الحكم رمزاً للعدالة في بلادنا اذ يكفيني فخراً ان أكون مواطناً في بلد يستطيع فيه مواطن بسيط مقاضاة أكبر امبراطور في العام ويكسب الحكم». وبالنتيجة قبل عبدالكريم قاسم بوجهة نظري.

ارسل عبدالكريم قاسم يستدعي محمد الأمير ويسأله عن هذا الطلب فقال له بحضوري: «ياسيادة الزعيم (اني جوعان!!!) وهذا هو سبب طلبنا من الحكومة مؤخر هيام. فقال عبدالكريم قاسم: لديك منشآت في اراضيك المصادرة تقدر بـ ٤٥٠٠٠ دينار، وقد وضعت

الدولة يدها عليها، ونحن مستعدون ان ندفعها لك اذا اجلت موضوع المؤخر الخاص بإبنتك، فأجاب محمد الأمير انه لايريد المؤخر اذا كانت الدولة ستعيد له مبالغ منشآته. فقال عبدالكريم قاسم: «كلا، سنعيد المؤخر ايضاً، ولكن بعد مدة وليس الآن، اما الآن فيمكن منحك تعويضاً عن قيمة منشآتك بموجب قانون الاصلاح الزراعي».

مذكرة الى رئيس الجمهورية عبدالسلام عارف

توطدت علاقتي بعد العام ١٩٦٣ مع رشيد عالي الگيلاني والشيخ محمد رضا الشبيبي وأخذنا نتبادل الزيارات، وبلغت علاقاتنا من النضج حد القيام بعمل سياسي مشترك، والحقيقة كنت موضع ثقة الرجلين. زارني المرحوم كامل الجادرجي مع ابنه نصير، كان الجادرجي كما يبدو على علم بعلاقتي مع الشيخ محمد رضا الشبيبي وتوقع أن تكون هناك آصرة سياسية تجمعنا، فسألني عن ذلك، فأجبته: «بنعم»، فأردف ضاحكاً: «أنت كردي وهو شيعي، وسوف تنبعث رائحة الطائفية من نشاطكما». فسألته: «ماذا يدور في خلدك»، فقال: «لو دخل الوطني الديمقراطي معكم فسيكون لهذا النشاط السياسي صفة وطنية عامة». وقال: «أبو فرهاد، اني لم أر الشيخ رضا الشبيبي منذ مدة طويلة جداً، وهو رجل فاضل ومخلص ووطني وأود ملاقاته وأحب التعاون معه في الأمور العامة، ولكن ليس من المعقول أن أذهب الى داره مباشرة من دون مقدمات، أو ادعوه الى داري، وبما انك صديق الطرفين، تستطيع ان تدعونا الى دارك لشرب الشاي لنتلاقى ونبحث الموضوع»، فذهبت الى الشيخ رضا الشبيبي وفاتحته، فأمتدح كامل الجادرجي ورحب بالفكرة، فدعوتهما عصر أحد الايام لشرب الشاي وفي داري التقيته، وفي ذلك اللقاء ناقشنا أوضاع العراق ومشكلاته، واتفقنا على كتابة مذكرة الى عبدالسلام عارف نطرح من خلالها مشاكل العراق ومقترحاتنا لحلها. وبعد ان اتفقنا على النقاط الرئيسة جرى الاتفاق على أن يقوم السيد كامل الجادرجي بصياغة المذكرة، وقال الشيخ محمد رضا عندما نجتمع عندك سنوقعها مع السيد رشيد عالي الگيلاني. فقال السيد كامل الجادرجي: «اذا كان الگيلاني معنا فلن أوقعها». فقال الشيخ محمد رضا ان كاك فؤاد يعرف بأمر علاقتنا مع السيد رشيد عالي الكيلاني، واننا لايمكن ان نعمل اي شيء من دونه، وان اجتماعنا معكم من دون علمه كان بناءاً على إعتقاد منا بعدم وجود إعتراض من قبلكم. والحقيقة أني لم اكن اعلم في البداية بوجود خلاف بين رشيد عالي والجادرجي، ورفض الجادرجي اعداد المذكرة اذا كان رشيد عالي الكيلاني سيوقع عليها.

وبعد المناقشة اقترح الجادرجي ان لا مانع لديه من توقيع رشيد عالي الكيلاني على المذكرة شريطة توسيع عدد الموقعين. وفعلا اعد الجادرجي المذكرة، وكانت مذكرة وافية ورصينة، وذهبت مع الجادرجي الى دار الشيخ الشبيبي وابقينا المذكرة لديه كي يطلع عليها، ولم نناقشها هناك حيث كان في زيارته عدد من الاشخاص الموالين للحكومة، وبعد ايام اعادها وقد اجرى عليها تغييرات كثيرة بحيث اصبحت تختلف عن اصلها كثيراً مما حدا الجادرجي ان يرفض التوقيع وقال:

شيخنا انت كبيرنا وتستطيع ان توقعها باسمنا جميعاً. واذكر انني بدوري لم أوقع عليها.

ولا ادري ما اذا قدمت المذكرة من قبل المرحوم الشيخ الشبيبي ام لا حيث كان قد تم إبعادي الى عين تمر بعد ذلك مباشرة.

هدّية الملك غازي

وزع البلاط قطعاً من اراضي منطقة الوزيرية على بعض الاشخاص والمرافقين، ولكني رفضت إستلام قطعة الارض، كما وزّع البلاط سيارات شخصية، فقد أهدي العقيد رشيد علي المرافق الأقدم سيارة دوج، والرئيس اول (رائد) ظاهر الزبيدي سيارة دوج ايضاً، واهدى ليّ سيارة شوفرليت ورفضت الاستلام ايضاً، والسبب في الحقيقة ان نصيحة بكر صدقي كانت ماثلة في ذهني قبل أن أباشر في عملي مرافقاً للملك غازي، فقد قال لي أن لا اعمل بدافع من الطمع المادي بل علي الحفاظ على المعنى الكبير لهذه الوظيفة.

وعندما تزوجت سألني الملك غازي عما أريد هدية لي بعد ان أشار الى رفضي لإستلام قطعة الارض والسيارة، فقلت له اهدني صورتك الشخصية فهي تكفي، وفعلاً أهداني صورته الشخصية التي كتب ووقع عليها، وأهداني ساعته الشخصية أيضاً، فقلت له أعدك بأني سأقدم هذه الصورة والساعة هدية لإبني يوم زواجه، وقد حققت ذلك فعلاً عندما تزوج ابني فرهاد.

والى الآن لا زال أتذكر نصيحة بكر صدقي بتفاصيلها، فقد كانت نصيحته قيّمة استفدت منها كثيراً في حياتي العملية.

سجن السليمانية

في العام ١٩٣٩ نقلت الى السليمانية مساعداً لآمرية الفوج، وكان الوضع في السليمانية متوتراً والمتصرف عبدالمجيد اليعقوبي تنظر اليه العشائر وأهالي المدينة بعدم الارتياح، والسبب ان شخصين معروفين هما محمد رشيد خان رئيس عشيرة في بانه، وسيد عطا وهو شخصية معروفة في السليمانية، كانا قدما خدمات جليلة للدولة العراقية وحاربا ايران وقدما خسائر كبيرة، ولكن ما ان اتفقت الحكومة العراقية مع ايران حتى أدارت ظهرها لهذين الشخصين، وتنكرت لهما، ثم القت ألقبض عليهما وجردت رجالهما من السلاح مما اوجد استياءاً لدى عامة الناس.

جاءني الشيخ لطيف نجل الشيخ محمود، بعد إتفاق جرى بين الوجهاء ورؤساء العشائر، ليفاتحني بضرورة انقاذ هذين الشخصين، ووافقت وتباحثنا في ذلك، وقد صادف في تلك الأيام ان أقمنا في النادي العسكري حفلة شاي بمناسبة تتويج الملك، و اثناء الحفلة اقترحت على المتصرف أن نرسل بعض المعجنات (الكيك) الى السجناء ليشاركوا بدورهم في هذا الاحتفال، فوافق، وعندها وضعت مسدسين و ٢٠٠ إطلاقة تحت الكيك وقمت بتغطيتها، وذهبت بنفسي الى داخل السجن وهمست في اذن محمد رشيد خان بما هو موجود من سلاح، فقال بصوت عال: «أنا سأقوم بتوزيع الهدية بنفسي» وخرجت.

وفي الليل استطاع محمد رشيد خان وزميله سيد عطا السيطرة على الحراس والمشجب والفرار من السجن وبقيا هاربين الى أن تم تعيين متصرف جديد للسليمانية وهو حاجي رمضان، وحينذاك سلّما نفسيهما بمحض إرادتهما، فاستحصل المتصرف الجديد عفواً خاصاً عنهما فعادا الى منطقتهما.

الخلاف بين البارزاني وجماعة ابراهيم أحمد

لم يكن البارزاني مؤمناً تماماً بالحزب او الحياة الحزبية، بل كان يرى في نفسه زعيماً للشعب الكردي ويجد من الشعب أوسع من ان يتحدد بمساحة الحزب، وأن يأتمر بأوامره ونظامه الداخلي رغم كونه رئيساً للحزب.

ومن هنا بدأ الخلاف مع جماعة ابراهيم احمد وجلال الطالباني وسرعان ما بات مكشوفاً وواضحاً ومتأزماً وبلغ ذروته في العام ١٩٦٤، فأرسل لي البارزاني رسالة يطلب مني فيها الحضور الى كردستان للتدخل في موضوع الخلاف بينه وبين تلك

الجماعة، وذكر في رسالته انه ما من شخص آخر يثق فيه في هذا الموضوع سواي، وان حضوري واجب.

كذلك استلمت رسالة من ابراهيم احمد، سكرتير الحزب الديمقراطي الكردستاني آنذاك يطلب فيها وجوب حضوري الى كردستان والتدخل في موضوع الشقاق الذي حصل، ويذكر في رسالته ان عدم حضوري يعد خيانة مني.

وفي ذلك الوقت كنت تحت المراقبة في بغداد، حتى اذكر ان دراجة بخارية كانت تتبعني وتترصد خطاي اينما ذهبت.

شعرت بحيرة كبيرة، فكيف اذهب وانا تحت المراقبة، وكنت راغباً فعلاً في الذهاب تلبية لهذا الطلب، ولكن الموقف كان حرجاً جداً.

اتصلت بالمرحوم رشيد عارف وطلبت منه ان يدعو بعض الشخصيات الكردية في بغداد في داره، وتم ذلك، وكان جو الجلسة يوحي بإجتماع أصدقاء في جلسة سمر، حيث ان الحضور لم يكونوا يعرفون أسباب الإجتماع.

وعند وصول الجميع أوصدت الباب وبادرت بالحديث وبيّنت سبب الإجتماع وحذّرتهم من الوشاية بأخبار الاجتماع، وكنت منفعلاً تماماً الى حد شتم كل من يقدم على الوشاية بإستعمال كلمات بذيئة، وعلى غير عادتي، فانا- كما يعرفني اصدقائي- عفيف اللسان.

ثم اخرجت الرسالتين، رسالة البارزاني ورسالة ابراهيم احمد ليطلع عليهما الحضور ومناقشة مايمكن القيام به لأني مراقب وليس سهلاً ان أسافر الى كردستان، واقترحت ان تقوم جماعة من الحاضرين بالسفر من دوني لغرض الوساطة، فلم اجد اندفاعاً من الحاضرين للذهاب، وحيث لم اجد مناصاً، فأبديت استعدادي للسفر من دون إكترث لما يحصل لي، حينذاك أبدى الكل الاستعداد للمجيء معي، فانتخبنا عدداً من الاشخاص للذهاب وهم كل من د. عبدالرحمن عبدالله والسيد علي كمال واللواء مجيد علي والعقيد رؤوف احمد ورشيد عارف وآخرين.

في صباح اليوم التالي اتصل بي طاهر يحيى هاتفياً، وكان آنذاك رئيساً للوزراء، وابدى رغبته في لقائي، فذهبت اليه وهناك اخبرني برغبة رئيس الجمهورية عبدالسلام محمد عارف ان التقيه، واتصلت به هاتفياً، فأجاب أنه بانتظارنا، وعندما التقيته وجدته مجاملاً، وسألني لماذا كنت منفعلاً الى ذلك الحد في مساء امس، اننا إخوانك ولا مانع لدينا من ان تسافر الى الشمال في أي وقت تشاء، فاستفسرت منه كيف عرف موضوع

اجتماعي؟ قال: «لقد قام كل من فلان وفلان بتسليم شريط مسجل عن وقائع الاجتماع الى دائرة الامن العامة والآخر الى دائرة الاستخبارات العسكرية في نفس الليلة بعد ان انفض اجتماعكم، وقبل ان يذهبا الى بيتهما».

وقد استمعت الى الشريط المسجل، وتأكدت ان اثنين من الحاضرين قاما بالتسجيل وهما ليسا ضمن الاسماء المذكورة اعلاه، علي اي حال، سامحهما الله في دار البقاء، فلم يصبرا حتى الصباح ليسلما تقاريرهما المسجلة.

وفعلا سافرنا الى كردستان واستقبلنا مصطفى البارزاني في دوكان وذهبنا الى رانية، وحضر جلال الطالباني عن الحزب ووصلنا الى نتائج طيبة وكان الدكتور عبدالرحمن عبدالله قد سبقنا لإعلام البارزاني وابراهيم احمد بأننا في طريقنا اليهم.

سيد نوري النقيب "گلە زەردەیی" البرزنجي

بعد اسر الشيخ محمود في معركة دربند بازيان العام ١٩١٩ فّر بعض قادة الثورة الكردية الى الجبال للإستمرار بالثورة لحين عودة الشيخ، وقبض على البعض الآخر من قبل السلطات البريطانية، وحجزت أموالهم وبيعت بالمزاد العلني في ساحة سراي بالسليمانية. وذات يوم مّر سيد نوري النقيب(١)، فسأل: «لمن تعود تلك الأموال؟ فأخبروه بأنها تعود لعائلة السيد ماجد مصطفى، فتأثر النقيب وذهب الى الحاكم العسكري البريطاني الميجر (سون) وأخبره بأنه يطلب السيد ماجد مبلغاً من المال فرجاه بأن تعطى له تلك الأموال لقاء دينه، فوافق الحاكم البريطاني وسلّمت الأموال له حيث احتفظ بها لحين عودة الشيخ محمود من الأسر وعودة السيد ماجد الى السليمانية، حيث تم اعادتها اليهم.

هذا انموذج من الشهامة الوطنية والخلق الرفيع لرجال ذلك العهد رحمهم اللّه جميعاً.

(١) سيد نوري النقيب هو ابن سيد احمد بن سيد محمود بن سيد معروف بن العلامة الجليل المفسر المحدث العروضي الفلكي الكبير الشيخ حسن گلەزەردەیی المشهور بالسعداني البرزنجي. ولد عام ١٨٦٤ من أسرة دينية اشتهرت بالمواقف الوطنية، وتوفي السنة ١٩٥٠ ودفن في جامع كاكه احمد الشيخ في السليمانية. وابنه الشيخ رؤوف توفي السنة ١٩٩٤، الشيخ وأحفاده كل من الشيخ احمد والشيخ طاهر والشيخ صلاح والدكتور طارق يعيشون في السليمانية حالياً.

الجزء الثاني

كلمة تمهيدية

منذ أن صدر الجزء الأول من هذه المذكرات يتردد إصدار الأقربين والأبعدين مني نسباً وعلاقة من أجل أن أبدأ بتدوين الجزء الثاني منه وبروحية جزئها الأول الذي قلت في كلمته التمهيدية ما نصه:

«توخّيت الدقة والأمانة في رواية كل ما سجلت، وبقدر ما أسعفتني ذاكرتي، حاولت في الوقت نفسه التركيز، وتجنب ذكر الآخرين كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً، فان هدفي الأسمى أن أسجل لشبابنا حقيقة كنت أزداد إيمانا بها في أحرج لحظات عمري، وهي أن لا أفضل في الحياة أن يكون المرء مخلصا لوطنه وقومه، صادقا مع نفسه وغيره و وفياً للأقربين والأبعدين، أن يؤمن بأن الرجل موقف ومبدأ، فيكون جريئا متواضعاً أبيا، قويا أمام مغريات الدنيا، باطنه لا يختلف عن ظاهره، ولئن كان هكذا فان المولى تعالى يكون دوما في عونه، هذا الذي لمسته لمس اليد مراراً وتكراراً على مدى عقود طوال من حياتي قضيتها في خضم أحداث مصيرية ساخنة(١) لم أهرب من أي منها يوماً ما».

أستغل فرصة صدور الجزء الثاني من مذكراتي لأقدم جزيل شكري خاصة إلى فلذات أكبادي الأعزة شيرزاد وإسماعيل وأولادهما و إبنتي الغالية كويستان زوجة إسماعيل، فقد أحاطوني ليل نهار، وفي أصعب الظروف برعاية فريدة في بابها، كثر المولى من أمثالهم من أجل الوطن العزيز.

فؤاد عارف

السليمانية، الخامس من تشرين الأول سنة ٢٠٠٨

(١) أجريت عدداً قليلاً من التغييرات الطفيفة التي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة-كمال مظهر.

المقدمة

تؤلف المذكرات الشخصية، دون ريب، أحد أهم المصادر التاريخية الأصيلة، يرتبط تأريخها بظهور أولى الحضارات البشرية فقد أراد أقدم الملوك والحكام تخليد أنفسهم وعهودِهم وأعمالهم كافة عن طريق تسجيل مآثرهم بالحروف المسمارية والهيروغليفية القديمة وبغيرهما، مع نقوش فريدة في بابها عن المآثر تلك يستهدفون منها تخليد ذكراهم وتسجيل أعمالهم. من هنا تحديدا ظهر في اللاتينية القديمة مصطلح المذكرات(١).

وبحكم موقعهما المتميّز ظهر الكرد وكردستان في المذكرات الخاصة والعامة منذ أقدم الأزمنة، وهنالك شواهد غير قليلة تبّين لنا ذلك بوضوح، منها، على سبيل المثال لا الحصر، لوحة دارا (داريوس) في جبل بيستون قرب مدينة كرمانشاه في كردستان الشرقية، وكما فعل ذلك الفيلسوف والقائد العسكري اليوناني الفذ زينفون (كسينفون) في كتابه الشهير «أناباسيس» في العام ٤٠١ قبل الميلاد، إذ سجل فيه كلّ ما لاحظه في طريق عودة العشرة آلاف يوناني إلى بلادهم من الشرق، بما في ذلك وصف الكرد وشجاعتهم الخارقة ومقاومتهم الباسلة لقواته المنسحبة من إيران.

ومثل معظم ظواهر الحياة الأخرى بلغت المذكرات الشخصية والعامة الذروة في عهد الرأسمالية، وهنا أيضا للكرد وبلادهم موقعهما المتمين، خصوصا في كتب الرحالة الأجانب، لكن الكرد أنفسهم تخلّفوا عن الركب في هذا المضمار لأسباب معروفة، فأن زعيما معروفا مثل الشيخ محمود لم يجد فسحة من الوقت ليلتفت إلى كتابة مذكراته أو يومياته ولو بإختصار شديد، الأمر الذي عوض عنه عدد من أقرب أعوانه من أمثال رفيق حلمي وأحمد خواجا وأحمد تقي، فضلا عن مذكرات إبنه البكر الشيخ رؤوف باللغة العربية(٢). وفي المرحلة الأخيرة من عمره فكّر البارزاني في تدوين مذكراته، ففي أواخر عام ١٩٧٤ فاتحني بذلك المرحومان دارا توفيق وسامي عبدالرحمن لأقوم شخصيا بتدوين أهم مذكراته في أوقات فراغه، إلاّ أن إنتكاسة الثورة الكُردية في مطلع العام

---

(١) باللاتينيه Memoria، وصيغ المصطلح نفسه في اللغات الأوروبية جميعا على أساس جذرِه اللاتيني، فإنه في اللغة الفرنسية مثلا أصبح Memoires.

(٢) أحتفظ بنسخة من المذكرات تلك زودني بها في لندن نجله محمود الشيخ رؤوف الذي يعيش حاليا في الولايات المتحدة الأمريكية.

١٩٧٥ حالت دون إنجاز ذلك العمل الجليل الذي كان من شأنه أن يملأ فراغا ملموسا في مضمار تدوين مذكرات قادة الحركات القومية الكردية.

وفي مضمار مذكرات الشخصيات الكردية المعروفة يبرز إسم اللواء المتقاعد والوزير ونائب رئيس الوزراء السابق وصديق ومرافق الملك غازي فؤاد عارف بصورة خاصة، ذلك لأن الرجل قد عاصر أهم أحداث الحركة القومية الكردية في مختلف مراحل تاريخ العراق المعاصر، وإشترك فيها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، الأمر الذي أدى إلى أن يجد الجزء الأول من مذكراته صدى واسعاً لدى القراء(١)، بحيث أعيد طبعهُ غير مرة(٢)، وقد حال مرض صاحب هذه المقدمة دون إنجاز الجزء الثاني من المذكرات المذكورة.

هناك شواهد أخرى غير قليلة تؤشر فعلا أهمية مذكرات فؤاد عارف، منها جرأة صاحبها وصراحته وعلاقاته الواسعة وقوة ذاكرته، فأنني سمعت مرارا صور معبرة من تلك المذكرات في مناسبات شتى على مدى سنوات طوال، ولاسيما في مجلسه العامر، إذ لم ألاحظ شخصيا أي إختلاف كان في رواياته المثيرة والشيقة، وفي أي زمان ومكان، لذا تحولت معلوماته المختلفة إلى مصدر مهم بالنسبة للباحثين على أكثر من صعيد. وللإستشهاد هنا يكفي أن أشير إلى حقيقة جديدة تتعلق برسالة ماجستير أعدّها طالب الدراسات العليا بقسم التأريخ في كلية التربية– جامعة المستنصرية السيد محمد سلمان منور التميمي التي أنجزها بإشراف الأستاذ الدكتور لطفي جعفر فرج، وهي تحمل عنوان «فؤاد عارف ودوره العسكري والسياسي في العراق حتى عام ١٩٧٥» تقع الرسالة في ست وتسعين ومائة صفحة، وقد تمت مناقشتها من قبل لجنة علمية(٣) في الرابع عشرة من أيلول عام ٢٠٠٨ وبتقدير إمتياز.

---

(١) صدر الجزء الأول من «مذكرات فؤاد عارف» سنة.١٩٩٩

(٢) نفدت أعداد الطبعتين الأولى والثانية من «مذكرات فؤاد عارف» بسرعة غير متوقعة، مما دفع داراً أهلية إلى طبع المذكرات للمرة الثالثة ببغداد في العام ٢٠٠٥ مع إدّعاء قول بعيد عن الواقع مفادُه أنها «طبعة جديدة منقحة»، فآثر صاحب المذكرات عدم إثارة الموضوع ما دامت الطبعة الثالثة للمذكرات تساعد المثقفين العرب للإطلاع على محتوياتها بصورة أوسع، كما أن الأمر يدل بدوره على أهمية المذكرات نفسهاو وإقبال الناس على قراءتها.

(٣) تألفت لجنة مناقشة الرسالة من الأستاذ الدكتور عادل تقي البلداوي رئيسا والأستاذ المساعد الدكتور عبد الأمير محسن جبار والأستاذ المساعد الدكتور جبار الجابري فضلاً عن الأستاذ المشرف.

لا يراود الشك صاحب هذه الأسطر أنّ الجزء الثاني من مذكرات شيخنا الجليل فؤاد عارف سيجد صدى واسعا وترحيبا حارا من لدن القراء، وهو سوف يملأ فراغا علميا محسوسا في المكتبة التأريخية العراقية.

وفي الأخير يود صاحب المذكرات أن يقدم الشكر الجزيل لكل من اللواء خالد عبدالجبار الخياط (أبو وليد) والسيد عبدالكريم جاسم العبيدي (أبو زينب) اللذين قدّما له مساعدات شتى في مُختلف المجالات منذ عودته من كردستان إلى بغداد في العام ١٩٧٥م.

كمال مظهر

بغداد ٢٣ أيلول ٢٠٠٨

المستدرك

وردت أخطاء مطبعية قليلة في ثنايا الجزء الأول من المذكرات، مما لا يصعب إدراكه على القارئ اللبيب، أما أهم شيء ينبغي تصحيحه في الجزء المذكور هو إسم السفير البريطاني في العراق في عهد الملك غازي، فأنه كان السير موريس پيترسون، فيما ورد سهوا ارشيبالد موريس، مما إقتضى التنويه. وعلى الغرار نفسه ورد في الفصل الخامس من الجزء الأول من هذه المذكرات، وفي الصفحة تسع وسبعين ومائه، وفي مبحث «متصرفا للكربلاء» تحديدا إسم آية اللّه السيد عبد الحسين كاشف الغطاء والصحيح هو آية الله السيد علي كاشف الغطاء، مما إقتضى التنوية أيضا.

الفصل الأول

مراجعة سريعة لموضوعات

الجزء الأول من المذكرات

لأسباب منطقية تتعلق بالذاكرة أولا، وبطبيعته الحكم القائم في العراق حين صدور الجزء الأول من مذكراتي ثانياً، أرى من الضروري أن أرجع الى بعض القضايا المثارة في ذلك الجزء لإستكمال أبعاد صورتها قدر الإمكان.

فقبل كل شيء لم أغير رأيي قيد أنمله برجال العهد الملكي إيجابا في الغالب، وسلبا أحيانا، إذ من لا يعمل لا يخطئ، وتنطبق الحالتان على باني الدولة العراقية الحديثة المرحوم الملك فيصل الأول، مرورا بالملك غازي وأقرب مساعديهما وأبرز رجال عهديهما من أمثال نوري السعيد وجعفر العسكري ومحمد رضا الشبيبي وبكر صدقي وصالح جبر ورشيد عالي الگيلاني وغيرهم، حقا أن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب كان مبدأ ثابتاً في ذلك العهد الذي ساده أيضا المبدأ العقلاني للملك فيصل الأول «خذ وطالب» فقرّت عيناه بإستقلال العراق قبل وفاته المفاجئ بحوالي السنة، وقبل معظم أقطار المنطقة الأخرى، كما أن الملك غازي سعى حثيثا من أجل إدخال بقية الاقطار العربية الى عصبة الأمم، ولاسيما مصر التي دخلت بدورها عصبة الأمم في العام ١٩٣٥، وفي الوقت نفسه بذل الملك غازي جهوداً حثيثة من أجل منح سوريا ولبنان الإستقلال السياسي.

ينبغي إدخال توجهات الملك غازي تلك ضمن أهم العوامل التي أودت بحياته في ظروف غامضة تناقضت الآراء بصددها، وبوسعي أن أدلى بدلوي بالنسبة لهذا الموضوع التأريخي الحيوي، والذي تدخل العلاقات الودية الى أبعد الحدود بين غازي والأمير طلال ضمن أهم عوامله المحركة.

العلاقة بين الملك غازي والأمير طلال

تحدثت في الجزء الأول من مذكراتي، وبشيء من التفصيل الى علاقاتي بالملك غازي، فبحكم سنوات الدراسة العسكرية قبل إنتقال العرش اليه، ومن ثم إختياري مرافقا له بعد ذلك، ولثقته المطلقة، وكذلك ثقة زوجته الملكة عالية بي إطّلعت على خفايا كثيرة لم يكن بوسع غيري أن يطلع عليها إلاّ ما ندر وفي هذا المضمار أشير الى حقيقة مفادها، بما أن غازي كان رجلا صادقا في وطنيته وحبه للعراق والعراقيين، كما في حقده الدفين على المسؤولين البريطانيين، جرت محاولات مختلفة لتشويه سمعته، مما دفعني إلى أن أكرّس جانبا كبيرا من الجزء الأول من مذكراتي المنشورة، وكذلك العديد من اللقاءات الصحفية والتلفزيونية التي أجريت معي على مدى سنوات طوال للدفاع عنه عن طريق عرض مجموعة كبيرة من الحقائق المتعلقة بالموضوع بكل أمانة وإخلاص.

لا أنكر أن الإنجليز كانوا يرغبون في أن يسير الملك غازي على نهج والده المرحوم الملك فيصل الأول، خصوصا وإنهم لم يكن بوسعهم أن يتخلوا عن مواقعهم ونفوذهم في العراق كما في شرق الأردن في ظروف تفاقم العلاقات الدولية بسبب أطماع هتلر وخططه التي إحتلت منطقة الشرقين الأدنى والأوسط موقعا متميزاً فيها، والتي كانت تدفع العالم نحو حرب عالمية ثانية بخطى سريعة. وفي السياق نفسه إنهم وضعوا نهاية سريعة للأمير طلال ولي العهد الأردني الذي تبنى موقفا مشابها لموقف الملك غازي من الانجليز إلى حد كبير، فقد أبعده والده الملك عبدالله عن ولاية العهد بحجة ما أشيع عن إصابته بلوثة عقلية، وكان الجميع مقتنعين بأن الأمر ليس سوى فرية مختلقة.

في إعتقادي لم يكن الأمر بمثل هذه البساطة بالنسبة للملك غازي، فان التعامل معه مَّر بمرحلتين أساسيتين، تزامنت الأولى مع السنوات التي كان ارشيبالد موريس فيها سفيرا لبريطانيا لدى العراق، فيما تزامنت الثانية مع السنوات التي كان السير موريس بيترسون فيها سفيرا لبريطانيا لدى العراق.

كان ارشيبالد موريس على أفضل علاقة بالملك غازي منذ سنوات دراسته في لندن، فقد فهم صفات غازي بعمق، كما فهم أيضا بعمق دوافع مواقفه من سياسة بريطانيا تجاه العراق خصوصيا والعرب عموما، فبذل جهودا حثيثة مع غازي من أجل إقناعه بضرورة إعادة النظر بمجمل مواقفه وتصرفاته حرصا منه على مستقبله، فكان ينصحه بأسلوب ودي ويحاول أن يقنعه بضرورة الإهتمام بأمور بيته، أي بلاده قبل أي إعتبار آخر، وأن

يتخلى عن مطالبته بالكويت، وبإعتقادي أن مثل هذا القرب بين غازي وارشيبالد موريس هو الذي دفع الحكومة البريطانية الى نقله الى الصين وتعيين سفير جديد في بغداد هو موريس بيترسون لدراسة الموضوع عن كثب.

لا يُنكر أن السير موريس بيترسون حاول التأثير على الملك غازي بكل السبل، إلاّ أن محاولاته ذهبت أدراج الرياح، خصوصا وان غازي لم يكن يميل اليه أصلا لأنه حل محل ارشيبالد موريس. وفي المرحلة نفسها زاد عم الملك الأمير عبداللّه من زيارته الى بغداد(١) والتي كان يتوخى منها التأثير على إبن أخيه بإتجاه يراه في صالحه، بل انه كان يطلب منه أن يغيّر أسلوب تعامله مع ابنه الأمير طلال، وفي كل مرة كان غازي يزداد حنقا على العم وقربا من نجله.

في حدود إمكانياتي كنت أحاول دوماً إبعاد الملك غازي عن الزلل، فأتذكر جيدا كيف أنه طلب مني مرة أن أطلب له الأمير طلال على الهاتف في عمان، وكان الانفعال الشديد بادياً على قسمات وجهه بوضوح. وفعلا إمتثلت لأوامره وإتصلت في وقت متأخر من الليل بقصر رغدان في عمان، ولكن المسؤول عن بدالة القصر أجابني بالقول:

«إن الأمير طلال غارق في النوم». فطلبت منه بالحاح أن «يوقظه لأن صاحب الجلالة الملك غازي يريد التحدث اليه». إرتبك المسؤول، وقال عفويا:

«إن الأمير طلال غير موجود في القصر».

في الواقع أستغربت كثيرا من جوابه، لذا قلت له بإنفعال شديد: «وإلى اين يمكن أن يذهب الأمير في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل؟»، حينذاك أجابني المسؤول بصراحةو إذ قال بالنص: «أخي :سيدنا الكبير هو الذي منع الأتصال بالأمير طلال»، وكان يقصد بذلك الأمير عبدالله. ويبدو أن الملك غازي بدأ في تلك اللحظة يتابع محاولاتي للحصول على الأمير طلال عن طريق الهاتف، فانفعل دون حدود، وقال بعصبية: «أنا لا أريد أن أتحدث مع عمي، بل أريد التحدث مع أخي طلال».

---

(١) كان الأمير عبداللّه يزور غازي في تلك المرحلة بإستمرار، ويقضي أياما طويلة ببغداد، ففي مطلع نيسان١٩٣٤، مثلاً، قضى الأمير اسبوعا كاملاً فيها، كما وصلها في تشرين الأول عام ١٩٣٥وفي كانون الأول العام التالي أيضا وفي كل مرة كان يحاول الضغط على غازي لتغيير أسس توجهاته السياسية، خصوصا فيما يتعلق بمواقفه المعادية للحكومة البريطانية، والتخلي عن المطالبة بالكويت، وتخفيف لهجة إذاعته الخاصة التي كان يبثها من قصر الزهور.

ويبد أن الأمير عبدالله كان يسمع كل ما قاله غازي، فأراد أن يتحدث بنفسه معه، لأنني سمعت منه كلمة «ألو» من الهاتف عندما أغلق غازي الهاتف بوجهه بعصبية شديدة.

اعتقدت أن الأمر قد إنتهى بذلك، ولكن بالكاد مضت ساعة واحدة على ما حدث عندما قال غازي مع بدايات بزوغ الفجر وطلب مني أن أتصل مباشرة بالمندوب السامي في القدس وأطلب منه بأسمه أن يتدخل في الأمر شخصيا حتى يكون بوسعه الإتصال بالأمير طلال هاتفياً. استغربت كثيرا أن يطلب غازي مثل هذا الطلب غير المعقول، وفي هذه الأثناء، وأنا كنت غارقا في التفكير لإيجاد مخرج للمأزق تذكرتُ نصيحة المرحوم الفريق الركن بكر صدقي لي حين إختياري مرافقا للملك إذ طلب مني:

«أن أتعامل بإنتباه كبير مع كل أفعال وأقوال وأوامر الملك التي تعد إرادة ملكية واجبة التنفيذ، ولكن قد أشعر انه يطلب مني أحيانا، وتحت تأثير إنفعالاته الخاصة، القيام بعمل يعود بالضرر عليه، فعليَّ في مثل هذه الحالة ترضيته قدر المستطاع من جهة، وأن أبذل كل ما في وسعي من جهة أخرى حتى لا يقع في مأزق، على أن لا أستبعد أن يندم لاحقا على فعلته».

في ضوء ذلك طلبتُ من مسؤول بدالة القصر أنه في حال «طلب جلالة الملك الإتصال بالخارج أن تبلغ جلالته بأن الخطوط الخارجية مقطوعة»، كما إتصلت للغرض نفسه بمفتش البرق والبريد العام المستر بيلي، الذي كان غازي على علاقة طيبة معه، وطلبتُ منه الطلب نفسه، أي أن يبلغ غازي بأن الخطوط الخارجية للعراق مقطوعة.

فعلا تحقق ما توقعته، فقد ندم غازي، رحمه الله، في اليوم التالي على فعلته، وعّبر لي عن إمتنانه عندما شرحت له بكل صراحة كيف تصرفت مع طلبه في اليوم السابق. لكن مثل هذه الأمور أقنعت المسؤولين الأنجليز أكثر فأكثر صعوبة إحتواء غازي، وضرورة إبعاده عن العرش بأي اسلوب كان، وكما فعلوا مع الأمير طلال، خصوصا وأن العالم أصبح قاب قوسين أو أدنى من حرب عالمية ثانية بسبب أطماع هتلر والفكر النازي، فضلا عن موسوليني والفاشية الأيطالية.

لم يكن أمر إبعاد غازي عن العرش أمرا سهلا، لذا لجأ المسؤولون البريطانيون إلى شتى الأساليب لتشويه سمعته، وإبعاد الجماهير العراقية عنه، فأنهم غيروا معظم أعوانه العاملين معه في القصر، بما في ذلك العديد من مرافقيه، بل وحتى خدمه الخاص الذين أبعدوهم من القصر. وفي الوقت نفسه بدأوا قبل إغتياله يبثون دعايات شتى تمس سمعته

بصورة مباشرة، حتى انهم ربطوا إسمه بإمرأة ساقطة معروفة إسمها فرحة، وكل ذلك كان من أجل إقناع الجماهير العراقية بأن الإنجليز على حق عندما يريدون القضاء عليه.
وهكذا كان، فقد أنهي الملك غازي في العام ١٩٣٩بحادثة السيارة المعروفة، ومهما يكن من أمر فأن عهد الملك غازي يعد مرحلة مهمة في تاريخ العراق المعاصر، طافحة بالدروس والتجارب المفيدة، وبالنسبة لي شخصيا يبقى المرحوم غازي نبراسا فريدا أبد الدهر، فأنه كان مثالا للتواضع والإخلاص، ولا أبالغ إذا قلت بأنني كنت من أقرب الناس اليه مع العلم انه كان يعرف جيدا مشاعري الكردية.

قصة جميلة لثلاث صور تنشر لأول مرة

سبق وأن تحدثنا في الجزء الأول من هذه المذكرات، وبشيء من التفصيل، عن إفتتاح مطار البصرة الدولي في العام ١٩٣٨، وكيف أرسلني المرحوم غازي بطائرة حربية خاصة كان يقودها المهندس الطيار المعروف جواد حسين إلى البصرة للقيام مع آمر حامية البصرة العقيد الركن علي غالب إسماعيل بحماية الموكب الملكي طيلة مدة بقاء غازي هناك، وفعلا إنه قضى أياماً طويلة في المنطقة. كما حضر حفل الإفتتاح جميع أقطاب الحكم في البلاد من أمثال رئيس الوزراء المرحوم جميل المدفعي الذي كان يشغل في الوقت نفسه حقيبة الدفاع، ورئيس مجلس الأعيان المرحوم الشيخ محمد الصدر ورئيس مجلس النواب المرحوم مولود مخلص والوزراء وكبار المسؤولين، فضلا عن عدد كبير من الدبلوماسيين الأجانب مع عقيلاتهم.

في الصورة الأولى يظهر الملك غازي واضعا يده اليسرى على كتفي بود ما بعده ود، كما يظهر جلالته في الصورتين الأخريين وأنا واقف إلى جانبه مباشرة. ومما يذكر بهذا الصدد أن الصور قد أخذت على اليخت الأمريكي الذي كان يحمل إسم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الشهيرة ودرو ويلسن صاحب البنود الأربعة عشرة الشهيرة، وقد أمر المرحوم الملك غازي شراء اليخت المذكور الذي أطلق عليه إسم الملك فيصل الأول.

صورة يظهر فيما: الملك غازي واضعاً يده على كتف مرافقه فؤاد عارف و يظهر عدد من المرافقين على يخت الملك فيصل في البصرة

الملك غازي و فؤاد عارف على الخيت الملكي

الملك غازي و فؤاد عارف و عدد من الضباط على الخيت الملكي

ملابسات تأليف وزارة شؤون الشمال

نشرت في الفصل ما قبل الأخير من الجزء الأول من مذكراتي نص مذكرة تحمل توقيعي وتوقيع بابا علي الشيخ محمود(١) قدمناها الى رئيس الجمهورية عبدالرحمن محمد عارف بتأريخ التاسع عشر من كانون الثاني سنة ١٩٦٧(٢) وكانت المذكرة تعبر في

(١) المرحوم بابا علي هو النجل الثاني للشيخ محمود، من مواليد السليمانية عام ١٩١٢، خريج كلية ڤيكتوريا الأمريكية في الأسكندرية عام ١٩٣٢، وجامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٣٨، عهدت إليه حقيبة وزارة الاقتصاد في أواخر العهد الملكي غير مرة، ومثل السليمانية في الدورة الأنتخابية الحادية عشرة لمجلس النواب (أذار١٩٤٧–شباط ١٩٤٨)، عين وزيرا للمواصلات والأشغال في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ واستقال في السابع من شباط ١٩٥٩، وفي الثامن ١٩٦٣ عهدت اليه حقيبة وزارة الزراعة التي إحتفظ بها مدة نيف وأربعة أشهر فقط، أي الى حين تجدد القتال بين الكرد والقوات الحكومية في كردستان. ترك العراق ١٧ تموز ١٩٦٨ وأقام في لندن الى حين وفاته، يكن صاحب المذكرات، وكذلك معظم الشخصيات الكردية المعروفة تقديرا عاليا له، وردت إسمه في الوثائق الديبلوماسية البريطانية السرية مرارا (عن ذلك تنظر الصفحات ٣٦٤، ٦١٨و٦٢٢ من كتابنا المعون «الكرد وكردستان في الوثائق السرية البريطانية» باللغة الكردية، الجزء الأول، بيروت، ٢٠٠٨».

(٢) عن ذلك تنظر الصفحات ٢٩١–٢٩٨ من الجزء الأول من «مذكرات فؤاد عارف

الواقع، كما ورد في خاتمتها، عن وجهة نظر عدد كبير «من ذوي الشأن والمثقفين الأكراد في بغداد» الذين ظلوا يجتمعون في داري ويتداولون في موضوعها بصورة مستفيضة إلى أن صاغها في الأخير المرحوم مسعود محمد بلغته العربية الرصينة المعروفة.

تألفت المذكرة من ثلاث عشرة نقطة جوهرية توخت إيجاد حل واقعي عادل للمشكلة الكردية في العراق بإتجاه يعزز الوحدة الوطنية.

يأتي موضوع تأليف وزارة شؤون الشمال على رأس النقاط المذكورة، وقدمنا المذكرة بإسمي وإسم بابا علي الشيخ محمود إلى الحكومة التي حاولت إقناعنا بالتخلي عن فكرة تأليف الوزارة المذكورة، فكان رأي شخص البارزاني وممثله حبيب محمد كريم، وكذلك رأيي الشخصي ورأي بابا علي الشيخ محمود ومسعود محمد تأليف وزارة جديدة باسم «وزارة شؤون الشمال» وكان المرحوم بابا علي متحمسا للموضوع دون حدود، حتى إنه كان يميل بقوة أن يشغل بنفسه حقيبة الوزارة. الجديدة، فقررنا أن نحول ذلك الى مذكرة تقدم الى حكومة بعد الوفاة المفاجئ للرئيس السابق عبدالسلام محمد عارف كما أسلفت. على أي حال وافقت الحكومة على إرسال المذكرة إلى وزير العدلية المرحوم مصلح النقشبندي[١] لصياغتهِ القانونية، فبدّل العنوان من جديد الى «وزارة إعمار الشمال» بدلا من «وزارة شؤون الشمال» مما أثار إستغرابي وغضبي، فاتصلت بالنقشبندي الذي أجابني بصراحة قائلاً:

«أن السيد رئيس الجمهورية عبدالرحمن محمد عارف هو الذي إقترح علي أن أغير عنوان الوزارة المذكورة من شؤون الشمال إلى إعمار الشمال» مما أثارني دون حدود، فأثرت الموضوع بغضب واضح في إجتماع مجلس الوزراء، وقدمت إستقالتي إحتجاجا ومزقت جميع الأوراق المتعلقة بالموضوع ثم خرجت من قاعة الاجتماع، إلاّ أن طاهر يحيى الذي كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء حينئذ، وكان يتمتع بثقة الكرد، كما ربطني علاقة صداقة قوية به، تبعني وأقنعني بالعودة بعد تأجيل الجلسة، وعاتب في الوقت نفسه

(١) مصلح الشيخ بهاءالدين النقشبندي بن طاهر بن الملا صافي مرشد العمادية وبامرني وتوابعهما من مواليد العام ١٩٢٠، قانوني معروف، دخل البرلمان العراقي في أواخر العهد الملكي ثلاث مرات، عهدت اليه حقيبتا وزارتي الأوقاف والعدلية في عهد الأخوين عبدالسلام وعبدالرحمن عارف عدة مرات.

المرحوم عبدالرحمن محمد عارف كثيرا على موقفه، وبعد عشر دقائق إستؤنفت الجلسة، إلا انني أصريت على الاستقالة، وإستقال معي الاستاذ إحسان شيرزاد[١] الذي كان يشغل حقيبة البلديات.

تألفت بعد مدة قصيرة وزارة جديدة برئاسة المرحوم طاهر يحيى، إحتل فيها فتاح سعيد شالي منصب وزير البلديات بدلا من إحسان شيرزاد، وقد عاتبني البارزاني على موقفي المتشدد أثناء إلتقائي به حرصا منه عليّ، وعندما وقع إنقلاب السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨ أثير الموضوع من جديد، وبعد بيان الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠ أعلن عن تكوين وزارة جديدة باسم «وزارة شؤون الشمال» التي عهدت حقيبته الى المرحوم سامي عبدالرحمن.

لغز مقتل ناصر الحاني

عندما وقع إنقلاب ١٧ تموز عام ١٩٦٨ كنت موجودا في لندن، وبعد يومين فقط سمعت ان الرئيس السابق المرحوم عبدالرحمن محمد عارف قد وصل لندن ونزل ضيفا على السفير العراقي في بريطانيا السيد كاظم خلف، فقررت أن أزوره، وقد رافقني كذلك إحسان شيرزاد الذي كان موجودا في لندن بدوره، ومما قاله في جلسة ذلك اليوم:

«إن الله سبحانه وتعالى هو الذي أنقذني»، حتى انه توجه إلينا وقال باللهجة البغدادية الدارجة: «ينراد له ذبيحة».

وفيما بعد علمنا ان حردان التكريتي الذي كان على علاقة قوية بعبدالرحمن عارف هو الذي نقله الى داره ومن ثم أرسله بطائرة خاصة الى لندن.

بعد ذلك بقيت لمدة أيام قليلة اخرى في لندن ومن ثم سافرت الى مدينة براغ، العاصمة

---

(١) الدكتور إحسان محمد لطف الله شيرزاد، من مواليد أربيل سنة ١٩٢٥، خريج كلية الهندسة العراقية بإمتياز سنة١٩٤٦، ماجستير هندسة مدنية من جامعة مشيغان بالولايات المتحدة الأمريكية سنة١٩٥٠، بكالوريوس حقوق من جامعة بغداد سنة ١٩٦٢، دكتوراه في الأدارة (الإلزام القانوني) من جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية سنة١٩٨٧، رئيس المجمع العلمي الكردي (١٩٧١ -١٩٧٥)، أستاذ وأستاذ متمرس بكلية الهندسة-جامعة بغداد، إستوزر خمس مرات لوزرات الأشغال والأسكان والبلديات منذ العام ١٩٦٧و إستقال من منصب وزير البلديات في آذار ١٩٧٤ورفض منصب نائب رئيس الجمهورية تضامنا مع قيادة البارزاني، على علاقة وطيدة بصاحب المذكرات، كما يحظى بإحترام الجميع.

الجيكوسلوفاكية، حيث أمضيت عشرة أيام إنتقلت بعدها الى هنغاريا (المجر) بواسطة القطار إذ كان قريبي المرحوم خسرو رشيد جودت السكرتير الثاني في السفارة العراقية هناك، وفي الطريق أخبرني أحدهم بوقوع إنقلاب جديد في بغداد، مما أذهلني فعلا، ومهما يكن من أمر وصلنا محطة قطار بودابيست، العاصمة الهنغارية، حيث إستقبلني خسرو وكان يرافقه السفير العراقي في هنغاريا الذي لا يحضرني إسمه.

قضيت مدة في بودابيست ثم إنتقلت بواسطة سيارة السفير العراقي إلى براغ وإنتقلت منها بالطائرة إلى بيروت حيث كانت عقيلتي أم فرهاد تنتظرني.

في بيروت أقمت في شقة أجرّتها، وما أن علم السيد كمال جنبلاط(١) بوصولي حتى زارني، وقد تكررت زياراته لي، إذ كنا على علاقة حميمية قوية، كما زارني في الشقة أيضا المرحوم ناصر الحاني الذي كان دمثا جدا في علاقاته الشخصية، كما انه كان أحد أذكى أذكياء العراقيين في ذلك الحين، وقد تقرر نقلهُ الى بغداد ليعين في منصب وزير خارجية الحكومة الجديدة، وقبل أن يغادر بيروت أقام حفل وداع طلب مني أن أحضره، كما ترجاني أن أدعو بإسمه أيضا المرحوم كمال جنبلاط الذي أكد لي انه لا يرغب عادة حضور هكذا مناسبات، إلاّ انه حضرها نزولا عند رغبتي.

في الحفل المذكور أولانا السفير الحاني إهتماما إستثنائيا، حتى أتذكر إنني طلبت منه أن ينقل مع أغراضه بعض الهدايا التي إشتريتها في الخارج، فوافق على الأمر برحابة صدر لم أكن أتوقعها.

بعد سفر ناصر الحاني الى بغداد بمدة وجيزة سمعنا بأنه أغتيل في داره، وأشيع بأن سبب إغتياله كان من أجل إخفاء حقيقة إتصال القادة الجدد بالأمريكان قبل إنقلابهم،

---

(١) ينتمي الى اسرة جنبلاط الدرزية المعروفة في لبنان والتي تنتسب في الأصل الى الامير جان بولاد الكردي الذي توفي سنة ١٥٧٢، في مطلع القرن السابع عشر استقل الجنبلاطيون بحكم المنطقة الممتدة بين حلب في سوريا وعينتاب في تركيا، ثم هاجروا الى لبنان في بداية العقد الرابع من ذلك القرن بدعوة من الأمير اللبناني فخرالدين الثاني (توفي سنة ١٦٣٥)، برز العديد من زعماء إسرة جنبلاط على المسرح السياسي في تاريخ لبنان الحديث والمعاصر، بما في ذلك عقيلة فؤاد جنبلاط الست نظيرة التي خلفت زوجها فؤاد جنبلاط، فأدت دوراً سياسياً فعالا في غضون المدة الممتدة بين عامي ١٩٢٢، ١٩٥١. كان المرحوم كمال جنبلاط على علاقة ودية بزعماء الكرد، ولا سيما بشخص البارزاني، كما انه كان على أفضل علاقة بصاحب المذكرات الاستاذ فؤاد عارف، زار كردستان مرارا، وبعد أن وافاه الأجل خلفه نجله وليد جنبلاط.

فأرادوا عن طريق قتله إزالة أي دليل يؤشر للأمر المذكور لأن الحاني لم يكن بعثياً، وكان لديه معلومات كثيرة عن خفايا الإنقلاب الجديد و من المفيد أن أشير بالمناسبة إلى أن عقيلة المرحوم ناصر الحاني كانت مواطنة إنجليزية فاضلة، وكانت على علاقة طيبة مع أم فرهاد، إذ كانت دارهم تقع بالقرب من دارنا في شارع المغرب ببغداد.

عودة إلى موضوع
علاقاتي بعبدالرحمن عارف

في الواقع ظلّت علاقاتي برئيس الجمهورية عبدالرحمن محمد عارف طيبة طوال عهده، وعلى الرغم من أنه لم يغيّر موقفه من موضوع وزارة شؤون الشمال ولا أنكر أن الفضل في ذلك كان يعود له، أسكنه المولى فسيح جناته.

ففي اليوم الذي فقدت أعصابي ومزّقت جميع الأوراق المتعلقة بموضوع تأسيس وزارة شؤون الشمال بدأ يتودد إليّ عندما أخذني معه إلى غرفته الخاصة، حيث جاملني بلطف، وأتذكر جيدا قال لي مداعبا:

«أخي أبا فرهاد كيف تقبل أن تتركني؟» فأجبته:

«إنني لا أريد تركك، بل أريد مساعدتك مخلصا من أجلك ومن أجل العراق والأخوّة العربية– الكردية!».

وحينما أصرّ على بقائي معه في سدة الرئاسة قلت له دون مواربه:

«أنني في الواقع على أتم الأستعداد أن أبقى معك شريطة أن توافق على ما أقترحه عليك من أجلك ومن أجل العراق والعلاقات بين العرب والكرد كما أسلفت».

وعندما سأل المرحوم عن إقتراحي أجبته قائلا:

«إن أفضل شيء تقدم عليه هو أن نجري إنتخابات عامة لمنصب رئيس الجمهورية، وبالإمكان إنجاز ذلك في غضون ثلاثة أشهر، وإذا ترغب فأنني شخصيا مستعد أن آخذ المهمة على عاتقي وسوف أنجزها على أفضل وجه، ولا يخامرني أدنى شك بأنك إذا أقدمت على عمل كهذا فإنك سوف تكسب حب وثقة الشعب العراقي الذي حتما سينتخبك للمنصب بإرادته».

إبتسم المرحوم إبتسامة لم تخل من سخرية، وقال بأسلوب ينطوي على قدر واضح من

الغرور والتعالي:

«هل يعقل أن نقوم نحن بالثورة، ونخاطر بحياتنا ومستقبل أسرنا ثم نسلم الحكم للأفندية؟».

أثارني أسلوب جوابه، فلم أتمالك نفسي حين قلت له:

«قسما باللّه إنني أشفق عليك بسبب موقفك».

إستغرب المرحوم من جوابي كثيرا، لكني لم أدع الفرصة تفوتني قبل أن أرد الصاع صاعين، فبعد أن ذكّرته بمصير معظم الحكام في العراق منذ عهد الخلفاء أعدت إلى أذهانه مصير العائلة المالكة من شخص الملك فيصل الأول الذي قيل بأنه مات مسموما(١) والملك غازي الذي أغتيل أغلب الظن، ورأينا بأم أعيننا مصير الملك فيصل الثاني والوصي على عرشه خاله الأمير عبدالاله، ثم ذكرته بمصير عبدالكريم قاسم وشقيقه عبدالسلام عارف».

يبدو أن كلامي قد أثّر فيه، فأتفقنا على أن أعود اليه بعد يومين أو ثلاثة أيام لأخذ رده النهائي حتى إذا وافق كي نباشر بالعمل بعد أن أسحب إستقالتي.

في الموعد المحدد رجعت للقائه بقدر غير قليل من التفاؤل، لأجده مرة أخرى يصر على رأيه السابق، حينذاك أعدت على مسمعه قولي السابق بأنني أشفق عليه، وأضفت:

«لا أخفي عنك إنك بموقفك هذا تذكرني بقصة ذلك الرجل الغني الذي ترك ثروة طائلة لولده الوحيد مع صندوق خاص مليء بالمجوهرات أوصاه أن يقدمه إلى أي رجل متنفذ معروف يتصرف تصرفا غريبا لا يصدقه العقل في أي مكان كان، وأصر الوالد على والده أن يهتم بوصيته هذا غاية الأهتمام. برّ الابن بوعده، وبدأ يبحث عن شخص تنطبق عليه شروط والده، وفي أحد الأيام دخل مدينة ما صادف فيها تشييعا مهيبا لحاكمها المقتول يتقدمه خلفه الحاكم الجديد وعلائم الفرح بادية على وجهه. وعندما سأل عن سر ذلك قيل له أن من تقاليد هذه المدينة أن أهلها يغتالون كل حاكم جديد بعد مرور سنة واحدة فقط على حكمه ليخلفه حاكم آخر يكون أول عمل له تشييع الحاكم السابق، أحسّ إبن الثري بأن الحاكم الجديد كان في أغرب وضع وجده في حياته لأنه كان منتشياً وهو يشيع الحاكم المقتول مع علمه بأنه سوف يلقى المصير نفسه بعد مرور سنة واحدة فقط على حكمه».

---

(١) لا يمكن الأتفاق مع هذا الرأي الغريب الذي روج له عدد قليل من الأساتذة الجامعيين.

دخل أبن الثري على الحاكم الجديد في مجلسه وقدّم له هدية والده، إستغرب الحاكم من الأمر وقال للزائر القادم:

«لكنني لا أعرف أباك!»

فردّ عليه الأبن:

«إن والدي لم يكن يعرفكم بدوره، لكنه أوصاني أن أقدم هديته لأغرب إنسان ألتقيه في حياتي، ولا أخفيك إنني وجدت ضالتي فيك!»».

أعتقد أن المرحوم عبدالرحمن عارف إستهزأ في أعماقه من كلامي وشروطي، فأنتهى أمر إستقالتي بذلك، وإنقطعت علاقتي به إلى حين سقوطه من الحكم ومجيئه إلى لندن حيث قمنا بزيارته أنا والأستاذ إحسان شيرزاد بالشكل الذي سبق ذكره.

علاقات البارزاني الودية بكمال جنبلاط

في الجزء الأول من مذكراتي وفي مناسبات أخرى عدة تحدثت عن العلاقات الودية للغاية بين البارزاني والسيد كمال جنبلاط، كما يتكرر الأمر بالنسبة لهذا الجزء من مذكراتي أيضا. وهنا عندما أتحدث عن أواخر ستينيات القرن الماضي تذكرت هذه القصة المعبرة للغاية عن العلاقات تلك، فقد أرسل البارزاني الخبر إلى المرحوم كمال جنبلاط بأنه يرغب كثيرا في لقائه، وكان بوده لو يستطيع أن يستقبله بنفسه في بغداد، فدعاه الى چومان التي سافر اليها بطائرة هيلوكوبتر خاصة حيث أستقبل بحفاوة بالغة من قادة «الحزب الديمقراطي الكردستاني»، وكان البارزاني ونجليه أدريس ومسعود على رأس المستقبلين. ومن الطريف أن أشير بالمناسبة إلى أن المرحوم كمال جنبلاط كان نباتيا، لكنه مع ذلك لم يرفض طلب البارزاني تناول قطعة اللحم التي قدمها له بنفسه، وكان جنبلاط مرتاحا للغاية من لقائه بالبارزاني.

عن علاقاتي بالمرحوم عبدالله سلوم السامرائي

بعد عودتي إلى بغداد بيومين أو ثلاثة أيام زرت من كنت أعرف من قادة النظام الجديد من أمثال أحمد حسن البكر وحردان التكريتي وصالح مهدي عماش لتهنئتهم، مُستغلاً المناسبة للتأكيد لهم على ضرورة معالجة القضية الكردية معالجة عادلة. والتقيت في ذلك اليوم أيضا عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الأشتراكي المرحوم الدكتور

عبدالله سلوم السامرائي الذي طلب مني أن أزوره في القصر بصورة خاصة، وفعلاً لبيّت دعوته رغم تحذيرات السيد بابا علي الشيخ محمود.

إستقبلني السامرائي في القصر بحفاوة بالغة، وكان يرافقه زميله في الحزب المرحوم سعدون غيدان. أتذكر جيدا كيف عاتبت في تلك الجلسة البعثيين، وقلت لهما يقولون عنكم إنكم لا تقبلون أن ينتقدكم أحد، وتبادرون الى سجن كل إنسان يتجرأ على توجيه النقد لبعض من تصرفاتكم، فإذا كان الأمر هكذا أفضل السكوت على الكلام.

جاوبني المرحوم السامرائي بلطف، وأيده المرحوم سعدون غيدان الذي عاتبته بشدة لأنه لم يستقيل من منصبه وهو يرى أن النظام الجديد يهين زميله طاهر يحيى، فلم يرد عليّ، بل إنه «دنچ رأسه» كمال يقول البغداديون. حينذاك بادر عبدالله سلوم السامرائي إلى تقبيل رأسي قائلا:

«أخي العزيز أبا فرهاد أنك لا تعرفني، لكنني أعرفك عن قرب إنك أنقذت حياتي في ١٩٥٩ عندما كنت موقوفا في كتيبة الدبابات، حيث إتصل بك عمي وروى لك وضعي، إذ أنقذتني من المشنقة، ثم نفيت إلى أربيل، وهناك أيضا تعرضت إلى المضايقة خاصة من الشيوعيين، فأتصل بك عمي مرة أخرى وتوسطت لدى الحاكم العسكري العام وقتئذ أحمد صالح عبدي لإعادتي إلى بغداد، إنني أعرف جيدا بأنك صادق في كل ما تقول وما تريد، وأنا شخصيا على كامل الأستعداد «لأوقع لك على البياض!»».

إستغليت هذا الجو الودي الهادئ، فبدأت أشرح لهما عدالة القضية الكردية وضرورة حلها من أجل العراق وحفاظاً على العلاقات التاريخية بين الشعبين العربي والكردي، وإن حقوق الشعب الكردي لاتقتصر على تعيين حفنة من الموظفين. حينذاك سألني السامرائي عن تلك الحقوق، فقلت له:

«عليكم أن تتصلوا بالقيادة الكردية حتى تعرفوا مطالبها، فهي التي تسود على الساحة» فكان جوابه:

«توجد على الساحة جماعتان كرديتان، جماعة مصطفى البارزاني وجماعة جلال الطالباني...» وقبل أن ينهي كلامه قلت له:

«أرجو مخلصا أن لا تعملوا على بث التفرقة بينهما، فأن الطرفين يلتقيان في المحصلة النهائية على صعيد واحد بالنسبة للمطالب الكردية المشروعة».

عملياً لم تأخذ الحكومة برأيي، فأن المسؤولين كانوا، كعادتهم، يبثون التفرقة بين الجناحين الكرديين، وكانوا يثيرون الفتنة بشتى السبل بينهما. وصادف في تلك الأيام أن إنتصر جناح جلال الطالباني في إحدى المعارك التي وقعت في جبال قەرەداغ جنوبي السليمانية، وبعدها بأيام قليلة إلتقيت مع السامرائي في حفل السفارة السوفيتية، فوجدته إنه كان في غاية السعادة بسبب نتائج معركة قەرەداغ المذكورة، فأعترضت عليه وبيّنت له خطأ سياسة الحكومة في هذا المضمار.

في تلك الأيام كنت أزور بإستمرار خالي ماجد مصطفى، وفي إحدى الليالي رجعت من دار خالي في حدود الساعة الحادية عشرة ليلا لأجد أهلي في قلق بالغ بسبب إعتقال نجلي فرهاد في سجن السراي ببغداد، وعندما إتصلت بالسجن نفى المسؤول معرفته سبب إعتقال فرهاد الذي كان يومذاك ملازما أولا في مديرية السفر والجنسية ببغداد، ولكن أضاف المسؤول إلى ذلك قوله:

«إننا حسب الأوامر الصادرة لنا علينا أن نسفر نجلك غدا إلى البصرة»، فطلبت منه أن يؤخروا موعد تسفيره، فوعدني خيرا.

زرت في الصباح الباكرة المرحوم عبدالله سلوم السامرائي في ديوان وزارة الإعلام، وعندما علم بالموضوع تأثر كثيرا، وإتصل رأساً بالجهات المعنية، وتبّين أن السبب كان يكمن في خطف أحد مسؤولي الأمن في أربيل من قبل الپيشمرگه فأمر صالح مهدي العماش وزير الداخلية بإعتقال إبني فرهاد حتى يكون ذلك وسيلة الأفراج عن مسؤول الأمن، فأستهزأت من هذا الإجراء الذي رأيته في غاية السخف، وأيدني في ذلك المرحوم السامرائي الذي إتصل في الحال برئيس الجمهورية أحمد حسن البكر فأطلقوا سراح فرهاد واعتذروا لي بحرارة بالغة.

الفصل الثاني

الطريق إلى إتفاقية "بيان" اذار ١٩٧٠

أول لقاء لي بصدام حسين

شاءت الظروف أن تكون لي علاقة قريبة بصدام حسين، والتي تراوحت بين المدّ والجزر على مدى سنوات طوال. لا أتذكر إنني سمعت باسم صدام قبل العام ١٩٦٨ سوى إنني كنت أعرف من بعيد خاله المرحوم خيرالله طلفاح، وربما تردد إسم صدام في مجلسي بعد محاولة إغتيال عبدالكريم قاسم المعروفة في العام١٩٥٩.

بعد عودتي من الخارج، وعلى مدى أشهر إقتصرت علاقاتي وإتصالاتي على العسكريين وحدهم من القادة الجدد، وكان الدكتور عبدالله السامرائي الوجه المدني الوحيد الذي تعززّت علاقاتي به على النحو الذي تحدثت عنه.

لم تؤد مناورات العهد الجديد إلى النتيجة المرجوة بالنسبة لقادته، فبدأوا يغيّرون وجهة نظرهم فيما يخص القضية الكردية قبل حلول العام١٩٧٠.

في خضم ذلك دعاني الرئيس أحمد حسن البكر إلى لقائه في القصر الجمهوري، إنه تحدث في ذلك اليوم بأسلوب ينم عن ذلك التحول، إذ قال بإختصار إن الأوضاع تؤشر ضرورة التفاهم مع البارزاني، ويريد الشباب التحدث معك بهذا الخصوص، وهم ينتظرونك في الغرفة التي تقع خلف غرفتي، وكان يقصد بالشباب أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث العربي الأشتراكي.

عندما دخلت الغرفة المذكورة وجدت ما بين سبعة وثمانية من الشباب مجتمعين هناك، لم أكن قد تعرفت علي أي منهم من قبل ولم يكن الدكتور عبدالله سلوم السامرائي موجودا بينهم. أتذكر من بين الحضور في ذلك اليوم المرحوم عبدالكريم الشيخلي ومرتضى سعيد عبدالباقي الحديثي وسمير عزيز النجم، وكان يوجد بينهم أيضا شاب ممشوق، أسمر اللون تبين لي فيما بعد انه صدام حسين.

في البداية تحدث الجميع بإستثناء صدام حسين بإنفعال شديد، وبلغة تنطوي على قدر كبير من الغرور والتهديد، ولم يشر أي منهم إلى الأسباب الحقيقية التي أسفر عنها معظم تعقيدات المشكلة الكردية التي حاولت شرحها لهم وفق قناعاتي وتجاربي الكثيرة عنها بحكم معايشتي لها منذ نعومة أضفاري. وعندما وجدتهم لا يتزعزعون عن عنادهم وغرورهم قلت لهم بصراحة:

«إنكم شباب لا تجربة لكم، فكلكم إما طلاب كليات أو معلمين، يذكرني وضعكم بأبن الفارس الهمام الذي أراد إبنه البكر أن يقلده بعد وفاته، فركب أفضل حصان لديه بغرور ما بعده غرور ليكبو هنيهة أمام الجمع لأنه لم يُجد قيادته، فالفرس الجيد لا يعني شيئا لوحده، إذ لابد أن يكون صاحب تجربة وفن وخبرة تؤهله للقيادة الناجحة».

إعترض الجميع، بإستثناء الشاب الأسمر، على كلامي، بل أن عبدالكريم الشيخلي الذي كان من المفروض أن يكون أكثر الكل ديبلوماسية بوصفه وزيرا للخارجية، إنفعل إنفعالا شديدا، إذ قام من مكانه وقال بعصبية:

«هذه إهانة لا نقبلها».

حينذاك تدخل الشاب الأسمر لأول مرة وقام وقبل رأسي وبدأ يتحدث بلغة هادئة، رصينة، وبثقة كبيرة مؤيدا كل ما قلته، وإعتذر بأدب جم لأنهم دعوني إلى القصر في الوقت الذي كان عليهم أن يزوروني هم في داري. حينذاك سكت الجميع، ومن ثم ودّعوني توديعا حارا.

دشن ذلك اللقاء بداية جيدة لعلاقاتي بالعديد من القادة الجدد الذين، كما أعتقد أنهم فهموا معدني وصراحتي، فضلا عن مدى إخلاصي لقضية بني قومي، السياق الذي لم أحِد عنه يوما ما أثناء إتصالاتهم بي، أو إتصالاتي بهم بين الحين والآخر. فبعد مدة قصيرة طلبني أحمد حسن البكر وصدام حسين الى القصر، حيث دار حديث طويل بيننا، أكدا خلاله قناعتهما المطلقة بضرورة التفاهم مع قيادة البارزاني، وعندما سألتهما عن قراراتهم الجديدة ذكرا بأن الحكومة على إستعداد لمنح الحكم الذاتي للأكراد في كل شيء بإستثناء الجيش والخارجية. حينذاك سألتهما:

«وما هي شروط الحكومة، أو مقترحاتها للجانب الكردي؟»، في الرد قالا:

«إن شرطنا الوحيد هو أن يقطع البارزاني جميع علاقاته الخارجية، بما في ذلك علاقاته مع إيران» كما أضافا:

«إننا ورطنا جماعة جلال الطالباني، فلا نعرف ماذا يكون موقف البارزاني تجاههم». أجبتهم في الحال:

«أن هذا لا يشكل أي مشكلة في واقع الحال، لأن تحقيق الحكم الذاتي الحقيقي للكرد هو حلم جميع الأطراف الكردية المخلصة، وإن جماعة جلال الطالباني كانوا يناضلون من

أجل الهدف نفسه، وإنني شخصيا أعرف أن البارزاني يكن ودا خاصا تجاه جلال الطالباني الذي كان دوما يده اليمنى في مضمار العمل من أجل القضية الكردية.

بعد أن إقتنعا بما طرحته عليهما إقترحا أن أنقل هذا القرار بنفسي إلى البارزاني، لكنني لم أستجب لطلبهما، مما أثار إستغرابهما الشديد، فأستفسرا عن سبب ذلك فكان جوابي:

«كيف أسمح لنفسي أن أتحدث بإسمكما عن هكذا موضوع رسمي وأنا لا أحمل أي صفة رسمية سوى إنتمائي الكردي والعراقي لذا لا مانع لدي أن أرافق أحد كبار المسؤولين في الدولة الذي عليه أن ينقل نص ما دار في لقائنا هذا لأكون أنا شاهدا على ما يقول».

إقتنع أحمد حسن البكر وصدام حسين بأقتراحي، وقررا تكليف عضو القيادة القطرية سمير عزيز النجم لنقل قرار القيادة إلى البارزاني.

سافرنا معا إلى كركوك بالسيارات ومن هناك إلى جنديان بمروحية، ثم إنتقلنا من جنديان الى مقر البارزاني في ديلمان بالسيارات أيضا.

إستقبلنا البارزاني شخصيا بحفاوة بالغة، وثم عرض وجهات نظر الطرفين بكل صراحة، وفي طريق عودتنا إلى بغداد رافقنا عضو اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني المرحوم دارا توفيق الذي كان موضع ثقة البارزاني شخصيا.

إستمرت الإتصالات المغلقة بين الطرفين على هذا المنوال لمدة أخرى من الزمن، وكنت أحاول قدر المستطاع التقريب بين وجهات النظر دون إفراط أو تفريط.

بعد ذلك أرسلت الحكومة أول وفد رسمي برئاسة وزير الدفاع حماد شهاب، ضم الوفد الحكومي عددا من أعضاء القيادة القطرية للتداول في الموضوع، وجرى تأليف لجنتين، واحدة حكومية والأخرى كردية. وبعد أن أصبحت الأمور مهيئة تقرر إرسال وفد كبير رفيع المستوى برئاسة صدام حسين شخصيا للقاء البارزاني للتوقيع على الإتفاق النهائي. وعلى ما أتذكر كان الوفد يتألف من أكثر من ثلاثين شخصا أقلتهم خمس مروحيات من أربيل إلى جنديان يوم التاسع أو العاشر من آذار عام ١٩٧٠.

عندما إنتقل الوفد بالسيارات من جنديان إلى چومان للقاء البارزاني طلب مني صدام حسين أن أرافقه في سيارته التي بدأ يقودها بنفسه وكما يؤكد الأخ مسعود، نجل البارزاني، إنه الوحيد الذي رافقنا في السيارة، وجلس في المقعد الخلفي. كان صدام حسين صريحا واضحا في كلامه، فأقر حاجة الطرفين إلى التفاهم والأتفاق، وأعتقد أن

بالأمكان حل مشكلة كركوك بالتوافق بين الجانبين، وأضاف:

«ليس بوسع البارزاني أن يقول إن كركوك ليست كردية، وأنا بدوري لا أستطيع أن أقول إن كركوك غير عربية خوفا من إتهامات القوميين العرب، لذا في رأيي من الأفضل أن نتوصل إلى حل وسط بجعل نهر خاسة حدا إداريا فاصلا بين الجانبين، يكون قسمه الشرقي ضمن منطقة الحكم الذاتي، فيما قسمه الغربي خاضعا للإدارة المركزية على الأقل بسبب تركز المنشآت النفطية فيه، مع علمي بأن معظم آبار نفط المنطقة تقع في القسم الشرقي من نهر خاسة. أكد صدام حسين أيضا بأنه على أستعداد للتساهل بعدد مناطق التماس الأخرى مثل خانقين ومندلي وشيخان وسنجار في حال حل عقدة كركوك، وبعد ذلك تتمكن قيادة البارزاني أن تتفرغ للعمل من أجل القضية الكردية، لنتفرغ نحن أيضا للعمل من أجل القضية العربية، وإنني أعتقد قبل حلول نهاية هذا القرن سوف تظهر حكومتان جديدتان في المنطقة، واحدة عربية في فلسطين، والأخرى كردية.

وجواباً على رأيه أكدت من جانبي ضرورة عدم لجوء السلطة إلى أي شكل من أشكال التغيير السكاني في المنطقة الكردية في كل الأحوال، لأنني كنت، ولم أزل مقتنعا بأن جذور أهم سبب لظهور مثل هذه المشكلات العويصة تعود أصلا الى سياسة التعريب السيئة الصيت التي إنتهجها القوميون منذ العهد الملكي.

بعد وصولنا إلى چومان إنفردت بالبارزاني ونقلت له تفاصيل ما قاله صدام حسين. سألني البارزاني عن رأيي في الموضوع، فقلت له بأختصار:

«هل إنك في وضع يغنيك عن الأتفاق معه؟».

أجابني:

«كلا، لأن الأعداء يحيطون بي من كل حدب وصوب، والصديق الوحيد الذي يحميني هو الاتحاد السوفيتي الذي يضغط بدوره علّي من أجل إبرام الاتفاق».

وفعلا كان موفد الإتحاد السوفيتي پريماكوف موجوداً يومذاك في چومان أيضاً إذ جاء للاتصال بالبارزاني حول الموضوع نفسه. وفي مثل هذه الظروف إستقر رأينا على أن يؤجل البت في موضوع كركوك على أن تكون الإدارة فيها مشتركة إلى أن تتعزز الثقة بين الطرفين، ولكن شريطة أن لا يجري أي تغيير سكاني جديد فيها.

نقلت رأي البارزاني إلى صدام حسين الذي وافق على المقترح الخاص بمدينة كركوك

وتوابعها، مع العلم أنه كان يرغب في أن يبرم الأتفاق النهائي بين الطرفين دون تأخير.

وهكذا بعد أربع أو خمس جلسات من المفاوضات تم التوصل إلى ما عرف بإتفاق أو بيان الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٠. ومن المفيد أن أشير هنا أن رئيس لجنة الجانب الكردي في المفاوضات كان الدكتور محمود علي عثمان، بينما كان رئيس اللجنة الممثلة للجانب الحكومي يتغير بأستمرار، وكان صدام حسين يصر دائما أن نشترك أنا والسيد عزيز شريف في جميع المناقشات التي كانت تجري بين الطرفين في تلك الأيام لنكون شاهدين على ما يجرى، أنا بوصفي أمثل الإتجاه العراقي المستقل، والمرحوم عزيز شريف بوصفه ممثلا لليسار العراقي الذي كان متحمسا للتوصل إلى إتفاق بين الطرفين، كما كان شخص البارزاني يميل بقوة إلى هذا الرأي لثقته المطلقة بموافقي، وتقديره العالي أيضاً للأستاذ عزيز شريف.

تقرر بموجب الإتفاق تعيين خمسة وزراء من الكرد، وتأليف وزارة خاصة بأسم «وزارة شؤون الشمال» التي عهدت حقيبته إلى المرحوم سامي عبدالرحمن.

وبالمناسبة أود أن أشير هنا أن شخص البارزاني إقترح علّي أن أقبل منصبا وزاريا، أو أي منصب قيادي آخر، إلا أنني رفضت هذا الطلب، وقلت له:

«إن الكرد بحاجة إلى تنشِئة جيل جديد من الساسة الكفوئين، أما أنا شخصيا فلا يغريني أي منصب في الدنيا بعد أن جربت الكثير الكثير منها في حياتي، ولا يهمني سوى سعادة شعبي»، كما أكدت له أن بابا علي الشيخ محمود معي في هذا الرأي، ولا يفكر بدوره بأي منصب كان.

أكد البارزاني أنه بدوره يفكر نفس التفكير بالنسبة لجميع أولاده، ولاسيما بالنسبة لنجليه إدريس ومسعود. وبالمناسبة لا أريد أن أخفي حقيقة أن العديد من قادة «الحزب الديمقراطي الكردستاني» كانوا لا يرتاحون من علاقتي الحميمة مع البارزاني، بل أن بعضهم كانوا يشاغبون بحقي لديه، بل وحتى بحق بابا علي في بعض الأحيان أيضا وكأننا كنا ننافسهم على المناصب التي أتيحت للكرد بعد إبرام إتفاقية الحادي عشر من آذار، وكان البارزاني يؤكد صراحة، بإستمرار ضرورة إستشارة ممثليه لدى الحكومة، لنا في كل صغيرة وكبيرة.

بعد التوقيع على الإتفاقية إنتقل نجلا البارزاني إدريس ومسعود والدكتور محمود علي عثمان إلى بغداد التي شهدت إحتفالات عفوية رائعة على مدى أيام عدة، خاصة في ساحة

التحرير في قلب العاصمة وفي منتزهات صدر القناة، كما في المدن العراقية كافة لأن الجميع رأوا في بيان الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٠ نصرا رائعا لحلم وطني كبير.

أغرب حوار لي مع صدام حسين

بعد الإتفاق مع القيادة الكردية توثقت علاقاتي مع صدام حسين أكثر فأكثر، فكان يزورني في داري بين الحين والآخر وكنا نثير قضايا متنوعة ودقيقة، وكان هو يتقصد في إثارة موضوعات معينة. ومن بين الأمور التي أتذكرها إنه طلب مني أكثر من مرة أن أقبل بتولي منصب نائب رئيس الجمهورية، أردت في أواسط العام ١٩٧٢ أن أضع نهاية لهذا الموضوع، لذا صارحته وقلت له:

«سيد النائب: أنني أتشرف بهكذا منصب، لكنني أعرف بأن مهمتي تكون شكلية».

حاول أن يقنعني بأنني متوهم في تصوري، وبما أنه يثق بي ولا يشك في إخلاصي للبلد لذلك يرغب كثيرا في أن أتبوأ المنصب المذكور على أساس أن الأمر يتوافق مع مصالح جميع الأطراف. حينذاك طرحت عليه سؤالا تبادر إلى ذهني، فقلت له:

«أبو عدي: لنفترض أن سين من الناس يخصني، أو يخص بعض المقربين مني ويعتقل بتهمة أكون شخصيا مقتنعا ببطلانه، فأطلب بحكم موقعي إطلاق سراحه، ولنفترض جدلا أن الأمر يعرض عليك، وأنت تطلب تقريرا من مسؤول حزبي، ويأتي تقريره مؤيدا للتهمة فهل إنك في مثل هذه الحالة تأخذ برأيي أم برأي المسؤول الحزبي».

أجابني في الحال قائلا:

«طبعا آخُذ برأي المسؤول الحزبي».

وجوابا على ذلك قلت له:

«وأنا بدوري أقدم إستقالتي في الحال، وإذا لم أفعل ذلك فأن ضميري يؤنبني إلى يوم القيامة، وحتما أن موقفي سوف ينعكس عليك سلبا، لذا كما قلت أنا لا أصلح لإشغال هذا الموقع».

لم يؤثر جوابي الصريح على موقفه الودي مني، بل أعتقد إنه زاد من إحترامه لي، إذ لم ينقطع عن زيارته لي، بل علي العكس من ذلك بدأ يروي لي قضايا خصوصية تتعلق بأسرته، مما لم أكن أتوقع أن يتطرق إليها معي. ففي زيارة لاحقة له روى لي هذه القصة

المثيرة المتعلقة بثأر بين أفراد أسرته وعشيرة العبيد قبل العام ١٩٦٨. ومن أجل حل هذه المشكلة زار صدام مع أحمد حسن البكر رؤساء العبيد ورأى هؤلاء في دفع الديّة لهم حسب العرف العشائري مسابقيمهم، حينذاك قال لهم صدام حسين مامعناه:

«أنا شخصيا كنت أتمنى أن لا يحدث ما حدث أصلا، ولكننا الآن أمام الأمر الواقع، لذا أفضل أن تقبلوا بإقتراحي وتتصافى القلوب بيننا لسبب بسيط أراه منطقيا، فما دام نحن في الحكم ليس بوسعكم أن تأثروا أو تفعلوا شيئا ضدنا، وإذا أبعدنا عن دست الحكم فأن غيركم ينهوننا قبل أن تقدموا أنتم على أي عمل كان، وعليه من الأفضل لكم أن تأخذوا الدية».

فعلا أخذ العبيد الديّة وتم علاج المشكلة عن طريق هذا المنطق السليم.

وفي تلك الأيام تحديدا دار هذا الحديث الغريب بين صدام حسين وبيني وأيضا في عقر داري. دار حديث ذلك اليوم حول موقعه في الحزب والدولة، إذ قال لي صراحة بأن بوسعه بموجب النظام الداخلي للحزب أن يصبح أمين سر الحزب وكذلك رئيسا للجمهورية، لكنه يفضل أن يتعلم عن طريق الممارسة لأن الحكم فن معقد يحتاج إلى التروي وتراكم التجربة.

أثنيت على كلامه، وقلت له:

«إنني أرى منذ الآن بأنك تتبوأ الموقع الأول في الدولة في القريب العاجل، بل إنك تحتل في الواقع الموقع الأول حتى من غير ذلك، لذا لدّي رأي أرغب في عرضه عليك بكل صراحة».

في الواقع إنه فرح كثيرا وتحول إلى أُذن صاغية ينتظر بفارغ الصبر رأيي الجديد، فقلت له:

«أبو عدي: إنك إنسان وسيم وتحتل عمليا أرفع موقع في الدولة، ولا أشك في أن يتودد إليك بعض الأصناف من الناس، لكن عليك أن تتعامل كأب حنون مع جميع العراقيين دون إستثناء، وأن تنظر إلى كل بنات العراق مثل بناتك، ونسائه مثل أخواتك».

إنه فهم قصدي رأسا، فسألني:

«أبا فرهاد هل سمعت شيئا ما يدفعك إلى مثل هذا القول؟».

قلت له:

«نعم، إنني سمعت بأن لديك بيت خاص في المنصور تقضي فيه مع صاحبك عبدالكريم الشيخلي ليالي حمراء».

وبالمناسبة أعدت إلى أذهانه وصف الرئيس جمال عبدالناصر للمرحوم علي صالح السعدي سنة ١٩٦٣

عندما نعته بـ«رجل الملذات».

في الواقع لم ينكر صدام حسين ما ذكرته له، إذ قال بالحرف الواحد:

«أشكرك أبو فرهاد، ثق إنك لن تسمع بمثل هذا الشيء من اليوم».

أعتقد أن صدقي ونياتي الحسنة وصراحتي غير المعهودة خصوصا في شرقنا جعلته يودني ويثق بي دون حدود، حتى إنه صارحني في إحدى المرات قائلا:

«أبو فرهاد: إنني أعرف جيدا بأنك تنتقدنا في مجلسك وأنا أقبل منك ذلك بكل رحابة صدر لأنني أعرف جيدا بأنك تتحدث بقلبك ولسانك وبوجه واحد وأفهم نواياك الطيبة، في حين هناك أناس آخرون يتحدثون عنا بلسانهم ما لا يكنّونه في قلوبهم، وشخصيا أتمنى قطع لسان أمثالهم».

وفي الجلسة نفسها أضاف إلى ذلك قوله:

« إنني أتقصد في إثارة الموضوعات التأريخية الخاصة بشخصيات العهد الملكي من أمثال الملك غازي والفريق بكر صدقي وجميل المدفعي لأنني في الواقع أستفيد كثيرا مما ترويه لي في ضوء تقييمك وتجاربك الخاصة، بحيث إنني أحس بنوع من التغيير في تفكيري بعد زيارتي لك».

حتى إنه صاغ عبارته الأخيرة باللهجة البغدادية المعروفة على النحو الآتي مبتسما:

«أجي عندك غير شخص وأطلع منك غير شخص».

كان جوابي على تعليقه على النحو الأتي:

«سيد النائب: أتأسف كثيرا لأنني أحس إن معظم الذين يحيطون بك هم مع الآسف من طينة أخرى يدفعونك بإتجاه غير سليم كما أعتقد».

إنه لم يعلق على كلامي، ولم تبد علائم الامتعاض على وجهه.

عودة إلى إتفاقية "بيان" آذار

لا أنكر مطلقا إنني علقت آمالا جساما على إتفاقية (بيان) الحادي عشر من آذار حالي في ذلك حال جميع المخلصين العراقيين من عرب وكرد بل وحتى غيرهم، ولكن سرعان ما بدأت الغيوم تلبد صَفاء سماء العراق، فبدأت الشكوك تراودني بصدد النيات الحقيقية لمعظم الأوساط الحكومية المسؤولة.

صادف في تلك الأيام أن وافى الأجل والدة الأخ حسن النقيب الذي كنت على علاقة وثيقة به، فعندما حضرت مجلس الفاتحة الذي أقيم في داره بمدينة الضباط في اليرموك رحّب بي بحرارة، وجاء إلى المقعد المجاور لمقعدي، وقال:

أريد أن نختلي عندما تغادر المكان لأن هنالك بعض الأمور الضرورية التي أرغب في عرضها عليك».

فعلا عندما غادرت الغرفة التي أقيمت فيها الفاتحة رافقني النقيب حيث قضينا معا أكثر من ساعة صارحني خلالها بأنه غير راض عما يجري على الساحة السياسية، وإنه لم يخف شعوره لذا أبعد قبيل وفاة والدته إلى إسبانيا بوصفه سفيرا للعراق هناك، وهو مصمم على ترك العراق نهائيا.

بعد هذه المقدمة وصل المرحوم حسن النقيب إلى بيت القصيد وما كان يريد أن يصارحني به، فتحدث مرة أخرى عن علاقتنا الأخوية، وعن ثقتنا المتبادلة، بل قال لي بالحرف الواحد:

«إنني أعتبرك بمثابة أخي الكبير، لذا أحذرك من نيات السلطة السيئة، وعليك أن تنبه شخص البارزاني بأسرع ما يكون ليكون في غاية الحذر، ثم قبلني قبلة الوداع، وأكد ثانية بأنه لن يعود إلى العراق مرة أخرى ما دام هؤلاء في دست الحكم، وإنني قلق عليك، أرجو أن تبلغ البارزاني بأن الجماعة غير مبدئيين، وأن كل شيء لديهم أمر مرحلي».

كنت أعرف مدى صدق الرجل ومدى شهامته، وسرعان ما أثبتت الوقائع حدسه.

شاءت الأقدار أن يصاب إبني عارف بمرض السرطان في تلك الأيام، مما أجبرني على السفر معه إلى لندن لغرض المعالجة، وعندما وقعت المؤامرة الغريبة ضد حياة البارزاني عندما أرسلت المخابرات العراقية وفدا من رجال الدين إلى كردستان، وكان أحدهم

مفخخا بقنبلة شديدة الإنفجار دون أن يعلم بذلك، إذ علقت أجهزة دقيقة على جسمه على أساس أنها عبارة عن مسجل خاص لتسجيل صوت البارزاني الذي كان من المفروض أن يحركه أعضاء الوفد للتحدث بأسلوب صريح كما أوحى لهم، وفعلا كادت المؤامرة أن تؤدي بحياة البارزاني لو لم يكن صدفة أحد رجال الديوان الذي كان يوزع الشاي بين الرجل المفخخ والبارزاني، فأدى الأنفجار إلى مقتل ذلك المسكين كما الرجل نفسه.

أدت تلك المؤامرة إلى حدوث إنتكاسة كبيرة للعلاقات بين القيادة الكردية وحكومة البعث، كما خلقت خيبة أمل كبير للغاية في صفوف الكرد المخلصين دون إستثناء. وكان أمرا طبيعيا أن تغذي أطراف دولية مختلفة أسباب الخلاف باتجاه يضمن وأد بيان آذار. فعلى سبيل المثال أدى بعض الكرد المرتبطين دورا سلبيا مرفوضا بهذا الإتجاه، من ذلك، على سبيل المثال، قيام بعضهم بتسليم ضابط مخفر قورەتور في قضاء خانقين إلى السلطات الإيرانية التي كانت تدّعي بأن تلك المنطقة تدخل ضمن الأراضي الأيرانية. ولقد أثار هذا الموضوع صدام حسين إلى درجة كبيرة، فقبل سفري إلى لندن لمعالجة نجلي عارف كنا مجتمعين للتداول في قضايا تخص إتفاقيية (بيان) الحادي عشر من آذار، وكان صدام حسين شخصيا حاضرا في الإجتماع، ومن الجانب الكردي حضر حبيب محمد كريم والدكتور محمود عثمان وأحد أولاد البارزاني، وصادف أن دخل أحد المسؤولين وسلم بيد صدام ورقة خاصة، وعندما بدأ بقراءته مع نفسه إكفهر وجهه وقال بغضب وإنفعال بالغين:

«إن من يلعب بالنار لابد أن تحترق يده!»

وعندما وضح ما يقصده تبّين ان المسؤول الحزبي في ناحيه قورەتو جليل فيلي قد سلّم معاون شرطة قورەتو الى السلطات الإيرانية، وقد خيمّ وجوم كبير على وجوه أعضاء الوفد الكردي، وقد دشن الحادث المذكور بداية خطيرة لتوتر العلاقات بين الحكومة والقيادة الكردية.

دفعتني هذه الأحداث المؤسفة إلى أن أعود إلى العراق بسرعة. بعد وصولي بغداد إتصلت مباشرة بالوزراء الكرد الذين عاتبتهم بقوة لأنهم لم يستقيلوا من مناصبهم إحتجاجا على محاولة إغتيال البارزاني، الرأي الذي عرضته على شخص البارزاني، إذ كان من رأيي أن يأمرهم بالأنسحاب.

بعد ذلك زرت شخص صدام حسين في بغداد، وعاتبته كثيرا إلاّ أنه ألقى تبعة المؤمراة

كلها على عاتق مدير الأمن العام آنذاك ناظم گزار، لم أقتنع بالطبع بما ذكره، مع العلم إن هذا لا يعني أن گزار لم يكن له دور في حبك المؤامرة، لكن معدن صدام حسين ليس من النوع الذي يسمح لكائن من يكون أن يقدم على عمل خطير من هذا النوع دون علمه وتوجيهه المباشر!.

بعد أيام قليلة سافرت إلى كردستان، وإلتقيت البارزاني في مقره حيث دار حديث طويل بيننا، ونقلت له ما ذكره لي صدام حسين، إلاّ أنه تهكم من تبريراته جملة وتفصيلا، ثم روى لي الحادث، وكيف إنه إستقبل الوفد بحرارة، وعندما قام أحد الپيشمەرگه بتوزيع الشاي على الحضور بدأ الرجل المفخخ الذي كان يجلس مقابله، فقد إستغل حجب موزع الشاي بينه وبين البارزاني، ليشغل ما قيل له إنه جهاز للتسجيل، فحدث إنفجار كبير مزق جسد الرجلين إربا إربا، بحيث سقط أجزاء وأحشاء الكردي المقتول على جسم البارزاني.

مؤامرة ثانية ضد البارزاني

وبالمناسبة أود أن أسجل هنا بإختصار شديد قصة مؤامرة أخرى على حياة البارزاني وقعت بعد فترة وجيزة من المؤامرة الأولى والتي لم يلق عليه الضوء حتى الآن. ففي أحد الأيام عندما كنت جالسا عند البارزاني دخل علينا المرحوم إدريس نجل البارزاني وهمس في أذن والده الذي إستأذن مني وخرج، وبعد عودته وجدت وجه البارزاني مكفهرا، وبدأ يروي هذه الرواية الغريبة:

«ان السلطة بعثت إلى هنا بصحفي بحجة القيام بأجراء لقاء صحفي معي، إلا أنه تبّين بأنه كان يحمل بين أمتعته حقيبة صغيرة ملغومة بالمفرقعات كان يتركها لتنفجر بعد خروجه من الغرفة بحجة حاجته إلى المغاسل».

بعد أن إنتهى البارزاني من روايته سألته

«إذن كيف تطلب مني أن أشغل منصب نائب رئيس الجمهورية؟»».

سكت المرحوم ولم يرد على سؤالي.

قصة أحد التجار

أتذكر في أحد أيام تلك المرحلة الطافحة بالمفاجآت غير المتوقعة جاءني السيد نصير كامل چادرچي وعلائم الإرتباك بادية على وجهه، فعندما سألته عن السبب روى لي

الآتي نصه:

«لقد أخذ رجال الأمن زوج شقيقتي، وهو من تجار الشورجة، وذلك بحجة قيامه ببيع بعض السلع بأسعار تزيد عن الأسعار المحددة، ورغم براءته قاموا بحلق رأسه وصوروه لعرضه على التلفزيون مساء اليوم، وقال إن شقيقتي أقسمت بأنها سوف تنتحر إذا تم عرضه تلفزيونيا، فأريد منك أن تتدخل في الأمر لدى الجهات المسؤولة لإنقاذه».

لم أجد بدا من التدخل، خصوصاوإنني أكن إحتراما خاصا للأستاذ نصير، كما لوالده المرحوم كامل الچادرچي، لذا إتصلت تليفونيا برئيس الجمهورية أحمد حسن البكر وبيّنت له ضرورة أن أزوره في ذلك اليوم تحديداً، إلا أنه ترجاني إذا أمكن تأجيل الموضوع إلى يوم السبت خصوصا لأن اليوم الذي خابرته فيه كان يوافق يوم الخميس، إلا أنني أصريت على ضرورة زيارته في ذلك اليوم تحديدا، فوافق في الحال.

عندما ذهبت إلى القصر وجدت هناك أيضا السيد عزيز شريف، وقد دخلنا معا على الرئيس الذي رويت له القصة بتفاصيله، فأتصل بالجهات المسؤولة وأمرها بصرف النظر عن عرض الفيلم المذكور، فشكرته كثيرا على موقفه الودي.

ولكن عندما عرض المرحوم عزيز شريف عليه موضوعا يخص شخصا صدر بحقه حكم الإعدام، فعندما إتصل أحمد حسن البكر بصدام حسين قال له الأخير ما معناه:

«لقد نفّذنا حكم الأعدام عليه وسوف نرسل لك الأوراق الخاصة بالحكم الصادر عليه حتى توافق على الحكم فيما بعد، ومتى شئت!».

عندما سمعت هذا الكلام تأكد نهائيا أن أحمد حسن البكر لم يكن سوى واجهة في الحكم، وإن صداما كان الكل في الكل في العراق.

وفي ختام هذا المبحث أود أن أعود سريعا إلى موضوع القضية الكردية ففي كل يوم كانت تظهر عوائق جديدة أمام تنفيذ إتفاقية الحادي عشر من آذار، فإن أعداء الكرد الكثيرين، بما في ذلك شركات النفط ودول الجوار والدول الكبرى كانت تبذل كل ما في وسعها من أجل وضع العراقيل أمام تنفيذ الإتفاقية المذكورة، وأتمنى مخلصا أن يكون هذا درسا مفيدا من أجل الوطن والعرب والكرد والتركمان والأقليات القومية والدينية الأخرى.

الفصل الثالث

من قصص الجبال

الملتحقون بالثورة

بعد أن بدأت العلاقات تتوتر بين قيادة الثورة الكردية والحكومة المركزية بدأت الأخيرة بتسفير عوائل جميع الشخصيات الكردية التي إلتحقت بالثورة من أجل وضع عبء إضافي على كاهل الثوار، فذهبت لأعرف مصير عائلتي إذ كنت أتوقع أن تكون ضمن المسفرين، إلا أنني لم أجد لها أثرا، وفيما بعد علمت أن إسم عائلتي كان على رأس قائمة العوائل التي تقرر تسفيرًّها إلاّ أن شخص صدام حسين شطب بنفسه إسمها.

وفعلا تحول تسفير العوائل إلى عبء إضافي على كاهل الثورة، فأن العوائل المتمكنة توزعت على القرى الموجودة في المنطقة، فيما عانت العوائل الفقيرة الأمرّين، فأن الحكومة الإيرانية أوقفت تلك العوائل لمدة عدة أيام على الحدود إلى أن أنهت إجراءاتها الخاصة بإقامة محيمات خاصة للعوائل تلك، وكانت الثورة توزع مخصصات شهرية عليها.

في تلك الأيام المتعبة كنت أعيش في قهوة مهجورة في قرية إسمها كانى رەش على الشارع الرئيسي، والتي كانت تبعد عن الأراضي الأيرانية مسافة ثلاثة كيلومترات فقط، فكنت أرى بأم عيني مآسي هؤلاء الذين كانوا يُعدّون بالآلاف، خصوصا ما كانوا يعانونه من البرد القارس، ولن أنسى ما حييت قصة رجل لم أكن أعرفه من قبل، والذي جاء يطلب مني بعض أدوات الحفر، فحينما سألته عن سبب طلبه أجابني بألم شديد:

«أريد أن أدفن ولدي الذي فارق الحياة مساءً بسبب البرد الشديد».

بعد أن جاءت موافقة طهران عبرت الأسر الكردية الحدودة إلى داخل الأراضي الإيرانية حيث سكنت الأسر المتمكنة في البيوت التي إستأجرتها في القرى المتناثرة هناك أو في بعض المدن القريبة مثل أورميه، فيما نقلت الأسر الفقيرة إلى مخيمات خاصة حيث كانت تعيش حياة صعبة للغاية، فيما بقي عدد قليل من تلك الأسر في حاج عمران قرب الحدود الإيرانية.

وضع المثقفين

من المفيد أن نشير إلى أن المهجرين كانوا يضمون عددا غير قليل من أفضل المثقفين الكرد، بمن فيهم أساتذة الجامعات العراقية، ولا سيما جامعة السليمانية، وعدد من الشعراء والصحفيين المعروفين وضباط الجيش ومن كانوا على شاكلتهم ممن كان

بالإمكان الأستفادة منهم إلى حد كبير، إلاّ أنهم أهملوا للأسف الشديد، وقد دفعني هذا الأمر إلى عرض الموضوع على شخص البارزاني الذي أكدت عليه إمكانية تكوين لجنة إستشارية خاصة من أفضل تلك العناصر، إلاّ أنه لم يستجب لإقتراحي وقال أخشى أن يكون بين هؤلاء بعض ممن دستهم الحكومة المركزية من أجل النيل من ثورتنا. لم أتفق مع رأيه هذا وقلت له:

«ربما يوجد مندسون ومغرضون في صفوف القيادة الكردية نفسها»، إلا أنه لم يرد عليّ.

ومهما يكن من أمر إضطر معظم الأستاتذة الجامعيين الذين إلتحقوا بالثورة إلى مغادرة كردستان حيث توجهوا إلى أقطار أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

زيارتي لضابطين عربيين

بالمناسبة أتذكر إنني في تلك الأيام قمت بزيارة ضابطين عربيين كانا على علاقة طيبة وقديمة مع شخص البارزاني، كان أحدهما اللواء كمال مصطفى علمدار قائد فرقة، فيما نسيت للأسف الشديد أسم الضابط الثاني، إلاّ أنه كان مثل زميله علمدار من ضباط الركن الجيدين، وكانا قد قررّا اللجوء إلى كردستان في تلك الأيام، إنها كانت زيارة عزيزة فعلا، وصادف أن كان شخص البارزاني ونجله مسعود البارزاني موجودين لديهما، فقد كانا يقومان بزيارتهما بصورة دورية.

فرحت كثيرا لهذه الزيارة، فأن الجميع كانوا ينظرون إلى كل من اللواء كمال مصطفى علمدار وزميله كأفضل شواهد العلاقات التأريخية الأصيلة بين أطياف الشعب العراقي، وكنت أنوي زيارتهما بصورة دورية.

وعكتي الصحية

كنت في يوم زيارتي لهذين الضابطين أعاني من وعكة صحية شديدة، بحيث كنت أتنفس بصعوبة كبيرة، مما جلب نظر مسعود البارزاني الذي أولى الموضوع إهتماما إستثنائيا، فنقلوني إلى طهران للعلاج حيث أدخلت إلى واحدة من أفضل مستشفياتها وعاملوني بأسلوب لن أنساه في حياتي، ومن ثم نقلوني من أجل النقاهة إلى أحد القصور في بابا سر على بحر قزوين (الخزر)، ومرّينا بمدينتي قزوين ورهشت حيث إستقبلني المسؤولون فيهما بلطف وحفاوة بالغة.

في المغرب وصلنا أحد القصور الملكية في بابل سر التي كانت فعلا من جنات اللّه فوق

الأرض، إلاّ أنني لم أتمكن البقاء هناك سوى ليومٍ واحدٍ فقط لأنني كنتُ أحسُ بالوحدة إلى حدٍ كبير للغاية، فرجعت إلى طهران في اليوم التالي وقضيت هناك ليلة واحدة في الفندق ثم إنتقلت بالطائرة إلى رضائية (أورميه)، ومن مطار أورميه إنتقلت بالسيارة في اليوم نفسه إلى الحاج عمران، وسكنت في چومان.

تكريم غريب

في چومان فوجئت بأمر تعيني عضوا في «جمعية الهلال الأحمر» التي شكلت برئاسة الدكتور كمال عبدالله ناجي، وكانت الجمعية تضم ما لا يقل عن إثني عشر عضوا، كان بينهم عدد من الملالي والنساء، وكان تسلسلي الأسم العاشر كما أتذكر، ولقد إعتبرت الأمر إهانة كبيرة وجهت إلي، وقد أخبرني بالأمر رسميا المرحوم عبدالوهاب الأتروشي، وكان لديّ بعض الضيوف عندما دخل الموما إليه غرفتي، فتوجهت إلى ضيوفي وقرأت لهم نص القرار الذي علقت عليه قائلا:

«إنني في حينه رفضت أن أشغل منصب نائب رئيس الجمهورية، والآن تكرم علي الأخوان بأن أكون عضوا في جمعية لا وزن لها ولا عمل».

أثار كلامي حفيظة الحضور إلى حد كبير، ومن ثم توجهت بالسيارة إلى شخص البارزاني الذي عدَّ القرار بدوره إهانة مرفوضة، بل إنه تأثر أكثر مني بكثير مما هدأ أعصابي.

في الواقع كنت أحسن بأن عددا قليلا من القياديين الكرد يضمرون حقدا نحوي بسبب إنتقاداتي الصريحة، فكانوا يحاولون النيل مني بأي أسلوب كان، وقد بلغ الأمر ببعضهم حد إتهامي بالعمالة للحكومة العراقية لدى شخص البارزاني.

بالمناسبة قلت للبارزاني أن قساوة بعض قياديك تدفعني إلى الإعتقاد بأن هؤلاء إذا إحتلوا، لا سامح الله، مواقع حساسة في المستقبل فأن الأمر يؤدي إلى خراب كردستان. وفي الحقيقة أن هؤلاء ماكانوا يزيدون، لحسن الحظ، على عدد أصابع اليد الواحدة، فيما كان معظم القياديين الآخرين من أنقى الكرد، وكانوا يحتفظون بأفضل العلاقات معي، ولقد كشف إتفاقية الجزائر المشؤومة الوجه الحقيقي لهؤلاء الذين كانوا على علاقات مشبوهة، وإنني لا أرغب أن أشير إلى أسمائهم حرصا مني على سمعة أقربائهم.

إتفاقية الجزائر

مؤامرة دولية كبرى

عقدت في تلك المرحلة الحرجة إتفاقية الجزائر التي كانت طعنه نجلاء في ظهر الأمة الكردية عموما، وكرد العراق خصوصا. وعندما بوشر بتطبيق بنود الأتفاقية إضطررنا إلى دخول الأراضي الإيرانية، وإنتقلنا أنا وعدد من الرفاق إلى مدينة نغدة أولا ثم إلى طهران. وفي طهران زرت البارزاني شخصيا وقلت له بأنني قررت البقاء هنا، إلا أنه إعترض على ذلك وقال:

«عليك بالعودة إلى العراق دون تأخير لأن صداماً إعتقل نجلك فرهاد، وهو لا يرحم، فأرجو أن ترجع لأن ذلك يؤدي، أغلب الظن، إلى إطلاق سراحه، وإذا تغيرّت الأوضاع ورجعنا إلى سوح النضال حينذاك نطلب منك الأنضمام إلينا دون أدنى ريب».

في ذلك اليوم قال لي البارزاني أيضا:

«كاك فؤاد في حينه عندما كنت أستمع إلى آرائك وآراء بابا علي الشيخ محمود كنت أقود دفة السفينة بصورة أفضل، ولكن في الآونة الأخيرة بدأت أستمع إلى آراء أناس كان عليّ أن لا أعيرهم أي إهتمام»، وذكر لي أسماء هؤلاء واحدا واحدا إلا أنني أرفض أن أسجل هنا أسماءهم للسبب الذي ذكرته آنفا.

لقاءاتي الأخيرة مع البارزاني

إنحصرت لقاءاتي الأخيرة بالبارزاني في الأيام التي تلت إبرام إتفاقية الجزائر إلى حد واضح، وأحاول فيما يأتي إلقاء الضوء على جوانب منها. فقبل كل شيء رجعت شخصيا من أورميه إلى چومان وإرتديت ملابسي الكردية وحملت رشاشتي لأكون في صفوف المقاومين، وأتذكر كيف جاءني الأخ محسن دزيى في يوم إعلان الأتفاقية مرتبكا للغاية، بل أن عينيه قد اغرورقتا بالدموع متحدثا عما سماه بالمؤامرة الدولية الكبرى على الأمة الكردية، وقال لي إن وضع نجلي البارزاني إدريس ومسعود قد ساء إلى حد كبير، وطلب مني أن أذهب إليهما، وفعلا ذهبت دون تأخير إليهما، وبدأت أشد من أزرهما، وأخفيت عنهما آثار الصدمة المأساوية، إذ كنت أؤكد لهما ثقتي الكبيرة بأبناء شعبي، وفعا خاض الپيشمرگة في أكثر من موقع معارك ضارية ضد القوات الحكومية، وتمكّنوا من توجيه ضربات قوية لها، ووقف زحفها في أكثر من موقع، مما ببعث الآمال من جديد في نفوس

الناس الذين بدأوا يحتفلون في چومان وغيرها.

حاولت في تلك اللحظات بذل المستحيل من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه، فقررت أن أبعث برسالة شخصية إلى صدام حسين أحثه فيها على التراجع من الإتفاقية، مبدياً إستعداد الكرد التام للتعاون معه في هذا المضمار، وعرضت الفكرة على إدريس ومسعود نجلي البارزاني، وعلى عدد من أصدقائي المقربين الذين شجعوني على تنفيذها دون أي تردد، حينذاك طلبت من المرحوم خسرو توفيق أن يقوم بصياغة الفكرة التي رحب بها أيضا، وتمت صياغة الرسالة الآتية:

«الأخ(١) العزيز

تحية أخوية خالصة

لما أتوسم فيكم من الشهامة والوطنية والإخلاص، رأيت من واجبي أن أكتب لكم هذه الرسالة، في الوقت الذي أأسف فيه على عدم كتابتها بخط يدي وذلك للظروف التي لا تخفى على نباهتكم.

تعلمون بلا شك نزوعي إلى السلم وعدم قناعتي بإمكانية حل المشاكل المستعصية بين قوميتينا بقوة السلاح، ولابد أنكم تتذكرون جهودي في هذا الشأن سنة ١٩٦٩، ومداولاتي معكم عندما كان الصراع في أوج شدته في ذلك الحين، ورأيي الواضح أثناء المقابلات المتعددة معكم قبل إتفاقية آذار١٩٧٠ ومفاوضات آذار ١٩٧٤، والتي كان آخرها محاولتي السلمية غير الموفقة والتي جئت إلى هنا على إثرها وبقيت من أجل متابعتها وإيصالها إلى نتيجة مرضية، وقد بقيت مستمرا على تلك المساعي إلى أن وصلت الأمور إلى هذه النتيجة المؤسفة، أي إلى حد القبول بمثل هذه الأتفاقية التي ليست في مصلحة العراق، عراق العرب والأكراد، والتي لم تستطع إيران إنتزاعها في كل العهود السابقة.

ولما كنت أثق بكم شخصيا وبوطنيتكم وإخلاصكم، فأنني أفهم بوضوح عمق الجرح الذي ينزف من قلبكم من جراء توقيع هذه الأتفاقية، وأفهم كذلك الدوافع التي أدت بكم إلى سلوك هذا السبيل.

ولكوني لا أرغب، نظرا لمحبتي لكم، أن أرى توقيعكم على إتفاقية تمس بحدود العراق الذي حلفت كعسكري مخلص أن أصون حدوده، وحيث إنه لا تزال هناك فرصة للتخلص

(١) وردت أخطاء قليلة في نص الرسالة عالجناها دون أن يؤثر ذلك على مضمونها.

من هذه الإتفاقية نظرا للدرس القاسي الذي تعلمه الطرفان من هذا النزاع الدامي، وجدت من واجبي أن أناشدكم لإيجاد طريقة للتملص منها بالنص على بعض الشروط التعجيزية التي لا يقبل بها الطرف الآخر، وبذلك لا تحرجون أمام الجهات الاخرى.

لقد تحدثت مع العديد من الأخوان هنا وإستمزجت آراءهم التي لها وزن كبير، ويزيدها وزنا دعمكم لي في جهودي كما عودتموني دائما، وكما نريدها، رغبة الأخوان هنا أن لا يكونوا سببا في فرض شروط قاسية على العراق وسلخ جزء من أرضه.

بالإضافة إلى الرغبة في عدم إستمرار الكراهية وإحتدامها بين الشعبين بأستمرار القتال، حيث أن أحداث الأيام لا تترك مجالا إلاّ لإستمرار هذا القتال الدامي لسنين أخرى، إذا لا طريق للأكراد غير هذا الطريق المؤسف. وإنني أؤكد لكم عن قناعة تامة بأنكم إذا أبديتم المرونة المناسبة فأنكم ستجدون الإيجابية الكافية للوصول إلى نتيجة سريعة وشريفة تحفظ كرامة العراق والشعب العراقي.

لذا أناشدكم مرة أخرى بذل جهودكم وذكائكم للتملص من الأتفاقية حيث لا يزال هناك متسع من الوقت قبل محادثات وزراء الخارجية في طهران مؤكدا لكم قناعتي التامة بإستقبال أية مبادرة منكم هنا بإيجابية تامة وعقل منفتح للحفاظ على كرامة العراق ووحدة أراضيه.

إني أرى أن هناك مسألتين تخلقان كراهية دائمة بين الشعبين، هما قبول الإتفاقية وإستمرار القتال، وكلاهما مرتبطان الواحد بالآخر، ويمكن حلهما لو بذلتم جهدكم، وبهذا يسجل لكم التاريخ هذا المسعى النبيل.

وفي الختام إني بأنتظار نتيجة إيجابية سريعة منكم بالطريقة التي تجدونها مناسبة، وتقبلوا فائق إحترامي وتحياتي للجميع.

المخلص

فؤاد عارف

آذار ١٩٧٥

بعثت الرسالة إلى بغداد بواسطة ضابط عراقي هو الملازم أول يعقوب موسى من أهالي محافظة ذى قار، مع العلم إنني أصبحت على علاقة طيبة به بعد عودتي إلى بغداد، إذ كان يزورني بين الحين والآخر.

أهمل صدام حسين الرسالة ولم يرد عليّ، مع العلم كنت، ولم أزل، أثق بصواب رأيي، وكنت أتوقع منه ردا إيجابيا، أو أي رد منه.

وبالمناسبة أتذكر أن المرحوم صالح اليوسفي بعث بدوره برسالة مماثلة إلى حزب البعث الذي أمر بنشر رد قاس عليه نشرته وسائل الإعلام، وقد رجع اليوسفي بعد ذلك سيرا على الأقدام صوب القوات الحكومية، إذ عرض التلفزيون العراقي صورته بهدف إدخال اليأس كليا في نفوس الكرد.

بعد ذلك، وفي يوم الحادي والعشرين من آذار عام ١٩٧٥ عقدنا إجتماعا خاصا للتشاور حول ما يجب أن نعمله في الظروف القاسية التي إستجدت مع التوقيع على إتفاقية الجزائر، وكان عددنا يربو على حوالي أربعين شخصية من النخبة الكردية، وفي أخير الأجتماع تقررّ إرسال صالح اليوسفي وأنا إلى البارزاني لأخباره بأننا عازمون على البقاء والمقاومة شرط أن لا يتدخل هو في أمرنا، مع العلم أخبرناه بأننا سوف نواصل نضالنا بأسمه، إلاّ أنه لم يستجب لطلبنا.

في تلك الأيام كنت أزور شخص البارزاني مرارا، وفي كل مرة، ولأول مرة في حياتي، كنت أجده يائسا لأنه لم يكن يتوقع من شاه إيران مثل ذلك الموقف الخياني تجاه الكرد، فكنت أحاول التخفيف عنه بالتأكيد على أنه لا يتحمل وزر ما حدث، لكنه لم يكن يرد علّي إلى أن قلت له في إحد المرات:

«أبا إدريس أنا لست يائسا، ولا أشك قيد أنملة بأن الكرد سوف يحملون السلاح ثانية، لذا قررت البقاء هنا داخل الأراضي الأيرانية وبجانبك إلى أن يطل علينا ذلك اليوم المنشود».

حينذاك نطق البارزاني وقال لي:

«أشكر مشاعرك الجياشة، ولم يُخامرني الشك في إخلاصك لحظة واحدة منذ أن عرفتك، ولكن بالعكس عليك العودة إلى بغداد بأسرع ما يمكن لأنني أعلم أن صداما قد حجز نجلك فرهاد للضغط عليك، ولا أشك في أنه سوف يطلق سراحه بعد عودتك، وإذا نحن عاودنا

الأخ العزيز

تحية أخوية خالصة

كما انك أتوسم فيكم من الشهامة والوطنية والإخلاص، رأيت من واجبي ان أكتب لكم هذه الرسالة، في الوقت الذي أسف فيه على عدم تمكني [illegible] بخط يدي وذلك للظروف التي لا تخفى على سيادتكم.

تعلمون بلا شك نزوعي الى السلم وعدم قناعتي بإمكان حل المشاكل المستعصية بين قومياتنا بقوة السلاح، ولا بد أنكم تتذكرون جهودي في هذا الشأن سنة ١٩٦٩ ومحاولاتي معكم عند إمكان الصلح في أوج شدة ذلك الحين، ورأيي الواضح أثناء المقابلات المتعددة معكم قبل اتفاقية آذار ١٩٧٠ ومفاوضات آذار ١٩٧٤، التي كان آخرها محاولتي السلمية غير الموفقة والتي عملتها وبقيت من أجل متابعتها وإيصالها الى نتيجة مرضية، وقد بقيت مستمراً على ذلك [illegible] الى ان وصلت الأمور الى هذه النتيجة المؤسفة، أي الى حد القبول على هذه الاتفاقية التي ليست من مصلحة العراق، عراق العرب والأكراد، والتي لم تستطع إيران أن تنتزعها في كل العهود السابقة.

وكما انني أثق بكم شخصياً وبوطنيتكم وإخلاصكم، فإنني أفهم بوضوح مدى الجرح الذي ينزف بين [illegible] من جراء توقيع هذه الاتفاقية، وأتفهم كذلك الدوافع التي أدت بكم الى سلوك هذا السبيل.

ولكنني لا أرغب، نظراً لمحبتي لكم، أن أرى توقيعكم على اتفاقية تمس بحدود العراق الذي حلفت كعسكري مخلص ان أصون حدوده، وحيث انه لا تزال هناك فرصة للتخلص من هذه الاتفاقية نظراً للدرس القاسي الذي تعلمه الطرفان من هذا النزاع الدامي، وجدت من واجبي ان أناشدكم لإيجاد طريقة للتخلص منها، بالنص على بعض الشروط التعجيزية التي لا يقبل بها الطرف الآخر، وبذلك لا تحرجون أمام الأطراف الأخرى.

لقد حاورت الكثير من الاخوان هنا وسمعت آراءهم، والتي لها وزن كبير ويزيدها وزناً [illegible] جهودي كما عهدتموني دائماً، كما تزيدها رغبة الاخوان هنا في أن لا تكونوا سبباً في فرض شروط قاسية على العراق وسلخ جزء من أرضه.

بالاضافة الى الرغبة في عدم استمرار الكراهية والأحقاد بين الشعبين باستمرار القتال، هو ان أحداث الأيام لا تترك مجالاً إلا لاستمرار القتال الدامي لسنين أخرى، حيث لا طريق للأكراد غير هذا الطريق المؤسف.

وإني أؤكد لكم عن قناعة تامة، بأنكم إذا أبديتم المرونة المناسبة، فإنكم ستجدون الاستجابة الكاملة للوصول الى نتيجة سريعة وشريفة تحفظ كرامة العراق والشعب العراقي.

لذا أناشدكم مرة أخرى ببذل جهودكم ومساعيكم للتخلص من الاتفاقية، حيث لا تزال هناك متسع من الوقت قبل حدوث كارثة، [illegible] مؤكداً لكم قناعتي التامة باستقبال أية مبادرة منكم هنا بإيجابية تامة وعقل متفتح للحفاظ على كرامة العراق ووحدة أراضيه.

إذ أرى ان هناك مسألتين مختلفتين [illegible] بين الشعبين. هما قبول الاتفاقية واستمرار القتال، وكلاهما مرتبطان بالآخر ويمكن حلهما لو بذلتم جهدكم، وبهذا يسجل لكم التاريخ هذا المسعى النبيل.

وبالختام، إني بانتظار نتيجة إيجابية سريعة منكم، بالطريقة التي تجدونها مناسبة، وتقبلوا فائق احترامي وتحياتي للجميع.

المخلص

فؤاد عارف ١٩٧٥/٣/١

(١) نص رسالة فؤاد عارف إلى صدام حسين بعد التوقيع على إتفاقية الجزائر في آذار ١٩٧٥ وهي بخط المرحوم خسرو توفيق

النضال مرة أخرى حينذاك يكون بوسعك أن تنضم إلينا بسهولة».

ومهما يكن من أمر، سافرت إلى بيروت إذ كنت أبحث عن مكان ألتجئ إليه، لكن الحكومة اللبنانية رفضت منحي اللجوء السياسي رغم الجهود الكبيرة التي بذلها المرحوم كمال جنبلاط الذي أكد لي كامل إستعداده أن يأتي بصحبتي إلى بغداد من أجل ضمان سلامتي. وقد صادف يومذاك أن جاء الدكتور مكرم الطالباني إلى بيروت، فزرته وقال لي:

«إن صدام حسين في غاية الأستياء منك إذ يقول أن فؤاد عارف لم يكتف بمواقفه ضدنا بل أن نجله آزاد[١] ظل يتهّجم علينا من إذاعة المتمردين بعد أن انتهى كل شيء، بل أن فؤاد عارف زار بنفسه باريس ولندن وأدلى بتصريحات معادية لنا في مؤتمر صحفي».

وأضاف الدكتور مكرم الطالباني على ذلك قوله:

« في الواقع إنني لم أستطع الدفاع عنك لأن شخص نجم الدين عوني[٢] قد أشاع عنك بأنه رآك شخصيا في لندن، مع العلم إنني لم أغادر بيروت أبدا، وكان من رأي الدكتور مكرم أن أرجع إلى العراق خصوصا بعدما أمر صدام حسين بإعتقال نجلي فرهاد.

رجعت بعد يومين إلى بغداد حيث وضعت تحت مراقبة شديدة. وهنا أود أن أسجل موقفا شريفا لضابط ركن في الإستخبارات بإسم السيد عبد الأزل الذي نسيت إسم والده، وهو من كركوك، إذ قال لي:

«إذا وصلك أي طرد تشك فيه إتصل عن طريق الهاتف بالأمن العامة وهم سيعالجون الأمر من جانبهم، وكذلك الحال بالنسبة إلى أي مخابرة لا ترتاح منها».

فعلا أتتني بعض الطرود، كما خابرني أناس ما كنت أعرفهم، كما حدث في إحد المرات عندما خابرني كويتي إدّعى أنه صحفي يود إجراء مقابلة معي، فكنت أخابر الأمن الذي كان يعالج جميع هذه الأمور من جانبه، وبدأت المراقبة المفروضة علّي تقل وطأتها بالتدريج.

---

(١) ازاد هو النجل الخامس للأستاذ فؤاد عارف، كان يعمل مهندسا ميكانيكيا في إذاعة الثورة التي إستمرت تبث برامجها على مدى أيام قليلة بعد الإعلان عن إتفاقية الجزائر، وافى الأجل آزاد في الخامس من كانون الأول عام٢٠٠٣.

(٢) المرحوم نجم الدين عوني كردي من تركيا، وهو شقيق محمد علي عوني الذي كان رئيس شعبة الترجمة من اللغة الفارسية في البلاط الملكي بمصر.

وفاة أم فرهاد

في بغداد رجعت إلى داري في شارع المغرب، وكان يزورني عدد غير قليل من الأخوان العرب والكرد وغيرهم، وقد وافى الأجل أم فرهاد في الخامس من تموز عام ١٩٧٩، وأقمنا لها مجلس الفاتحة في قاعة جامع البنّية التي إكتظت بالناس، وجلس معي عدد غير قليل من الشخصيات كأصحاب المجلس، الأمر الذي خفف عني الآمي في تلك الأيام إلى حد كبير، بل ظهر لي العديد من الأصدقاء الذين كانوا يحضرون مجلسي في تلك الأيام.

ممتلكاتي في أولوبة

هنا أود أن أروي حادثة أخرى تتعلق بممتلكاتي في قرية أولوبة في منطقة كهرير الشيخ عباس وجيشانه، وقد ورثتها من والدتي والتي حاولت الحكومة الإستيلاء عليها بحجة الإصلاح الزراعي، إلاّ أن الأخوان الدكتور مكرم الطالباني، وشقيقه الأستاذ إحسان الطالباني والأخ أحمد زرنگ شقيق المرحوم فائق هوشيار، ميّزوا القرار وكسبوا الأمر في المحكمة، ثم بعت ممتلكاتي بمبلغ زهيد.

رفع قرار منع السفر عني

بعد وفاة أم فرهاد بأيام زارني المرحوم شوكت عقراوي الذي كان على علاقة طيبة مع الحكومة حينذاك، فأقترحت عليه أن يفاتح الجهات المسؤولة من أجل رفع قرار منع السفر عني، وفعلا إنه حقق الأمر وسافرت إلى لندن، وبعد مدة وصل نجلي فرهاد أيضا إلى هناك فقد كان يعاني من مشاكل صحية، فأدخلناه المستشفى وتبّين إنه يعاني من مرض القلب المزمن، إذ كانت أربعة من شرايين قلبه مسدودة، لذا نصح الأطباء بإجراء عملية جراحية عاجلة له، كانت العملية تلك تكلف أكثر من خمسة آلاف پاون إسترليني، المبلغ الذي كان يفوق طاقتي إلى حد كبير، ولكن كان بإمكاني تدبيره لو كنت في بغداد، لذا أضطررت إضطراراً أن أزور السفير العراق في لندن الدكتور هشام الشاوي الذي إستقبلني بحرارة كبيرة، وكان في تلك اللحظة السيد وزير الداخلية موجودا لدى السفير، فطلبت منه أن يتبنى الموضوع إما بتوفير المبلغ لي إلى حين عودتي إلى بغداد، أو إجراء العملية على حساب الحكومة خصوصا وإن فرهاد نفسه كان أحد ضباط الداخلية.

وعد الوزير أن يبذل كل ما في وسعه لتكون أجرة العملية على الحكومة العراقية،

ووعدني أيضا بأن يخابرني من بغداد مباشرة بعد حصوله على الموافقات الرسمية الأصولية، لكنه لم يستطع أن يفعل شيئا لأن العلاقات العراقية-الأيرانية قد توترت يومذاك إلى درجة خطيرة وأصبحت الحرب بين الدولتين قاب قوسين أو أدنى، لذا إعتذر وزير الداخلية بأدب جم لأن لم يكن بوسعه أن يفعل شيئا لمساعدتي بسبب إلغاء صلاحيات جميع الوزراء. حينذاك خابر الشاوي المرحوم طارق حمد العبدالله الذي كان يشغل يومذاك منصب رئيس ديوان الرئاسة، وهو كان زميلا لفرهاد، إذ كانا من خريجي الدورة نفسها في الكلية العسكرية، فتبنى العبدالله الموضوع وخاطب شخص الرئيس صدام حسين حوله، فأستجاب للأمر دون تردد، إذ إتصل شخصيا بالدكتور هشام الشاوي وطلبني على الهاتف إلاّ أن السفير إعتذر له بسبب عدم وجودي في تلك الحظة في مقر السفارة، فقال له الرئيس بأن يخبرني بأن العملية تكون على حساب الدولة، بأنه أصدر جميع التعليمات الضرورية لأنجاز ذلك. وعلى إثر ذلك خابرني الدكتور هشام الشاوي وأبلغني بتفاصيل كلام الرئيس وبتحياته.

هكذا أجرى الطبيب المصري المعروف الدكتور مجدي اليعقوب العملية في إحدى مستشفيات لندن بنجاح يوم العاشر من أيلول عام ١٩٨٠ وعلى حساب الدولة.

بعد مدة النقاهة رجعنا إلى بغداد، وفي الواقع كنت أنوي زيارة القصر لتقديم شكري الجزيل للرئيس صدام حسين بسبب موقفه النبيل الذي لا يمكن أن أنساه ماحييت، إلاّ أن الأمور قد أرتبكت في ذلك الوقت إلى درجة خطيرة بسبب الهجوم على إيران وإنشغال صدام حسين إلى درجة كبيرة فتعذر عليّ زيارته للأسف.

عودة العلاقات بين صدام حسين وبيني

على ما أتذكر في سنة ١٩٩٣جاءني الدكتور مكرم الطالباني إلى البيت ضمن زياراته الدورية، وقال لي:

«كاك فؤاد حرام أن تضيع هذه الدار التي تسكنونها!»

وكانت أم فرهاد هي التي بنتها في العام ١٩٦٦ أثناء نفيي الأجباري من قبل عبدالسلام عارف إلى عين تمر، وحين عودتي إلى بغداد كان البيت جاهزا، وقد تعهد ببنائها المهندس الصديق الأستاذ حسيب صالح. ولكن بعد إلتحاقي بالثورة الكردية في العام ١٩٧٤ فرض النظام على أم فرهاد أن تتخلى عن ملكية الدار مما أدى إلى إصابتها بالشلل، إلاّ أن جميع أفراد أسرتي بقوا يسكنون الدار، لكننا كنا نتوقع أن يصدر الأمر

بإخلاء الدار في أي لحظة كانت، فقال لي الدكتور مكرم الطالباني أثناء زيارته الأخيرة التي أشرت إليها:

«كاك فؤاد حرام أن تفقدوا هذا البيت، لذا أقترح عليك أن تكتب رسالة شخصية إلى صدام حسين حول الموضوع».

فأجبته:

«إنني منذ أكثر من عشرين سنة لم أتصل بصدام حسين، ولم أكتب له أي رسالة، ثم كيف أوصل الرسالة إليه».

قال الدكتور مكرم:

«هذا بحد ذاته لا يمثل أي مشكلة لأنني بنفسي أوصل رسالتك إلى إستعلامات القصر حيث أعرف جيدا الشخص المسؤول عن دائرة الإستعلامات، فأطلب أن يوصل رسالتك إلى السيد الرئيس بنفسه، كما أنني أكتب مضمون الرسالة بنفسي».

وافقت على الأقتراح، وقلت للدكتور مكرم «أكتب ما تشاء وسوف أقوم بتوقيع الرسالة بنفسي». فعلا كان لأمر هكذا، إذ قام الدكتور مكرم بكتابة الرسالة بنفسه وأنا وقعتها ومن ثم أخذها مشكورا إلى إستعلامات القصر، بعد يومين أو ثلاثة أيام خابرني شخص من القصر وقال:

«أنا فاروق السامرائي، أرجو أن تحضر إلى القصر يوم غد».

فقلت له:

«إنني لا أعرف طريق القصر، ولا سيارة لدي، فكيف يكون بوسعي المجيء إليك».

حينذاك بعث السامرائي بسيارة خاصة نقلني من البيت إلى القصر. في إستعلامات القصر إستقبلني فاروق السامرائي وقال لي:

«لماذا لا تكتب رسالة إلى السيد الرئيس وتطلب منه أن يقابلك؟» أجبت السيد السامرائي قائلا:

«إنني إنقطعت عن السيد الرئيس لمدة سنوات طوال، ثم ما الذي تريد مني أن أكتب له؟»

فرد قائلا:

«هذه ليست مشكلة لأنني أكتب مضمون الرسالة وأنت توقعها».

وافقت على إقتراحه، وفعلا كتب السامرائي الرسالة بصورة مختصرة بحيث لم يتجاوز

مضومنها سوى أسطر قليلة، وبعد أن قرأها لي قمت بتوقيعها.

بعد يومين إتصلوا بي من القصر وقالوا:

«عليك أن تحضر إلى هنا يوم غد في الساعة الثامنة صباحا».

في اليوم التالي أوصلني فرهاد بسيارته إلى إستعلامات القصر، وظلّ ينتظروني هناك إلى أن جاءت سيارة مقفلة نقلتني إلى حيث يقيم صدام حسين، وبعد أن فتحوا الباب جلست لدى رئيس الديوان الذي طلب مني أن أترك كل ما لدي من أشياء مثل الساعة وما شابه، بعد ذلك نقلوني إلى غرفة أخرى حيث وجدت شخصين أو ثلاثة، وبعد السلام عليهم جلست إلى جانبهم إلى أن جاء أحد مرافقي صدام حسين وسألني:

«هل أنت فؤاد عارف؟»

قلت له نعم.

على ما يبدو أن الرئيس كلّفه بأن يبلغني تحياته، وأن يسأل عن صحتي، فضلا عن ذلك إنه أخبرني بأن الرئيس يود أن يستقبلني بعد الجميع، لأنه يرغب، كما قال، أن يبقى معي أطول مدة ممكنة.

بعد أن ذهب الجميع، وحوالي ظهر ذلك اليوم، جاء دوري، وعزمت أن أبدأ بأنتقاده قبل أن يبدأ هو بالكلام، وفعلا عاتبته على إهماله لي على مدى سنوات، فكان جوابه:

«أبو فرهاد كلامك صحيح وأنا بنفسي كنت أزورك بوصفك عمي، إلاّ أنك خنتني وبعتني من أجل الأوباش».

في الحال رديت عليه، وقلت له:

«سيد الرئيس: إن من تسميهم أوباشا هم أهلي وإخواني وخلاني، أنا منهم وهم مني، ثم أستحلفك بالله لو كنت مكاني هل كنت تعمل غير ما عملت؟».

هنا جلس صدام حسين إلى جانبي وغيّر الموضوع لأنه، كما أعتقد، كان يعرف جيدا بأنني على حق، وأن تصرفي الذي إنتقده بشدة ما كان يختلف عن تصرفاتي السابقة سواء معه أم مع غيره.

في الأخير سألني:

«أبا فرهاد هل بيع البيت أم لا؟»

فأجبته:

«سيد الرئيس أعتقد أن البيت لم يبع بعد»

فقال:

«إطمئن، سوف أصدر اليوم الأوامر الضرورية بصدد هذا الموضوع، كما أتمنى أن تزورني بين الحين والأخر».

هنا إلتفت إلى رئيس الديوان وقال له:

«متى يتصل بك أبو فرهاد رتب لقاءنا بأسرع ما يمكن».

وهكذا شكرته كثيرا على موقفه الودي وودّعته.

قضية جمال شەمەیی

فعلا جرى بعد ذلك عدد من اللقاءات الودية بيننا، وفي إحدى تلك اللقاءات أثرت معه موضوع السيد جمال الذي نسيت إسم والده، لكنه معروف بين الكرد بجمال شەمەیی، وهو من الجاف، وقد كان محكوما بالإعدام بتهمة التجسس، مع العلم إنه كان حدادا نظيفا ومتواضعا، جاءت زوجته وبناته برفقة محمود إبن خالي ماجد مصطفى، فقلت لهم:

«إكتبوا عريضة إسترحام وسوف أرى الظروف، فأن كانت مؤاتية سأقدم له عريضتكم، وإلاّ فلا».

فعلا عندما زرت الرئيس صدام حسين وجدت أن جو اللقاء يسمح بإعطائه العريضة، فأتصل بالسجن وتأكد من عدم تنفيذ الحكم عليه، فأمر بأيقاف حكم الأعدام، ثم توجه إلي قائلا:

«أستاذ فؤاد: إنني أحول حكم الأعدام إلى الحكم المؤبد أولا ومن ثم أصدر بعد مدة أمرا يقضي بالأفراج عنه».

برّ صدام حسين بوعده فعلا، فبعد مدة ليست بقصيرة إتصل بي هاتفا وطلب مني أن أبعث بأحد لأخذ شەمەیی من السجن وفعلا بعثت بحفيدي فؤاد(١) إبن إسماعيل إلى السجن حيث كان المسؤولون تلقوا أوامر صدام شفويا بالإفراج عنه ومن ثم أرسل إليهم الأوامر الأصولية بذلك.

---

(١) أعتقد ينطبق عليه مقولة «إنه خير وريث لجده» بحذافيرها، أطال المولى عزّ وجل من عمره، وتنطبق المقولة نفسها على العزيزة شيرين إسماعيل فؤاد عارف.

قصة هدية الرئيس

بعد مرور مدة على قضية جمال شەمەیی إتصل بي رئيس ديوان القصر وقال:

«إن السيد الرئيس قد خصص لك سيارة فأرجو أن تحضر إلى إستعلامات القصر لغرض إستلامها».

كان جوابي:

«أشكر السيد الرئيس على كرمه، ولكن ثق بأنني لست بحاجة إلى سيارة».

إلاّ أن رئيس الديوان ردّ علي قائلا:

«هذا أمر سيادته وما علينا سوى التنفيذ، لذا أرجو منكم أن لا تعترضوا، وتحضروا إستعلامات القصر شخصيا».

هكذا أضطررت أن أذهب بنفسي إلى إستعلامات القصر لأوقع على إستمارة إستلام السيارة التي كانت من نوع تويوتا كوريلا ياباني موديل العام ١٩٩٩.

محاولاتي للإصلاح بين المركز والقيادة الكردية

بعد مدة رغبت في زيارة الرئيس صدام حسين من أجل أن أبلّغه برغبتي في السفر إلى كُردستان التي لم أزرها منذ سنوات، وهو لم يعترض على إقتراحي، مع العلم إنني كنت أتوق إلى القيام بهذه الزيارة لإصلاح ذات البين بين قيادة الحزبين الكرديين الرئيسين –«الحزب الديمقراطي الكردستاني» بقيادة مسعود البارزاني و «الأتحاد الوطني الكردستاني» بقيادة جلال الطالباني من جهة وبينهما والمركز من جهة اخرى.

هكذا وصلت إلى أربيل حيث حللت ضيفا على مسعود البارزاني الذي رحب بالفكرة كثيرا، وشجعني على زيارة جلال الطالباني في السليمانية، وأبدى كامل إستعداده لتلبية طلباته كافة.

إتصلت بالطالباني هاتفيا من أربيل وقلت له أود أن أزورك في السليمانية من دون أن أخبره بغرض زيارتي، وهو فعلا فرح لقراري بحكم علاقاتنا الطيبة على مدى سنوات طوال.

هكذا ودّعني الپارتيون إلى حدود منطقتهم بالقرب من مدينة كويسنجق، وهنا إستقبلني عدد من قياديي «الأتحاد الوطني الكردستاني». وأوصلوني إلى فندق آشتي في السليمانية حيث كان ينتظرني شخص مام جلال وعدد من رفاقة، فتغدينا معا ومن ثم إنتقلت معه إلى شقتي في الفندق وبدأنا بمناقشة الموضوع طويلا دون أن يشترك معنا

أحد، وبعد مناقشة مسهبة قال الطالباني أن عليه أن يعرض الموضوع على رفاقه ومن ثم يعطيني الجواب فيما بعد، إلاّ أنني أكدت عليه ضرورة مجيئه معي إلى أربيل للقاء مسعود، فأبتسم دون أن يرد عليّ.

ثم إقترح عليّ جلال الطالباني بالمناسبة أن أبقى في السليمانية إلى حين مجيء وكيل الخارجية الأمريكية، وفعلا فعلت هكذا، وبعد مجيئه أبلغني الطالباني أن وكيل الخارجية أبلغ كاك مسعود والطالباني برغبة وزيرة الخارجية الأمريكية السيدة مادلين أولبرايت بقيام الزعيمين الكرديين بزيارتها في واشنطن، الأمر الذي إستحسنهُ جميع المخلصين للقضية الكردية، هكذا جرى اللقاء التأريخي المعروف بين مسعود البارزاني وجلال الطالباني في واشنطن، مما إنعكس في الإعلام العالمي على نطاق واسع.

وفي تموز العامين ٢٠٠٠ و ٢٠٠٢ زرت ثانية أربيل والسليمانية وإلتقيت القادة الكرد، ولاسيما قادة الحزبين، وتباحثنا بإسهاب في الأوضاع التي إستجدت على ساحة المنطقة وضرورة التعامل معها بدقة بالغة. ولكن بعد عودتي، وتحديدا في الرابع من كانون الأول سنة ٢٠٠٢ وافى الأجل نجلي آزاد[١] الذي نقلت رفاته الى أربيل، وبالمناسبة إنتقلت أسرتي برمِّتها إلى هناك، فجرت مراسيم دفنه في أربيل حيث لم يفارقني السيدان نيچيرفان البارزاني وسداد البارزاني، وتكفل الأخير بنقل الجثمان من الحدود التركية إلى أربيل، وظل مسعود البارزاني يخابر سداد يوميا من الخارج ليطمئن علّي، كما بعث «الأتحاد الوطني الكردستاني» بوفد كبير لمواساتنا، الأمر الذي لا يمكن أن أنساه مدى الحياة.

بعد إنتهاء مراسيم الدفن والفاتحة في أربيل رجعنا إلى بغداد حيث أقمنا للمرحوم الفاتحة أيضا التي حضرها جمع غفير من الأصدقاء، كما بعث السيد رئيس الجمهورية عواد محمد البندر ممثلا عنه لمواساتنا.

---

(١) أنجبت عقيلة فؤاد عارف بنتاً واحدة هي نسرين التي كانت البنت الوحيدة له والتي ولدت بعد زواجه بمدة وجيزة، إلا أنها سرعان ما توفيت، وسبعة أبناء هم بالتسلسل كل من فرهاد وفرياد وشيرزاد وشوكت وازاد وعارف وإسماعيل، وقد بقي على قيد الحياة منهم فقط شيرزاد وهو من مواليد العام ١٩٤٣ وإسماعيل وهو من مواليد العام ١٩٥٠، يعيش الأول في المانيا، فيما يعيش الثاني مع والده في السليمانية.

العودة إلى العراق

عندما نُقل البارزاني إلى طهران إنتقلت مع نجلي آزاد وقريبي جودت رشيد وابن خالي مازن عثمان إلى طهران بأمل اللقاء به، وحاولنا الحصول على أماكن لنا في أحد الفنادق إلاّ أنهم لم يسمحوا أن نبقى أكثر من ليلة واحدة في أحد الفنادق أغلب الظن لأن لم تكن معنا الوثائق المطلوبة، فأضطررت أن أخابر المرحوم إبراهيم أحمد الذي قال لي:

«بوسعكم أن تأتوا جميعا إلى داري وأن تبقوا إلى ما تريدون». هكذا إنتقلنا إلى دار السيد إبراهيم أحمد، ورغم صغر حجم داره فإنهم رحّبوا بنا أجمل ترحيب، ولن أنسى لطف عقيلته السيدة گلاويژ إبنة أخ المرحوم همزة عبدالله، بحيث أنها خفّفت عنّا آلامنا وظروفنا الصعبة للغاية في تلك الأيام.

بعد مدة وجيزة إتصلتُ بالمفتش العام للمخابرات الإيرانية (الساڤاك) الذي كنت أعرفه بوصفه حلقة وصل باللاجئين العراقيين، وقد نسيت إسمه، وكان لطيفاً معي، وأخبرني بعد يوم إو يومين بأنهم حجزوا لأربعتنا مقاعد في فندق گرانتس بوسط طهران، ولكن بأربعة أسماء مستعارة.

في فندق گرانتس زارني السفير العراقي المرحوم مدحت إبراهيم جمعة الذي كان في غاية اللطف معنا، كان أيضا مع بقية الكرد العراقيين الذين كانوا يرومون العودة إلى العراق، وقد قلت له بأنني سوف أذهب إلى بيروت من أجل مراجعة الأطباء هناك وأُرسل الثلاثة الباقين إلى بغداد. رتب المرحوم مدحت إبراهيم جمعة أمر سفر آزاد وجودت ومازن إلى بغداد مع عدد آخر من الزملاء الكرد العراقيين بطائرة خاصة.

بعد ذلك بأيام قليلة زارني الأخ علي إبن المرحوم قاضي محمد[(١)] وعن طريقه عرفت مكان البارزاني الذي قمت بزيارته حيث بدأنا نتمشى لوحدنا في حديقة المكان خشية وجود لاقطات في الغرف، وبعد حديث طويل قلت له:

«إنني قررّت البقاء معك حيثما تكون!».

إلاّ أنه إعترض على ذلك وقال لى مانصهُ:

«إننا علمنا أن صداما قد أمر بأعتقال نجلك فرهاد، ولا أستبعد أن يأمر هذا المتوحش

---

(١) كان أقرباؤه والمقربون منه يطلقون عليه لقب «كورى رەش» تدليلا، وكان علي موظفا ديبلوماسيا في عهد محمد رضا شاه.

بقتله، ولكن لا أستبعد في الوقت نفسه أن يأمر بالأفراج عنه في حال عودتك، وكما تعلم إن أوضاعنا مرتبكة، ولا نعرف كيف يكون مستقبلنا، فإذا قدر لنا أن نعود إلى سوح النضال حينذاك يكون إلتحاقك بنا أمرا سهلا، فأرجو أن تعود إلى بغداد بأسرع وقت ممكن».

هكذا توادعت مع البارزاني الخالد ليكون ذلك آخر لقاء بيننا للأسف الشديد!

كلمة شكر للسادة سردار الجاف والروژبياني ومصطفى الجاف

في تلك الأيام الصعبة أولاني المرحومون السادة سردار الجاف(١) وجميل الروژبياني ومصطفى الجاف إهتماما إستثنائيا كان من شأنه أن يخفف من الامي إلى حد كبير، إذ كان ثلاثتهم يستفسرون عنّي بأستمرار، بل كانوا يبدون كامل إستعدادهم لتلبية أي من طلباتي.

بالمناسبة أقام المرحوم سردار الجاف حفلا كبيرا لي مع إخواني الكرد العراقيين الآخرين في داره العامرة بطهران، كما دعاني كل من الروژبياني في أحد مطاعم طهران ومصطفى الجاف في داره.

اللقاء الأخير مع صدام حسين

سبق وأن أشرت إلى بعض جوانب اللقاءات ألتي جرت بين الرئيس صدام حسين وبيني في أواخر عهده، لا سيما تلك التي رتبها مكرم الطالباني، وكما أعتقد إن اللقاء الأخير الذي جرى بيننا هو من أهم لقاءاتنا، فقد إنطوى على حديث صريح ومهم للغاية أسجل للتاريخ فيما يلى أهم ما دار بيننا من حديث مطول في ذلك اللقاء.

ففي اليوم الذي ذهبت فيه إلى إستعلامات القصر لإستلام هدية الرئيس قلت لرئيس الديوان السيد أحمد حسين خضير السامرائي:

«أرجو أن تُبلّغ السيد الرئيس تحياتي وجزيل شكري على هديته وأن تعبر له عن رغبتي

---

(١) هو إبن داود بيك الجاف، وزوج السيدة مريم كريمة قاضي محمد، وكان مسؤولا كبيرا في بلاط الشاه، أما المرحوم مصطفى الجاف فهو نجل كريم بيك الجاف الذي كان من أنبل زعماء الجاف، أما المرحوم الروژبياني فهو كاتب ومترجم كردي معروف أغنى المكتبة التاريخية الكردية بمؤلفاته وتراجمه القيّمة، وكان على علاقة وثيقة بالحزب «الوطني الديمقراطي»، وكان بدوره لاجئا سياسيا في إيران.

في زيارته شخصيا لأعرض على سيادته عددا من ألآراء والأفكار التي أراها ضرورية بالنسبة للمرحلة الحرجة التي تمر بها البلاد».

وافق رئيس الديوان على إقتراحي، وفي اليوم التالي إتصل بي هاتفيا وأخبرني بموافقة الرئيس على زيارته، وقال عليّ أن أذهب في اليوم التالي إلى إستعلامات القصر في الساعة الثامنة صباحا. فعلا ذهبت إلى إستعلامات القصر في الموعد المحدد حيث نقلتني سيارة مغلقة إلى مكان آخر لم أكن أعرفه، فدخلت غرفة كان ينتظرني فيها السيد عبد حمود مرافق صدام حسين الخاص، فجلسنا لوحدنا، وتبادلنا أطراف الحديث، وأخذ معي عددا من الصور، وفجأة دخل صدام حسين الغرفة بنفسه وبعد أن صافحني بحرارة جلس معنا، ثم أخذني إلى قاعة مجاورة بعد دقائق قليلة حيث كانت أجهزة التلفزيون تنتظرنا، وجلس عبد حمود في مكان بعيد عنا، وكان المصورون يركزون علي تصوير الرئيس الذي طلب منهم أن يركزوا عليّ أيضا، وكنا نتحدث عن قضايا عامة تتخللها بعض الطرائف. بعد ذلك قلت له:

«سيد الرئيس أود أن نجلس لوحدنا وبدون أجهزة التصوير لأن هنالك قضايا خاصة أرغب في عرضها على سيادتكم».

وافق صدام حسين على إقتراحي، وأبعد المصورين مع أجهزتهم من القاعة ثم سألني فيما إذا كان لدي مانع لبقاء عبد حمود معنا، فقلت له لا مانع لدّي والأمر متروك لسيادتكم.

بعد ذلك باشرت الحديث معه، وقبل كل شيء سألته قائلا:

«سيادة الرئيس- هل تريدون أن أتحدث معكم بوصفكم رئيسا للجمهورية، أم أتحدث معكم حديث العم مع إبن أخيه كما كنت أفعل ذلك في السابق؟».

أجابني بلطف وإبتسامة قائلا:

«أبو فرهاد خذ كامل حريتك معي، وعلى غرار المرات السابقة».

حينذاك قلت له:

«سيد الرئيس: إن أي صاحب قرار يتخذ قراراته عادة في ضوء المعلومات التي تصله، فإذا كانت هذه المعلومات صادقة فأنه حتما يتخذ بدوره قرارات مناسبة وصائبه، لكنني أكاد أن أكون واثقا من أن مصادر معلوماتك ليست بالمستوى المطلوب».

جواباً على ذلك سألني مع قدر واضح من الإنزعاج:

«كيف تقول ذلك؟، أريد أن تشرح لي قصدك بكل صراحة!».

أجبته في الحال قائلا:

«إن مصادر معلوماتك أناس مثل عزت الدوري وطه الجزراوي وأمثالهما ممن لا يقولون الحقائق كلها كما هي لأنهم يهمهم أن يرضوك قبل أي إعتبار آخر، بينما صديقك من صدقك..»

هنا قاطعني وصحح لي المقولة قائلا:

«أبو فرهاد: هذا القول معروف للأمام علي رضي الله عنه، ونصه صديقك من صادقك لا من صدّقك».

شكرته على تصحيحه وواصلت حديثي إذ قلت له:

«سيد الرئيس: إننا نمر اليوم بظروف صعبة ومعقدة للغاية، وعلينا أن نفهم ونهضم الواقع كما هو، فإن الولايات المتحدة الأمريكية هي اليوم أقوى دولة في العالم، وليس عبثا أن قامت في الآونة الأخيرة بتحشيد ما لا يقل عن مائة وعشرين ألف جندي فضلا عن حاملات الطائرات في المناطق المجاورة للعراق، وإن ظروف هذه المرحلة تختلف إلى حد كبير عن ظروف مرحلة الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر الذي كان بوسعه أن يعتمد على قوة دولية كبرى مثل الإتحاد السوفيتي التي لم تكن أقل قوة وشأنا من الولايات المتحدة الأمريكية، بينما روسيا اليوم لا تضاهي الإتحاد السوفيتي السابق، بل أعتقد بأنها تحتاج إلى مساعدات أمريكية».

هنا قاطعني صدام حسين وقال:

«ولكن ماذا عليّ أن أفعل إذا هاجمتنا القوات الأمريكية؟ في مثل هذه الحالة لا يبقى أمامي سوى المقاومة!»

حينذاك قلت له:

«سيد الرئيس: أظن عليك أن تلجأ إلى المناورة والمساومة من أجل كسب الوقت على أقل تقدير، وفي رأيي من الضروري أن تلجأ إلى بعض الإصلاحات حتى ترضى الجماهير التي عانت الكثير من أجل حكومتكم، وأقترح أن تتصل في الوقت نفسه بالقيادة الكردية وتقدم لها بعض التنازلات لكسبها إلى جانبك كإحدى ضمانات الأستقرار». ردا على ذلك

قال لي:

«لا مانع لدي أن آخذ ملاحظاتك بنظر الأعتبار، ونطور من الحكم الذاتي للأكراد...»

هنا قاطعته وقلت له:

«سيادة الرئيس إن الكرد لا يمكن لهم أن يرضوا بالحكم الذاتي، لذا من الأفضل لكم أن تعلنوا النظام الفيدرالي..»

إعترض صدام حسين على إقتراحي، وتحجج بإعتراض الدول المجاورة للعراق على أي شكل من أشكال النظام الفيدرالي.

في ختام لقاء ذلك اليوم تمنيت له التوفيق والنجاح في مهمته الصعبة لينتهي بذلك آخر لقاء لي مع الرئيس السابق صدام حسين، وكنت أتابع جلسات محاكمته بشغف كبير، ولا أنكر إنني أعجبت كثيرا بمنطقه بمداخلاته وبجرأته أثناء تنفيذ حكم الأعدام بحقه.

كلمة أخيرة

في أحد أيام الأزمة الأخيرة جاءني شيروان شالي صهر حسيب صالح وقال لي:

«أتصل بي شقيقي سامان وطلب مني أن أبلغك بأن تفتح الأنترنيت وتقرأ الموضوع المنشور عنك».

وعندما بدأت فعلا بقراءة الموضوع وجدت أن عنوانه هو:

«بغداد ما بعد صدام».

كانت المقالة مطولة، أشير إلى ما ذكرته بصدد تأسيس مجلس بعضوية كل من فؤاد عارف وعدنان الپاچچي وعبدالغنى الدلي وأحمد الحبوبي وتقسيم العراق إلى ثلاث مناطق هي الشمالية والوسطى والجنوبية وقضايا أخرى، كما نشرت صحيفة «القدس» اللندنية في التاسع من آذار عام ٢٠٠٣ نص تلك المقالة مع صورتي. وفي اليوم نفسه اتصل بي من لندن الدكتور المرحوم يوسف موسى وعقيلته الدكتورة گلزار رشيد جودت و طلبا مني أن أغادر بغداد فورا حرصا منهما على حياتي، وخوفاً من إعتقالي من قبل صدام حسين، فكان جوابي إنني لا أخشى شيئا حتى أغادر بغداد، وخابرت في الحال رئيس الديوان في القصر الجمهوري وأبلغته عن رغبتي في مقابلة الرئيس صدام حسين، إلا أنه أخبرني بأن الرئيس غير موجود حاليا، فطلبت أن يبلغه بفحوى مخابرتي حال

عودته، وفعلا إنه إتصل بي بعد ساعة أو أكثر وأبلغني الآتي نصه: «يقول السيد الرئيس إنني أعرف أبا فرهاد جيدا، فأنه لو كان لديه أي شيء لما رجع إلى العراق أصلا!».

وجاءني في اليوم التالي معاون رئيس جهاز المخابرات السيد جليل طاهر عبوش التكريتي وأبلغني سلامه وعما إذا كنت أطلب أي شيء، فشكرته وتمنيت للعراق والعراقيين الخير كل الخير!

الشرق الأوسط Asharq Al-Awsat
جريدة العرب الدولية

أولى
9 مارس (آذار) 2003

بغداد ما بعد صدام: ٤ عراقيين لمجلس الرئاسة و٣ أميركيين بينهم امرأة للادارة الميدانية

مسؤولون في واشنطن: خطة لتقسيم العراق إلى ٣ مناطق يديرها جنرالان متقاعدان وسفيرة سابقة

عارف — الحبوبي — الباجه جي

لندن : «الشرق الأوسط» ـ واشنطن: أ.ف.ب
توقعت مصادر عربية ان تشجع الولايات المتحدة على تشكيل مجلس رئاسي عراقي من اربعة اشخاص لقيادة الحكومة العراقية الانتقالية التي ستشكل في بغداد حال اطاحة الرئيس العراقي صدام حسين، فيما كشف مسؤولون اميركيون عن خطة لتقسيم العراق بعد اطاحة صدام الى ثلاث مناطق ادارية يشرف على كل واحدة منها مسؤول مدني اميركي للاشراف على الشؤون الانسانية اثناء الحرب المحتملة وبعدها وعلى عمليات اعادة الاعمار.

واشارت المصادر العربية الى ان عواصم عربية تلقت اشارات الى ان واشنطن تؤيد تشكيل مجلس الرئاسة العراقي للمر لة الانتقالية من اربع شخصيات مستقلة تولت مناصب وزارية في العهود التي سبقت وصول حزب البعث الى السلطة في العراق في انقلاب عسكري.

وعلمت «الشرق الأوسط» ان هذه الشخصيات هي: عدنان الباجه جي (عربي سني يعيش في الامارات) وفؤاد عارف (كردي سني يعيش في كردستان) وعبد الغني الدلي(عربي شيعي يعيش في بريطانيا) واحمد الحبوبي (عربي شيعي يعيش في القاهرة .

وتبدو هذه التشكيلة شبيهة بتشكيلة «مجلس السيادة» الذي انشئ في العراق بعد اطاحة الحكم الملكي واعلان الحكم الجمهوري في ١٤ يوليو (تموز) .١٩٥٨ من ناحية اخرى قال مسؤولون اميركيون فضلوا عدم الكشف عن هويتهم ان السفيرة الاميركية السابقة في بغداد والكويت وصنعاء بربارة بودين ستعين على الارجح حاكما اداريا مدنيا على المنطقة الوسطى من العراق التي تضم العاصمة بغداد خلال فترة اعادة الاعمار التي ستكون مرحلة انتقالية نحو نظام ديمقراطي، وان جنرالين اميركيين متقاعدين سيشرفان على القطاعين الشمالي والجنوبي في العراق. وسيتبع هؤلاء الثلاثة للجنرال السابق غاي غارنر الذي يتولى

الفصل الرابع

فؤاد عارف في ميزان الساسة والمسؤولين

كلمة تمهيدية

يحس القارئ الكريم لجزئي مذكراتي(١) بمدى عمق علاقاتي مع كبار الساسة الكرد والعرب وغيرهم بدءاً بالملك غازي الحي أبدا في أعماقي والبارزاني الخالد ومرورا بكبار المسؤولين العراقيين في العهد الملكي كما في جميع العهود الجمهورية، منهم عبدالكريم قاسم وعبدالسلام محمد عارف وشقيقة عبدالرحمن عارف وأحمد حسن البكر وصدام حسين وجمال عبدالناصر وپريماكوف والمسؤولين الأيرانيين وغيرهم، وكنت أروم دوما خدمة كرد العراق وعربه وتوثيق روابطهما إلى أقصى حد ممكن وبغض النظر عن أخطاء جميع الأطراف.

وأؤكد بقناعة مطلقة بأنني لم أحد عن نهجي هذا في أفضل وأسعد لحظات حياتي، كما في أتعس وأقسى لحظاتها، وقد لاحظ القارئ الكريم للجزء الأول من هذه المذكرات، وكما يلاحظ في هذا الجزء منها إنني مررت بالحالتين المتناقضتين في أفضل وأصعب صورهما، ويكمن في هذا تحديدا سّر نجاحي كما أظن. فعلى سبيل المثال إنني لم أفقد الأمل بعد محاولة إغتيال البارزاني الشهيرة بعد إتفاقية الحادي عشر من آذار فبذلت كل ما في وسعي لإطفاء الحريق وإيجاد لغة تفاهم بين بغداد والقيادة الكردية خصوصا لأنني لم أكن أثق بإيران ووعودها في عهد محمد شاه بهلوي.

وإذا إنتقلنا من التعميم إلى التخصيص يكون بوسعي أن أشير إلى العديد من النماذج المقنعة لهذا الرأي، لكنني أقتصر هنا على ذكر نماذج قليلة ومعبرة تعزز الشواهد التي أوردها في الفصول الثلاثة الأولى من هذا الجزء من مذكراتي.

مقالة الطالباني

تربطني علاقات أخوية متينة بالأستاذ جلال الطالباني تعود بداياتها إلى أواخر العهد الملكي أشرت إلى نماذج معبرة منها في جزئي مذكراتي، وهنا أود أن أشير إلى مقالته الكريمة التي نشرها في جريدة «الإتحاد» لسان حال حزب «الإتحاد الوطني الكردستاني»

---

(١) تم إختيار عناوين فصول الجزء الثاني من «مذكرات فؤاد عارف» ومباحثها من قبل معد هذا الجزء من المذكرات، ومن الضروري التأكيد على أن الفصول الأربعة المتبقية من الجزء الثاني من هذه المذكرات تكون مركزة إلى حد كبير لأنها تستعرض مجرد نماذج تكفي للتعبير عن مواقف موثقة لأوساط شتى من الرأي العام تجاه الأستاذ فؤاد عارف.

لمناسبة بلوغي التسعين من عمري[١] والتي قال فيها ما نصه:

«خلال أيام سيدخل الشخصية الوطنية الكردية والعراقية المعروفة الفريق فؤاد عارف التسعين من عمره الحافل بالمواقف الوطنية العراقية والقومية الكردية وبالعلاقات الإجتماعية الإنسانية الكريمة في المجتمع العراقي عموما والبغدادي خصوصا.

وكاكه فؤاد سليل أسرة كردية نبيلة ذات أمجاد نضالية ودينية في كردستان، وقد حفظ كاكة فؤاد لأسرته أمجادها ومناقبها. وبعد تخرجه من الكلية العسكرية في دورة الملك غازي الراحل عرف بشجاعته وجرأته وإقدامه في السلك العسكري وبصفاته الكردية الحميدة في العراق والإخلاص والشهامة لذلك أختير مرافقا لجلالة الملك غازي الأول فنال محبته وتقديره لما تحلّى به من أخلاق فاضلة وخصال عسكرية ممتازة والجدية والإجادة في واجباته.

ولكن منصبه الرفيع لم يمنعه من مشاركة أقرانه الضباط الكرد والمثقفين التقدميين الكرد أفراحهم ومُجالستهم ومباحثتهم لما فيه خير الشعب الكردي. فقد كان صديقا للضباط الأكراد-الكوكبة المناضلة المعروفة المرحوم مير حاج أحمد والشهداء عزت عبدالعزيز ومصطفى خوشناو وخيرالله عبدالكريم ومحمد محمود القدسي، كما كان صديقا ورفيقا مع الأستاذ الخالد إبراهيم أحمد والدكتور عبدالرحمن[٢] والنخبة المثقفة الكردية المعروفة في الثلاثينيات بتجمع الشباب الكرد في بغداد.

وأثناء وجود «حزب هيوا»[٣] عمل مع رفاقه الضباط الأحرار بجد ونشاط في فعالياته، وكان محبوبا لديهم وصديقا صدوقا لهم. ولم يتوان ولم يتردد في تقديم كل دعم أخوي أو تضامن رفاقي مع كل من كان بحاجة إليه. وفي الجيش العراقي عرف بين أقرانه الضباط العرب الأحرار بالوطنية والإخلاص والشجاعة لذلك كان موضع ثقتهم

---

(١) نشرت المقالة في مكان إفتتاحية الجريدة وبعنوان «تحية إلى كاكه فؤاد عارف في عامه التسعين». تنظر: «الإتحاد» بغداد، العدد٥٩٤، السبت، ٦أيلول ٢٠٠٣.

(٢) المقصود الدكتور عبدالرحمن عبدالله الذي كان رئيسا لصحة لواء السليمانية، وكان المرحوم معروفا بمشاعره الجياشة.

(٣) «هيوا» (الأمل) من الأحزاب القومية الكردية المهمة التي ظهرت في كردستان العراق بعد الحرب العالمية الأولى، وقد أدى «حزب هيوا» دورا متميزا على الساحة السياسية الكردية، خصوصا لأنه كان يضم في صفوفه كوكبة من خيرة المثقفين الكرد من المدنيين والعسكريين، كان رفيق حلمي من أبرز قادة «هيوا».

وأسرارهـم، فـقـد كـان صديـقـا وقريـبـا لـزعيـم الـضـبـاط الأحـرار المرحـوم الـفـريـق الـركـن عبدالكريم قاسم الذي أولاه الثقة فعّينه وزيرا في وزارة الثورة فخدم أثناء عمله الوزاري الشعب الكردي والقوى الديمقراطية والتقدمية العراقية دون أن يقطع علاقاته أو يضعف ثقته بالضباط الأحرار من القوميين العرب المعارضيين للمرحوم عبدالكريم قاسم.

وبعد ثورة ١٤ تموز التحررية المجيدة وثّق كاكة فؤاد صلاته بالمرحوم الخالد الجنرال مصطفى البارزاني حتى أصبحا صديقين قريبين من بعضهما البعض، يتبادلان الزيارات المنتظمة ويتناقشان معا في قضايا هامة تهم الوطن العراقي والشعب الكردي.

كذلك وثق علاقاته مع الحزب الديمقراطي الكردستاني عن طريق صديقه العقيد الأستاذ الخالد إبراهيم أحمد، وكان نصيرا ومؤيدا للحزب ومدافعا عنه لدى رئيس الوزراء والوزراء. وعندما شن الفريق عبدالكريم قاسم حربه الطائشة ضّد الشعب الكردي قدم إستقالته من الحكومة ورفض تحمل أعباء وأوزار الحكومة، ولم يسمع الفريق قاسم لنصائحه الأخوية المفيدة بعدم القتال ضد الكرد بل كسبهم بتحقيق مطالبهم العادلة والمعقولة مما كان في صالح العراق والحكم والكرد معا.

لقد عرفت كاكه فؤاد شخصياً بعد إجازة الحزب وصدور جريدة له، إذ زرته مع الأستاذ الخاد إبراهيم أحمد وبعض الرفاق القياديين عدة مرات، ولكن لم أكن حينئذ من البارزين القريبين من كاكة فؤاد، ولكن علاقتي توثقت معه في السفرة التي جمعتنا إلى القاهرة والجزائر (ضمن الوفد العراقي) بعد إنتصار الإنقلاب البعثي–القومي عام ١٩٦٣، فعرفته وعرفني عن كثب، وفي لقاءات هامة مع الرئيس الخالد جمال عبدالناصر والرئيس أحمد بن بله اللذين أعربا، بعد شرحنا المشترك لهما لحقيقة الحركة التحررية الكردية وأهداف ثورتها ضمن العراق الموحد، نعم أعرب الرئيسان عن تعاطفهما وتأييدهما لحقوق الشعب الكردي بما فيها الحكم الذاتي ضمن الجمهورية العراقية.

وقد إستقال كاكه فؤاد مع المرحوم الشيخ بابا علي الشيخ محمود مرة أخرى من الحكومة العراقية إحتجاجا على حربها الظالمة ضد الشعب الكردي ورفضها المطالب الكردية العادلة، إذ كان كاكة فؤاد أثناء المفاوضات التي أجراها الوفد الكردي– وكان لي شرف رئاسته مع الحكومة العراقية– مؤيدا صريحا لمطالبنا وكذلك فعل بابا علي أيضا.

ومنذئد وكاكة فؤاد– رغم كونه شخصية مستقلة لا حزبية – على صلة وثيقة وتضامن تام وكامل مع الحركة التحررية الكردية والثورة الكردية التي إشترك فيها شخصيا بعد شن الحكم – البعثي الأول حربه عليها وظل فيها إلى إنتهاء الثورة، حيث كان مؤيدا قويا

لإستمرار النضال.

ومنذئذ وكاكة فؤاد يواصل مسيرته النضالية والوطنية مدافعا عن حقوق شعبه الكردي ومدافعا عن الوحدة الوطنية العراقية معربا عن إجتهاداته بصراحته المعهودة. لذلك كله فقد إستحق كاكة فؤاد حب وتقدير وإحترام الشعب الكردي والقوى الوطنية العراقية التي عرفته مدافعا عن العراق والشعب العراقي ولدى إخوانه من الضباط الأحرار الذين كان منهم. وقد أختير مرارا من قبل الشعب الكردي والحكم العراقي وسيط خير ومحبة، وهو إذ يدخل عامه التسعين بعد مسيرة نضالية مشرّفة وعمر مديد حافل بالوطنية والأمجاد الوطنية والإخلاص والوفاء لأصدقائه وشعبه وخلاّنه إنما يعطي مثالا رائعا للإنسان المتعلق بشعبه ووطنه والتمسك بالقيم الإنسانية والأخلاق النضالية.

فعمراً مديدا لعزيزنا كاكه فؤاد المبجل مع التمني لأن يحتفل بصحة وعافية بعامه المئوي في عراق ديمقراطي برلماني فيدرالي موحد ومستقل.

وهنيئا للعراق وكردستان بكاكه فؤادهما ألعزيز»

وأرى من ألضروري أن أشير إلى أنني قررت أن ألغي ألاحتفالية الكبيرة ألتي كان من المقرر إقامتها فى مدينة السليمانية لمناسبة بلوغي ألتسعين من العمر لأن صادف أن أغتيل فى تلك الأيام سماحة ألسيد محمد باقر ألحكيم، وقد نشرت صحيفة «الأتحاد» قراري على ألنحو ألآتي:

«ألأستاذ فؤاد عارف يلغي إحتفالية ألتسعين حزناً على إستشهاد ألسيد ألحكيم والإعتداء على قدسية ألنجف»

«بعد نشر دعوة جريدة «الأتحاد» للإحتفال بتسعينية ألأستاذ فؤاد عارف الشخصية الوطنية العراقية المعروفة، والحماسة االشديدة ألتي لقيته ألدعوة ألمذكورة من قبل الأوساط السياسية و الثقافية والأكاديمية، أعلن ألأستاذ فؤاد عارف عن إلغائه ألإحتفال حزنا على ألمصاب الإسلامي و الوطني الجلل بإستشهاد آية الله العظمى السيد محمد باقر ألحكيم (قدس سرّه ألشريف) و الإعتداء الغادر ألكافر على قدسية النجف ألأشرَف»(١).

وكان آخر لقاء لي مع الأستاذ جلال الطالباني يوم العاشر من تشرين ألثاني عام ٢٠٠٨، وقد أثرت معه برفقة معّد هذه ألمذكرات قضايا رأيتها ضرورية بالنسبة للمرحلة الراهنة ألحافلة بالمفاجآت والمتغيرات، و ركزّت فى حديثي بصورة خاصة على علاقات

(١) تنظر «الإتحاد» ٥٩٤، ألسبت، ٦ أيلول ٢٠٠٣.

الحزبين الكرديين الرئيسين «الحزب الديمقراطي الكردستاني» و«حـزب ألإتحـاد الـوطـني ألكردسـتـانـي»، وقد طمـأنـني كثيرا بـالـنسبـة لـهذه ألمسألـة الحيويـة.

AL-ITTIHAD

الاتحاد

الصحيفة المركزية للإتحاد الوطني الكردستاني

جريدة يومية تصدر مؤقتا ثلاث مرات بالأسبوع في بغداد

العدد(٥٩٤) السبت ٢٠٠٣/٩/٦ السنة الحادية عشرة السعر (١٥٠) دينارا ISSUE : (594) Sat. 6/9/2003

تحية إلى كاكه فؤاد عارف في عامه التسعين

بقلم: جلال طالباني

خلال ايام سيدخل الشخصية الوطنية الكردية والعراقية المعروفة الفريق فؤاد عارف التسعين من عمره الحافل بالمواقف الوطنية العراقية والقومية الكردية وبالعلاقات الاجتماعية والانسانية الكريمة في المجتمع العراقي عموما والبغدادي خصوصا.

وكاكه فؤاد سليل اسرة كردية نبيلة ذات امجاد نضالية ودينية في كردستان وقد حفظ كاكه فؤاد لاسرته أمجادها ومناقبها. وبعد تخرجه من الكلية العسكرية في دورة الملك غازي الراحل عرف بشجاعته وجرأته واقدامه في السلك العسكري وبصفاته الكردية الحميدة في العراق والاخلاص والشهامة لذلك اختير مرافقا لجلالة الملك غازي الأول فنال محبته وتقديره لما تحلى به من اخلاق فاضلة وخصال عسكرية ممتازة والجدية والاجادة في واجباته.

ولكن منصبه الرفيع هذا لم يمنعه من مشاركة اقرانه الضباط الكرد والمثقفين التقدميين الكرد افراحهم ومجالستهم ومباحثتهم لما فيه خير الشعب الكردي.

فقد كان صديقا للضباط الاكراد- الكوكبة المناضلة المعروفة- المرحوم مير حاج احمد والشهداء عزت عبدالعزيز ومصطفى خوشناو وخيرالله عبدالكريم ومحمد محمود القدسي. كما كان صديقا ورفيقا مع الاستاذ الخالد ابراهيم احمد والدكتور عبدالرحمن والنخبة المثقفة الكردية المعروفة في الثلاثينيات بتجمع الشباب الكرد في بغداد.

واثناء وجود حزب هيوا عمل مع رفاقه الضباط الاحرار بجد ونشاط في فعالياته وكان محبوبا لديهم وصديقا صدوقا لهم.

لم يتوان ولم يتردد في تقديم كل دعم اخوي او تضامن رفاقي مع كل ما كان بحاجة اليه.

وفي الجيش العراقي عرف بين اقرانه الضباط العرب الاحرار، بالوطنية والاخلاص والشجاعة لذلك كان موضع ثقتهم وأسرارهم فقد كان صديقا وقريبا لزعيم الضباط الاحرار المرحوم الفريق الركن عبدالكريم قاسم الذي اولاه الثقة فعينه وزيرا في وزارة الثورة فخدم اثناء عمله الوزاري الشعب الكردي والقوى الديموقراطية والتقدمية العراقية دون ان يقطع علاقاته او يضعف ثقته بالضباط الاحرار من القوميين العرب المعارضين للمرحوم عبدالكريم قاسم.

وبعد ثورة ١٤ تموز التحررية المجيدة وثق كاكه فؤاد صلاته بالمرحوم الخالد الجنرال مصطفى البارزاني حتى أصبحا صديقين قريبين من بعضهما البعض يتبادلان الزيارات المنتظمة ويتناقشان معا في قضايا هامة تهم الوطن العراقي والشعب الكردي.

كذلك وثق علاقاته مع الحزب الديموقراطي الكردستاني عن طريق صديقه العتيد الاستاذ الخالد ابراهيم احمد وكان نصيرا ومؤيدا للحزب ومدافعا عنه لدى رئيس الوزراء والوزراء.

عندما شن الفريق عبدالكريم قاسم حربه الطائشة ضد الشعب الكردي قدم استقالته من الحكومة ورفض تحمل اعباء واوزار الحكومة، ولم يستمع الفريق قاسم لنصائحه الاخوية المفيدة بعدم القتال ضد الكرد بل كسبهم بتحقيق مطاليبهم العادلة والمعقولة مما كان في صالح العراق والحكم والكرد معا.

لقد عرفت كاكه فؤاد شخصيا بعد اجازة الحزب وصدور جريدته اذ زرته مع الاستاذ الخالد ابراهيم احمد وبعض الرفاق القياديين عدة مرات ولكن لم اكن حينئذ من البارزين القريبين من كاكه فؤاد عارف.

ولكن علاقتي توثقت معه في السفرة التي جمعتنا إلى القاهرة والجزائر (ضمن الوفد العراقي) بعد انتصار الانقلاب البعثي -القومي عام ١٩٦٣ فعرفته وعرفني عن كثب وفي لقاءات هامة مع الرئيس الخالد جمال عبدالناصر والرئيس احمد بن بله اللذين اعربا بعد شرحنا المشترك لهما لحقيقة الحركة التحررية الكردية واهداف ثورتها ضمن العراق الموحد، نعم اعرب الرئيسان عن تعاطفهما وتاييدهما لحقوق الشعب الكردي بما فيها الحكم الذاتي ضمن الجمهورية العراقية.

وقد استقال كاكه فؤاد مع المرحوم الشيخ بابه علي الشيخ محمود مرة اخرى من الحكومة العراقية احتجاجا على حربها الظالمة ضد الشعب الكردي ورفضها المطاليب الكردية العادلة.

اذ كان كاكه فؤاد اثناء المفاوضات التي أجراها الوفد الكردي -وكان لي شرف رئاسته مع الحكومة العراقية- مؤيدا صريحا لمطالبنا وكذلك فعل المرحوم بابه علي ايضا.

ومنذ ئذ وكاكه فؤاد -رغم كونه شخصية مستقلة لا حزبية- على صلة وثيقة وتضامن تام وكامل مع الحركة التحررية الكردية والثورة الكردية التي اشترك فيها شخصيا بعد شن الحكم البعثي الاول حربه عليها وظل فيها إلى انهاء الثورة، حيث كان مؤيدا قويا لاستمرار النضال.

ومنذئذ وكاكه فؤاد يواصل مسيرته النضالية والوطنية مدافعا عن حقوق شعبه الكردي ومدافعا عن الحل العراقي لقضيته العادلة ومدافعا عن الوحدة الوطنية العراقية معربا عن اجتهاداته بصراحته المعهودة.

لذلك كله فقد استحق كاكه فؤاد حب وتقدير واحترام الشعب الكردي والقوى الوطنية العراقية التي عرفته مدافعا عن العراق والشعب العراقي ولدى اخوانه من الضباط الاحرار الذين كان منهم.

وقد اختير مرارا من قبل الشعب الكردي والحكم العراقي وسيط خير ومحبة. وهو اذ يدخل عامه التسعين بعد مسيرة نضالية مشرقة وعمر مديد حافل بالوطنية والامجاد الوطنية والاخلاص والوفاء لاصدقائه وشعبه وخلانه انما يعطي مثالا رائعا للانسان المتعلق بشعبه ووطنه والتمسك بالقيم الانسانية والاخلاق النضالية.

فعمرا مديدا لعزيزنا كاكه فؤاد عارف المبجل مع التمني لان يحتفل بصحة وعافية بعامه المئوي في عراق ديموقراطي برلماني فيدرالي موحد ومستقل.

وهنيئا للعراق وكردستان بكاكه فؤادهما العزيز.

رسالة كوسرت رسول علي

. أيضا علاقات أخوية متينة بالسيد كوسرت رسول علي، فقد ظل يشاركني كل أفراحي وأتراحي بجوارحه منذ زمن ليس بالقصير، كما انه طالما زارني، وأزوره بين الحين والآخر، وأود هنا ان أستشهد بمضمون إحدى رسائله الطافحة بالمشاعر الأخوية بعثها لي باللغة الكردية إلى بغداد بتأريخ السابع والعشرين من تشرين الأول عام ٢٠٠٢، أي قبيل إنهيار النظام، وذلك في سياق جهودي الحثيثة لتمتين العلاقات بين الحزبين الكرديين الرئيسين «الحزب الديمقراطي الكردستاني» و«حزب الإتحاد الوطني الكردستاني»، وفيما يلي نص جوابه باللغة العربية:

«عمي الكبير والمحترم والعزيز فؤاد عارف تحية حارّة.

أسال عنكم وأتمنى ان تكونوا دوما سعداء، وان تتمتعوا بصحة جيدة، ويديمكم المولى للكرد وكردستان. شكري الجزيل على رسالتكم. لا ريب في أن توحيد البيت الكردي وخطابه السياسي فى هذه المرحلة مهمة وذلك من أجل أن تكون لنا حصتنا في الحكومة المركزية وان نضمن الفيدرالية للكرد وكردستان.

كل الظروف مؤاتية للكرد والديموقراطية ويعتمد (مستقبلنا ـ ك.م.) علينا، ولله الحمد فقد توصلنا جميعا الى قناعة مطلقة بأننا معا نكون فى أفضل وضع، وان لا قيمة لأي منّا لوحدهِ. اكرر احتراماتي.

سلامي للأخ ألدكتور(١) و ألآخرين

ألتوقيع
إبن أخيكم
كوسرەت
٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٢

---

(١) يقصد صاحب الرسالة معد هذه ألمذكرات الذي تربطه به علاقات ودية منذ سنوات طوال، ولقد إعتمد عليه الأستاذ فؤاد عارف فى كتابة جميع رسائله السرية إلى ألقادة ألكرد.

وقبل ذلك إستلمت من ألأخ كوسرەت رسول علي، بتأريخ السادس من شباط عام ١٩٩٩ رسالة أخرى رقيقة فيما يأتي نص ترجمتها:

«عمي الكبير و المحترم جناب كاك فؤاد

تحية حارة.

نسأل عن صحتكم كثيرا، نتمنى أن تكونوا دوما بعافية تامة.

تحياتنا ألحارة للجميع، و لاسيما كاك دكتور كمال[١] و ألاستاذ مسعود محمد و كاك خسرو[٢] وهنا ألجميع يبلغونكم تحياتهم، أسعدني إستلامي لرسالتكم كثيرا، نحن مستعدون لتنفيذ أوامركم و طلباتكم كافة. نتمنى بعونه تعالى أن نلتقيكم ربيعا في كردستان وفي وضع أفضل.

أكرر إحتراماتي.

ألتوقيع

إبن أخيكم

كوسرت

٦/ ٢ / ١٩٩٩.

هكذا كنت أتعامل مع الجميع من أجل أمتي ألتي آمنت بحقها الطبيعي في الحياة الحرة الكريمة، الأمر الذي إنعكس في نتاجات عدد من الشعراء العراقيين الكرد والعرب كما نلاحظ ذلك في الفصل الآتي من هذا الجزء من مذكراتي.

---

(١) مّرة أخرى يقصد صاحب الرسالة معد هذه ألمذكرات.

(٢) يقصد صاحب الرسالة ألمرحوم خسرو توفيق شقيق دارا توفيق الأكبر الذي إغتالته ألمخابرات العراقية في أواخر سبعينيات ألقرن ألماضي.

گەورەی بەڕێز و خۆشەویستمان جەنابی مام فوئاد

سڵاوێکی گەرم

زۆر هەواڵتان ئەپرسم ئومێدەوارم هەمیشە لە خۆشی دابن و

تەندروستی تان باشی بۆمان بمێنێ بۆ کورد و کوردستان

زۆر سوپاس بۆ نامەکەتان. بە تاکید یەکێتی بوونی ماڵی کوردی و

خطابی سیاسی کورد لەم قوناغە دا بۆ ئەوەی لە داهات و

بەشی خۆمان هەبێ لە حکومەتی مەرکەزی و فیدرالیەتیش بۆ

کورد و کوردستان.

وتەکانی هەموو لە بەرژەوەندی کورد و دیموکراسیەت دایە

دەمێنینەوە سەر خۆمان سوپاس بۆ خوای خۆمانیش

هەموو لایەکی کە پێکیتینە ئەو قوناغە تە هەموومان بەیەکەوە

شتێ و چیانێن کەس بە تەنها لێی نیە

دووبارە سوپاسمان هەیە

برادەرتان
نەوشیروان
٢٠١٢/١/٢٧

ت

سڵاوم هەیە بۆ کاکە دکتۆر
هەموو لایەکی

گەورەی بەڕێز جەنابی کاک نەوشاد

سڵاوێکی گەرم

زۆر حەواڵتان ئەپرسین ئومێدەوارین هەمیشە تەندروستی تان باش بێ.

زۆر ڕێزو سڵاومان هەیە بۆ هەردوو لایەک تایبەت کاکە د. کەمال و مامۆستا مەسعود محەمەد و کاک خەسرەو لێرەش هەردوو لایەک سڵاو و ئیحتیرامات یان هەیە بۆ جەنابتان.

زۆر خۆشحاڵ بووم بە گەیشتنی نامەی جەنابتان هەر کارو فەرمانێک تان هەبێ لە خزمەت داین.

إن شاء اللە لە بەهارا بە خزمەت تان ئەگەین لە کوردستان لە بارو دۆخێکی باشتر.

دووبارە ڕێزمان هەیە.

براتان
یوسف

١٩٩٩/٤/٦

الفصل الخامس

فؤاد عارف في ميزان الشعراء

كلمة تمهيدية

أتوقع أن يكون هذا الفصل أصغر فصول مذكراتي، لكنه أغلب الظن يجلب أنظار القارئ الكريم بصورة خاصة. و أود أن أشير بالمناسبة إلى أنني لم أكن أميل كثيراً إلى حفظ الشعر على الرغم من تذوقي لقراءته و الإستماع إليه، و رغم إعتزازي بالشعراء و صداقتي للعديد منهم، خصوصاً للشعراء ألكرد ألذين تغنّوا بجمال وطنهم، و دافعوا عن حقوق شعبهم، وكنت أعرف العديد منهم من أمثال پيرەميرد و الشيخ نوري الشيخ صالح اللذين كانا في زماننا من المسنين، إلاّ أننا كنا من أشد ألمعجبين بحسهما الوطني و قصائدهما الجياشة. ومنذ ثلاثينيات ألقرن الماضي أصبح ألشاعر القومي الجريء فائق بيكەس من أقرب أصدقائي، كنت أعتز غاية الإعتزاز بمواقفه و تحدياته ألتي بلغت حد تحدي البريطانيين في حفل جماهيري في ألسليمانية حضره مستشار وزارة ألداخلية العراقية يومذاك ألمستر أدموندس الذي غادر الحفل إحتجاجاً، و من المفيد أن نشير إلى أن أدموندس نفسه أصبح متخصصاً معروفاً في ألدراسات ألكردية. وقد بلغت علاقاتي الأخوية بألمرحوم بيكەس حد أن إشتركت معه في خطبة نجله شيركو الذي يعد حالياً أحد أشهر شعراء الكرد ألمبدعين، وفعلاً تعجبني طريقة إلقائه الأخّاذ لقصائده، و فرحت كثيراً عندما علمت في ألاونة ألاخيرة بلقاء قناة ألعربية التلفزيوني الطويل معه، وقد إلتقيت شيركو غير مرةً. كما أعتز بجميع ألشعراء الكرد المعاصرين من الشباب، و لا أخفي إعجابي ألشديد بقصيدة «ألجندي المجهول» (سەربازی ون) للشاعر عبدالله پەشيو، إنها هزّتني من الأعماق.

وفي السياق نفسه كانت تربطني علاقات طيبة بالشاعر ألتقدمي ألمعروف المرحوم عبدالله گوران ألذي إلتقيتُه مراراً سواءً قبل ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨، أو في غضون ألسنوات القليلة التي أتبعتها، فقد وافاه ألأجل في مطلع ستينيات ألقرن الماضي. ينطبق ألقول نفسه على الشاعر الخالد هژار الموكرياني الذي أستحق لقب شاعر ألثورة و البارزاني.

في الوقت نفسه كانت تربطني علاقات جيدة مع الشاعر ألمعروف محمد مهدي ألجواهري الذي كان كثير التردد على مجلس إبن عمتي ألمرحوم حافظ جميل، كما إلتقيت في المجلس نفسه ألشاعر السوري الكبير نزار ألقباني. و عندما كنت متصرفاً في كربلاء

في ألعام ١٩٥٨ أصبحت لي علاقة أخوية وطيدة مع الشاعر الشهير ألشيخ محمد علي أليعقوبي الذي كان يحظى بإحترامٍ كبيرٍ في الأوساط الدينية و الفكرية و الأدبية، وفي تلك المرحلة تكونت لي علاقات قريبة مع الشاعر الشيخ الوائلي.

صورتي في بعض ألقصائد باللغة العربية

قدر لي أن تنعكس صورتي و أصداء بعض من أعمالي في عددٍ قليلٍ من القصائد باللغة العربية. فأن الصديق طالب رستم، وهو شاعر كردي فيلي مبدع ينتهج في نتاجه الشعري نهج ألجواهري، كتب عنّي قصيدتين، الأولى بعنوان «إبتهال» و قد كتبها بتأريخ ألسابع والعشرين من كانون الأول عام ٢٠٠١ بمناسبة شفائي من مرضٍ مفاجىء، فيما كتب ألثاني بتأريخ ألثاني عشر من أيلول عام ٢٠٠٣ بمناسبة بلوغي التسعين من عمري، و سماها «تحيةً إلى ألأستاذ الجليل فؤاد عارف في عامهِ التسعين مع الدعاء بمديد العمر و الصحة و العافية» (ينظر نص القصيدتين في الصفحتين ٣١٥ و ٣١٦).

وقد كتب ألشاعر العربي ألقاضي إسماعيل إبراهيم العاني في الثلاثين من تشرين الأول عام ١٩٩٤ قصيدة مطولة بعنوان «مرحى أبا فرهاد»، وهي تقع في خمس صفحات من الحجم ألكبير، و إستهلها بعبارةٍ يقول نصها:

«هي تحية إعجاب و تقدير و إكبار فاضت بها المشاعر نتيجة ما اطلعت عليه مما كتبه السيد فؤاد عارف أو نشر بكل صدق و أمانة».

إستهل ألعاني قصيدته بالبيتين الآتيين:

أفؤادُ يا إبن الطيبين جدوداً   أكرم بنهجك سيرةً وعُهودا
ما كنت إلاّ نفحةً علويةً   هي والهدى قد عزّزا التمجيدا

و اختتم العاني قصيدته بالأبيات الثلاثة الآتية:

«مرحى أبا فرهاد أنت أجلّ مَن   أوفى و عاش بنهجه محمودا
أنصفت فيما قُلت كل فضيلة   وكذاك كنت مع الحميدِ حميدا
فلك التحيُة تَزدهي من معجبٍ   حَيا بِك الإكبار والتمجيدا»

الى الاستاذ الفاضل السيد فؤاد عارف المحترم

تحية وابتهال بمناسبة شفائه، ولله الحمد.. أدامه الله ذخراً لأمته ومحبّيه.

(إبتهال)

إسلمْ لنا يرعاكَ ربٌّ راحمٌ ... فقلوبُنا بدعائها تتكاتفُ

إسلمْ فإنّكَ للصّحاب وشملِهمْ ... ظلٌّ ظليلٌ مستفيضٌ وارفُ

يحميكَ من يحمي الأنامَ بلُطفِه ... ذاكَ الرؤوفُ المستطيعُ المُنصِفُ

تعبُ السّنينِ العاتياتِ تراكمتْ ... همّاً - يُصارعُه «فؤاد عارفُ»

فَلكَمْ تحملتَ الأسى وجراحَهُ ... ودهتْكَ من ريحِ الزّمانِ عواصفُ

ولقد خبِرْتَ صروفَها وشجونَها ... عبْرَ «الثمانين» التي بكَ تشرُفُ

وسموتَ تشمخُ عزةً وصلابةً ... وتأسّياً، وتصبُّراً به تُعرَفُ

فإليكَ يا نبعَ السّماحةِ والنّدى ... والطيبِ، من كأسِ السّجايا يُرشَفُ

... نجوى ضميرٍ - بالشفاءِ - دُعاؤُهُ ... ورجاؤُه من «طالبٍ» لكَ يهتفُ

المخلص لكم
طالب عبد المجيد رستم
٢٧/ ١٢/ ٢٠٠١ بغداد

تحيّةً الى الأستاذِ الجليل (فؤاد عارف) في عامِهِ التسعين
مَعَ الدّعاء بمديد العمرِ والصّحةِ والعافِيَة.

مَن يُضاهي فِيكَ شِعري والمَقالا
إذْ أُحيّي مِنكَ خُلقاً وخِصالا

وَطِباعاً فاحَ مِن أنسامِها
أرَجُ الطّيبةِ والحِلمِ وسالا

إذْ أُحيّي رَجُلاً ذا عِفّةٍ
نَذَرَ التّسعينَ لِلخيرِ فِعالا

وَتَسامى عِبرَها في رِفعَةٍ	مَلأتْ جَنبَيهِ نبلاً ومِثالا
فهنيئاً لَكَ في أفيائِها	حكمةً. دفأً وَقاراً وجَلالا
يَترامى اللّطفُ في مجلِسِكُمْ	رِقّةً تُضفي من الودِّ الظِلالا
والمروءاتُ لَديكُمْ شِرعَةٌ	وَالسّجايا الغُرُّ يبلُغنَ الكَمالا
كُنتَ للكُردِ (فؤاداً) (عارِفاً)	مايُعانيهِ ومايرجوهُ حالا
كُنتَ لِلحقِّ نَصيراً دائماً	تَعشَقُ العَدلَ وتهوى الاعتِدالا
وَتَرفّعتَ على ساحَةٍ	لم تَجِدْ فيها الى الخيرِ مَجالا
خُضتَها عُمراً وفي ارجائِها	عِشتَ تأريخاً ومجداً ونِضالا
يانَبيلاً لَمْ تَزَلْ أحلامُهُ	تتغنّى لِذُرى الكُردِ ابتِهالا

١٢/٩/٢٠٠٣
طالب رستم

ألفصل ألسادس

مذكرات فؤاد عارف في وسائل الإعلام

كلمة تمهيدية

أشرنا في مناسباتٍ مختلفة إلى ردود ألفعل الإيجابية التي أثارتها موضوعات الجزء الأول من هذه المذكرات في شتى وسائل الإعلام المرئية و غير المرئية و باللغتين العربية و الكردية، ونحاول فيما يأتي عرض نماذج مما قالته تلك الوسائل بإختصار شديد. أود أن أبدأ بما نشرته مجلات عربية غير عراقية، تأتي في المقدمة منها جريدة «الراية» القطرية التي نشرت بترتيب مع جريدة «الخليج» الإماراتية لقاءً صحفياً مطولاً معي في عددين متتالين إختارت له عنواناً معبراً هو «ملف القرن ألعشرين»، وقد أجرى اللقاء السيد عصام فاهم ألعامري(١)، وفيما يلي أهم عناوين ألحلقتين:

«أللواء فؤاد عارف محمود، تجربتي مع الملك غازي و عهود عبدالكريم قاسم و الأخوين عارف، كان الملك غازي رفيق دورتي في ألكلية العسكرية، الملك غازي كره الأنجليز بسبب معاملتهم المهينة لجده ألشريف، الكلية ألعسكرية كانت تعامل الأمير غازي بقسوةٍ خاصة، ألملكة عالية أشارت على الملك غازي لإختياري مرافقاً شخصياً له، رجالات الدولة كانوا موالين للإنجليز أكثر من ولائهم للدولة العراقية، الملك غازي كان يريد خلق جيل متحرر من عقدة الأجنبي، بكر صدقي حمل رسالتين إلى هتلر و موسوليني لكنه أغتيل قبل سفره و اختفت الحقيبة، ألملك غازي التقى حكمت سليمان مرة واحدة بواسطتي، كان الملك غازي واثقاً من أن الإنجليز يريدون إغتياله بعد إغتيال بكر صدقي، الإنجليز إغتالوا بكر صدقي لأنه كان منحازاً إلى سياسة المحور، لم يكن ألملك غازي مترفاً لا في ماله ولا في طعامه ولا في ملبسهِ وكان راتبه ٨٠٠ دينار، عبدالكريم قاسم لا يصلح أن يقود دولة و عبدالسلام عارف حقود ومتسرع و غير متوازن، عرضت على نجيب الربيعي المشاركة في حركة ١٤ تموز فرفض، قاسم كان يحكم الدولة كمن يدير لواءً عسكرياً، ألخلاف بين عبدالكريم قاسم و عبدالسلام عارف ظهر منذ الأسابيع الأولى للحركة، قاسم تمادى في إتهام ألآخرين بالتآمر و إحالتهم على محكمة ألشعب، جعلتنا الأيام نشهد أحكاماً بإعدام من أسهموا بالحركة أو أعدوا لها وكانوا زملاءً لقاسم، قاسم لم يكن ميالاً للإعدام لكنه وقع تحت تأثير الحزب الشيوعي، قلت لقاسم: محكمة المهداوي باتت مهزلةً ليست إلاّ، قاسم كان أضعف

---

(١) عصام فاهم ألعامري، ملف القرن ألعشرين، الراية، ألحلقة الأولى، العدد ٦٤٤١، ٢٦ ديسمبر ١٩٩٩، ص ١-١١، ألحلقة الثانية، ألعدد ٦٤٤٢، ٢٧ ديسمبر ١٩٩٩، ص ١-١٠.

من أن يتصدى للحزبية في الجيش لأن الأمر خرج من يده، عاش الجيش حالة فوضى و ضعفٍ لم يعرفها في حياته منذ تأسيسه، سمعت قاسماً يقول: «أنا شيخ المتآمرين»، لم يعرف قاسم أن يتصرف مع ألمطامح القومية المشروعة للشعب الكردي، رفض قاسم أن يرسل محمد الشواف[١] أو يرسلني إلى كردستان للتوسط معتبراً ذلك من صلاحياته، قاسم وضع قانون الإصلاح الزراعي على عجلٍ ليسحق الزعامات الإقطاعية عرفت بإنقلاب رمضان ١٩٦٣ من خلال إتصال أحمد حسن البكر و طاهر يحيى بي، كان جمال عبدالناصر يؤيد ألحكم الذاتي للشعب الكردي، طاهر يحيى أفضل من قاسم والأخوين عارف، إستقلت من حكومة عارف لإصراري على تأليف وزارة ألشمال».

و في الوقت نفسه نشرت صحيفة «الخليج» الملف نفسه للصحفي عصام فاهم ألعامري وتحت عناوين جذابة من قبيل:

فؤاد عارف رجل كل ألعهود و الملك غازي كان يريد خلق جيلٍ عراقي متحرر من عقدة الأجنبي و عارف أصيب بداءِ ألعظمة لأنه هو من دخل بغداد و أذاع البيان الأول للحركة و فؤاد مع مسعود البارزاني في أربيل ١٩٩٨ ونائب الرئيس العراقي آنذاك صدام حسين يتوسط مصطفى البارزاني و ألواء عارف في ١١/٣/١٩٧٠، سامي عبدالرحمن وزير شؤون ألشمال (١٩٧٠) و علي كمال و فؤاد عارف و قال لي قاسم: أنا فرضت عبدالسلام عارف على تنظيمات الضباط الأحرار و قاسم صرخ بعارف: لقد خنت ألثورة من يومها الرابع و أسرار الصراع بين قاسم وعارف و الشيوعيون و الديمقراطيون والحزب الكردستاني كانوا مع قاسم و حزب ألبعث و الأخوان ألمسلمين دعموا عارف و قاسم و وزير الداخلية أحمد محمود يحيى و فؤاد عارف و ناجي طالب رئيس الوزراء الأسبق و أحمد محمد يحيى وزير الداخلية ألسابق و أثناء إفتتاح مطار ألبصرة ويظهر الملك غازي و رئيس الوزراء جميل المدفعي و الكولونيل ورد مدير ألموانيء[٢]. كما نشرت صحيفة «ألقبس» الملف نفسه و للصحفي نفسه في عددين متتاليين مع مجموعة نادرة من ألصور مع تعليقات معبرة من قبيل:

بريطانيا طالبت غازي بعدم ألتطلع إلى الكويت و كرديّتي أثارت تساؤلات فرّد ألملك: لا

---

(١) ألمقصود الدكتور محمد الشواف ألذي كان يشغل حقيبة وزارة الصحة في عهد عبدالكريم قاسم.

(٢) عصام فاهم العامر، ملفات ألقرن العشرين، «الخليج»، ألعدد ٧٥٢٥، الأحد، ٢٦ ديسمبر ١٩٩٩، ص ١-١٠، العدد ٧٥٢٦، الأثنين، ٧٢ ديسمبر ١٩٩٩، ص ١-١١.

خلاف بين كردي و عربي في هذا ألوطن و طبيب القصر سندرسن لعب ألدور السياسي في ثوب صحي و ألإنكليز طاردوا ألملك غازي بالشائعات وعندما قُتل أوقفوها و فؤاد عارف و لقاء حديث مع الطالباني حول ألمسألة ألكردية وقصر ألزهور مقبرة الملوك و ألقتل و الإغتيال و إمرأة شقراء عطلت التطبيع بين ألملك غازي والبريطانيين و ألاشوريون طالبوا حكومة ألملك بالحكم ألذاتي و عبدالإله تولى ألوصاية على عرش ألعراق وهو متشائم و خائف و ألملك غازي لدى زيارته قبر والده فيصل الأول في مقبرة الأعظمية و آفة الإنقلابات تنهش ألعراق و نشاطي في «حزب هيوا» و قاسم (إلى اليمين) و عارف قادا الإنقلاب و تعاقدا على ألغدر ببعضهما (صورة خاصة من أرشيف «ألقبس» و السفير الأميركي سأل قاسم: هل حصلت على تأييد علماء ألنجف و الملحق العسكري المصري يبرق لعبد الناصر: عارف سيتخلص من قاسم إذا رفض الوحدة و عارف أشهر مسدسه بوجه قاسم و تذرّع بأنه كان يريد الأنتحار و إعدام عبدالكريم قاسم و أنصاره على يد إنقلاب ألبعث ١٩٦٣ و الصباغ و عارف تأثرا بالمد القومي و قاسم انتمى لمدرسة بكر صدقي و إقتحام قصر الرحاب بالآليات و الجنود، إشترطت لسحب إستقالتي إعلان الانتخابات البرلمانية و كبار الانقلابيين ابلغوا عارف: نحن قمنا بالثورة فكيف نسلمها للمدنيين؟(١).

تقييم رائع لصحيفة ألزمان

نشرت صحيفة «الزمان» التي تصدر منذ أواخر القرن الماضي عن «مؤسسة الزمان للصحافة والنشر والمعلومات» في البصرة و بغداد ولندن و المنامة، مقالة مفصلة تشغل صفحة كاملة من عددها الصادر في التاسع من آيار عام ٢٠٠٥ وفي صفحة «الوثائق» تحديداً وللكاتب العراقي المعروف حميد المطبعي بالعنوان الآتي: «فؤاد عارف، شهادة أمينة على تاريخ العراق المعاصر، عبدالناصر أعجب برزانته و قال له: أنت رسالة الكُرد في الحرية»(٢).

وردت في مقالة الأستاذ المطبعي تعليقات تنتمي إلى الأدب الرفيع العربي، بما في ذلك تعليقاته على الصور النادرة التي نشرها مع مقالته، وهي كالآتي:

١- صورة الشيخ محمود البرزنجي بملابسه الكردية، وكتب المطبعي تحت الصورة

---

(١) «ألقبس»، الكويت، العدد ٩٥٢٨، الاحد، ٢٦ ديسمبر ١٩٩٩، ص ١-٨، العدد ٩٥٢٩، الاثنين، ٢٧ ديسمبر ١٩٩٩، ص ١-٩.

(٢) تُنظر: «الزمان»، السنة السابعة، العدد ٢١٠٥، الأثنين، ٩ آيار ٢٠٠٥، ص ١٤.

التعليق الآتي:

«الزعيم محمود الحفيد أول المبشرين في أُذن فؤاد عارف».

٢- صورة البارزاني بملابسه العسكرية في جمهورية كردستان عام ١٩٤٦، وقد كتب المطبعي تحتها العبارة الآتية:

«الزعيم الخالد ملا مصطفى البارزاني: «فؤاد أنت دعامة للأكراد».

٣- صورة خالي ماجد مصطفى بملابسه الكردية، وكتب المطبعي تحتها التعليق الآتي:

«خال فؤاد عارف السيد ماجد مصطفى: يا فؤاد تعلم إنّ مدرسة الأكراد لا تُخرِج إلاّ الفُرسان».

٤- صورتي مع المرحوم الملك غازي بملابس أدميرال بحري، وأنا واقف خلفه بملابسي المدنية، وقد كتب المطبعي التعليق الآتي تحتها:

«الملك غازي و خَلفه فؤاد عارف في حفلة إفتتاح مطار البصرة سنة ١٩٣٨».

٥- صورتي مع عبدالكريم قاسم بملابسي المدنية، وقد كتب المطبعي التعليق الآتي إلى جانبه:

«عبدالكريم قاسم و فؤاد عارف وإسماعيل عارف في إحتفال تمّوزي».

وفي مقالته يشيد المطبعي بأهم المؤثرات في حياتي، بما في ذلك ما يسميه بمناخي الأسري وتأثري بالملك غازي و بالضباط الأحرار وما إلى ذلك. وفي ختام مقالته يقول ما نصه:

«وفؤاد عارف لم يكتب كتاباً في العسكرية ولا غيرها، لأنه خلق ليؤدي دوراً إنسانياً هو غير دور الكتابة على كل حال، وكان دوره الانساني لايقل شأناً عن دور الكاتب...

دوره أن اغلق مفاتيح كانت تحُدث شرّاً، و دوره أن هّيأ مفاتيح أخرى فتحت له مثالية تأريخية، لكنه كتب مذكراته في عدّة أجزاءٍ، صدر الأول منها في العام ٢٠٠٢ وفي طبعتها الثانية بمقدمة و تهذيب الدكتور كمال مظهر أحمد، وكانت الطبعة الأولى قد تمّت في العام ١٩٩٤ بصياغة الباحث الأديب الدكتور بدرخان السندي. ومذكراته هذه يرى المرءُ في ثنياتها، كما ذهب المؤرخ كمال مظهر «رجل مبدأ شفاف لا يسعه إلاّ أن يحبّه لما يحمل من خصالٍ طيبة فرضته على السياسة من دون أن يبحث هو عنها...»».

ولقد أكمل الدرب، ونال وسام الحقيقة!».

وثائق

فؤاد عارف.. شهادة امينة على تاريخ العراق المعاصر

عبدالناصر اعجب برزانته وقال له: أنت رسالة الكرد في الحرية

الزعيم محمود الحفيد اول المبشرين في اذن فؤاد عارف

خال فؤاد عارف السيد ماجد مصطفى: (يا فؤاد.. تعلم ان مدرسة الاكراد لا تخرج الا الفرسان)

صريحاً نقب
لذه انعكست
ي والمعيات

الزمان

14 الزمان - السنة السابعة - العدد 2105 الاثنين 30 من ربيع الاول 1426
Arabic Daily Newspaper Vol/7. Issue 2105 Monday 9/5/2005

فؤاد عارف دخل السجن مبتسماً

فؤاد عارف طالبا في
الكلية العسكرية

الملك غازي وخلفه
فؤاد عارف في
حفلة افتتاح مطار
البصرة سنة ١٩٣٨

الزعيم الخالد ملا مصطفى البارزاني: (فؤاد انت دعامة للأكراد..)

عبدالكريم قاسم وفؤاد عارف واسماعيل عارف في احتفال تموزي

تقييم أكاديمي

عرض الأستاذ الدكتور محمد كامل الربيعي الأمين العام المساعد لإتحاد المؤرخين العرب في مقالة معبرة الجزء الأول من مذكراتي، وقد استهل مقالته على النحو التالي:

«تعود علاقتي بمذكرات الأستاذ فؤاد عارف إلى فترة أسبق من صدورها عام ١٩٩٩، إذ أعطاني نسخة منها مجّلدة على ما أذكر بجلدٍ قهوائي، وطلب مني أن أقرأها خلال أقل من أربع و عشرين ساعةً، وأن أعيدها له في اليوم التالي حتماً، فما كان مني إلاّ أن أبدأ بقراءتها بعد صلاة العشاء و سهرت معها إلى منتصف أللیل رغم إني أحرص على عدم قراءة أي دراسة أو بحث أو كتاب بعد ألساعة الثانية عشرة ليلاً لكي لا يؤثر ذلك على أدائي لصلاة الليل أو صلاة الصبح اللتين احرص عليهما منذ زمن ليس ببعيد فوجدت أن هذه المذكرات تكتسب أهميتها من طبيعة و شخصية كاتبها، فالصدق يتجلى فيها بأعلى درجاته، و ألدقة تنبع من تتبع الأحداث بثنائية عالية، و اهتم كاتب المذكرات بتقدير

الشخصيات و معرفة ظرفها وعدم التجني عليها أو غمط حقها، و حرص على أن لا يغالي في دوره أو أن يعطيه ما لا يستحقه و تلك لعمري واحدة من أهم مزايا الأستاذ فؤاد عارف.

استمتعت بقراءة هذه المذكرات كثيراً، فقد وجدت نفسي في حديقة غنّاء أقطف من ثمارها ما اشتهي، وكنت انتقل من حدثٍ لآخر دون كلل أو ملل، فحتى التكرار فيها غير ممجوج، ولغتها سلسة، اقترن الذاتي فيها بالموضوعي، لا مبالغة فيها ولا تهويل، فلم يصور كاتبها نفسه فوق الأحداث أو اكبر منها و إنما كان جزءاً لا يتجزأ منها، كتب ما له و ما عليه دون تزويق أو رتوش، فجاءت مذكراته صورة واقعية لما كان شاهداً حياً عليه... فهو رجل صادق مع نفسه، محّب للخير و يسعى من أجله سعياً حثيثاً و جاداً، يكره ألنفاق وأهله، لا يجامل على حساب ما يعتقده صحيحاً، ويملك ذاكرة حيّةً وبصيرة ثاقبة، فهو يتذكّر أسم عامل البدالة في القصر الذي كان يعمل مرافقاً أمنياً للملك غازي، وهو لا يتردد في قول الحق أمام اعتى المستبدين في التاريخ المعاصر من الذين يبحثون عمّن يمدهم بما ليس فيهم، فكيف بمن يُشخص لهم علل المجتمع الذي أصبحوا قسراً مسؤولين عنه في غفلة من الزمن. أتذكر إننا في معهد التاريخ العربي كلّفنا الأستاذ فؤاد عارف لإلقاء محاضرة عن النظام الملكي وعمله مع الملك غازي وما إلى ذلك من أحداثٍ عاصرها، فأعتذر بشفافية عن ذلك و طلب من طلبة مرحلة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ان يسألوه ليدلو بدلوه، فأستغليت مسؤوليتي الإدارية و تقديمي لشخصه ألكريم وسألته عن تقييمه لطبيعة ألنظام الملكي وتتابعت أسئلة الطلبة، وكان ذلك على ما أتذكر في العام ألدراسي ١٩٩٦-١٩٩٧، فأجاب إجابات صريحة و دقيقة و أمينة و صادقة على أحداث التاريخ حتى تعجب بعض الطلبة من إجاباته و إعتقدوا إنها أقرب إلى الخيال... فقلت لهم:

ان الأستاذ فؤاد عارف يمثل الكردي الأصيل، فهو صلب القلب، نقي السريرة، لا يكذب...».

ويمضي الدكتور محمد كامل الربيعي في تقييمه للجزء الأول من مذكراتي ليقول:

«وختاماً أقول أن مذكرات فؤاد عارف في جزئها الأول خلاصة من الثمرات الطيّبات التي تستلهم الماضي القريب وتمزجه مع الحاضر المعاش لنستفيد منها في بناء مستقبل وضّاء، وهي تجّسد قول المفكر والفيلسوف الإنساني أفلاطون عندما يقول: «عقول الناس

مدوّنة في أطراف أقلامهم وظاهرة في حُسن إختيارهم».

حقا إننا أمام سجلٍ حافل بالأحداث اختصر فيه كاتب المذكرات زمناً طويلاً عبر صفحات مدونة فأخرج ما شاهده وعاصره من مكنونات عقله الكبير إلى أرض الواقع فلم يكن بخيلاً في إحتفاظه بها لنفسه، و إنما جاد بها للآخرين لتكون درساً وعبرة وتجربة عسى أن يستفيدوا منها، فما أكثر العبر وما أقل الإعتبار!»(١).

تقييم أكاديمي آخر

وفي السياق نَفسه أودُّ الإشارة إلى الموقف الكريم للأستاذ الدكتور عادل تقي البلداوي الذي سَبَقت الإشارة إلى إسمه في مقدمة هذا الجزء من مذكراتي، فأنني أعرفه منذ سنوات طوال، كما أعرف زميله الأستاذ الدكتور عبدالله شاتي عبهول بوصفهما من أفضل أساتذة التاريخ في جامعة المستنصرية، كانا، ولا يزالان يتابعان أخباري بإستمرار، بما في ذلك كل ما يتعلق بمذكراتي. ولن أنسى أن الأول منهما أهدى أحد كتبه الوثائقية المهمة إلى المرحوم جده و إليّ على النحو التالي:

«في الزمن الصعب ينبغي على المرء ان يتأنى في إختيار الرمز ألذي يجسد فعلاً أمجاد الماضي، زادت ثقتي اليوم بوطن الشموخ عندما تصارعت في ذاكرتي أسماء العديد من رموزه الذين أدوا الأمانة بإخلاصٍ من أجل تجاوز ألمحن والصعاب، فأخترت من بينهم جنديين باسلين، حمل الأول) منهما سيفاً عربياً، و الثاني خنجراً كردياً دفاعاً عن حياض الوطن – جدي المرحوم الحاج عبد محمد حسن ألبلدواي الذي اختاره أبناء عشيرته البو صفران في (بلد) رئيساً لهم لطيبته و شهامته و كرمه العربي الأصيل، و اللواء المتقاعد فؤاد عارف ألذي تحدّث في ظل الإحتلال و الإنتداب ومع الملوك و الرؤساء بلسانٍ لم يتوخ منه سوى خير الرافدين وجبالهما، هل وَفيتُ؟، اللهم اشهد! عادل»(٢).

وفي السياق نفسه نشر الأستاذ الدكتور علاء جاسم محمد الحربي في صحيفة «المشرق» عرضاً رصيناً للجزء الأول من مذكراتي قال فيه: «الأستاذ فؤاد عارف العسكري والسياسي العراقي المعروف بالصدق و النزاهة و عفة اليد، إنسان في التواضع

---

(١) تُنظر: «القضية» جريدة يومية سياسية عامة مستقلة، بغداد، العدد ٥٧، الثلاثاء، ٥ تموز ٢٠٠٥، ص ٣.

(٢) عادل تقي البلداوي، مُعتقل العمارة من المدارس الوطنية العراقية في العهد الملكي، مطبعة المعارف، بغداد، ٢٠٠٣، ١٦٦ صفحة.

والبساطة وطيبة القلب، ولّعل هذا هو الذي دفع الملك غازي إبن الملك فيصل الأول لأن يختاره مرافقاً له، كما كان الأستاذ فؤاد عارف من المقربين لرئيس الوزراء عبدالكريم قاسم، وحظي بتقدير صدام، وكان صريحاً معه إلى أبعد الحدود... حتى إنه قال له ذات يومٍ أن المحيطين بك لا يقولون لك ألحقائق دائماً، عليك أن لا تسمع لما يقوله لك عزت الدوري و طه ياسين رمضان...» وبالأستناد إلى المعلومات ألواردة في الجزء الأول من مذكراتي يعود الدكتور الحربي مرة أخرى إلى موضوع العلاقات بين الملك غازي و بيني فيقول:

«أن بعض الضُبّاط العراقيين لم يرق لهم أن يكون مرافق الملك ضابطاً كردياً، وحين سمع الأستاذ فؤاد عارف بذلك طلب من الملك أن يعفيه من منصبه، لكن الملك أمر بتأنيب أولئك الضباط وإتصل بوزير الدفاع جميل المدفعي وقال له إن أحد أسباب إختياري لك كوزيرٍ للدفاع هو الحفاظ على الوحدة الوطنية في العراق و لا أريد أن اسمع أي خلاف بين عربيٍ و كرديٍ في هذا الوطن، وقد أكد الأستاذ فؤاد عارف لكاتب المقال أنه لم يلمس أي شعور مُعاد للقومية ألكردية من جميع حكام العراق بإستثناء عبدالسلام عارف، و المعروف أن الأستاذ عاصر غازي و الملك فيصل الثاني و عبدالكريم قاسم و عبدالسلام عارف وعبدالرحمن عارف و أحمد حسن البكر و صدام حسين».

ويرجع كاتب المقال مرة أخرى، بالإستناد إلى ما ورد في الجزء الأول من مذكراتي إلى موضوع علاقاتي برجال العهد الجمهوري فيقول:

«و يواصل الأستاذ فؤاد عارف تسجيل إنطباعاته عن رجال العراق في العهد الجمهوري، وفي مقدمتهم رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم الذي كان فؤاد عارف من أكثر المقربين إليه، وقد روى لي الأستاذ فؤاد بعض المواقف التي تؤكد مدى ثقة عبدالكريم قاسم به، والمعروف أن الأستاذ فؤاد هو الذي إنتزع المسدس من يد عبدالسلام عارف حين هم بالإنتحار وربما حين أراد قتل عبدالكريم كما ادعى بعد ذلك، وقد بذل فؤاد عارف جهوداً للحيلولة دون إعدام سعيد قزاز أحد وزراء الداخلية في العهد الملكي، وقد وعده قاسم بأن قرار حكم الاعدام لن ينفذ، وان صدوره جاء لإسكات غضب الرأي العام، وأكد قاسم لفؤاد عارف إنه لن يعدم نملة، لكنه لم يف بوعده، كما حاول فؤاد عارف الحيلولة دون إعدام ناظم الطبقچلي و رفعت الحاج سري، ووصل إلحاحُه على قاسم إلى حدٍ أن الأخير مسك بياقة قميصه و دفعه إلى خارج الغرفة و أغلق الباب بقوة. أما عن علاقة

المؤلف مع الملا مصطفى البارزاني فأنها تعود إلى العام ١٩٣٠، ويؤكد المؤلف إن الحركات العسكرية التي شهدتها المنطقة الشمالية في أيلول ١٩٦١ كانت بسبب سوء تصرف عبدالكريم قاسم، و أن الملا مصطفى البارزاني لم يكن يريد الحرب بل أن قاسم سعى إلى إثارة الفتنة من أجل تفتيت الأكراد، وإن المؤلف سمعه يقول «لقد فتّتُ نفوذ الإقطاع في الجنوب بالإصلاح الزراعي ولكن بقي الشمال بيد المتنفذين ولابد من حل هؤلاء».

يتطرق الدكتور الحربي في مقالته إلى جوانب أخرى من علاقاتي بقادة ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ إختارها أيضاً من المعلومات الواردة في الجزء الأول من مذكراتي فيقول: «وكان عبدالكريم قاسم قد اختار فؤاد عارف وزير دولة لشؤون الأوقاف ثم وزيراً للزراعة، وكان قاسم يثق بفؤاد عارف إلى حد إنه دعاه للنوم معه في غرفته الخاصة في وزارة ألدفاع و في فراشه، بينما نام قاسم على الأرض وقال له: «الآن سأنام من غير أن اقبض على زناد مسدسي» لكن الخلاف سرعان ما دّب بين قاسم وفؤاد عارف و بخاصةٍ بسبب موقف قاسم من الأكراد وجملة السلبيات ألتي رافقت عهد قاسم...».

يختتم الأستاذ الدكتور علاء جاسم محمد الحَربي مَقالتُه عن الجزء الأول من مذكراتي بالقول:

«لقد حوت المذكرات معلومات غاية في الأهمية، ولا يسعنا هنا أن نقدم لها ما يغني عن قراءتها و نأمل أن ينتهي أستاذنا الدكتور كمال مظهر أحمد قريباً من تحقيق الجزء الثاني من المذكرات».

وعلى الصعيد الأكاديمي نفسه اسعدني كثيراً عندما علمت أن الصديق العزيز الأستاذ الدكتور حكمت شبر قد استشهد بالجزء الأول من مذكراتي في كتابه العلمي المعنون «الحروب العدوانية وما أفرزته من قروضٍ وتعويضاتٍ بحق العراق»(١).

أعتز أيما إعتزاز أن تحَول الجزء الأول إلى مصدر للباحثين، ونال تقدير الأكاديميين، ومن أجل التوضيح أكثر و تبيان أهمية المذكرات التي تفتقر إليها المكتبة الكردية إلى حد كبير أرجع مرة أخرى وبإختصار إلى رأي آخر للدكتور عادل تقي البلداوي والذي له علاقة بالجزء الأول من مذكراتي، فقد ثمّن عالياً دعوة جريدة «الإتحاد» ألغراء لإقامة

(١) ظهر الكتاب في سلسلة مقالات نشرتها صحيفة «الإتحاد» تباعاً في العام ٢٠٠٧، ومن المقرر طبعها تحت العنوان نفسه في بيروت.

حفل خاص لبلوغي التسعين من العمر فرجع مرة أخرى إلى بعض من المعلومات التي وردت في الجزء الأول من مذكراتي وكتب بالمناسبة قائلاً:

«... وهي دعوة لها دلالات وطنية وعلمية و أخلاقية وإنسانية تجتمع كلها في شخص الأستاذ فؤاد عارف الذي ظّل و لازال إنساناً وطنياً مخلصاً لم يساوم على وطنه أبدا، وظل زاهداً في حياته، مترفعاً عن كل مغريات السلطة.

لقد جلست مع هذا الرجل عدة مراتٍ، وكنت أشعر إني جالس أمام نبيل من نبلاء الزمان، أشم منه رائحة معطرة بأرض بلادي من أقصى جبالها إلى أقصى أهوارها، رجل يكره التعصب و التزمت و الإستبداد، محباً للخير و المحبة والسلام، سعادته تكمن في سعادة الإنسانية جمعاء. له مواقف نبيلة رائعة، فعندما أقامت «جمعية المؤرخين و الآثاريين في العراق» إحتفالية الوفاء للمؤرخ العراقي المعروف الأستاذ الدكتور هاشم التكريتي(١) كان فؤاد عارف حاضراً في هذه الأحتفالية حيث أهدى ساعته الخاصة إلى التكريتي معبراً بذلك عن أروع صورة للوحدة الوطنية.

وعندما ألّفت كتبي الخاصة عن تاريخ العراق المعاصر ساهم الأستاذ فؤاد عارف بدعم شخصي لي وأنا أعرف حالته المادية معبراً بذلك عن دعم نتاجات الشباب العراقي خلافاً لبعض الشخصيات المتنفذة ألتي لم نلق منها أي دعم مادي بالرغم من أن تلك الكتب قد تناولت سيرتها الوطنية!».

يختم البلداوي مقالته بالقول:

«إن الأستاذ فؤاد عارف يستحق منّا كّل الوفاء ونحن أهل له، سائلين ألمولى العليّ القدير أن يمّن عليه بالصحة والعافية والعمر المديد إنه سميع مجيب الدعاء»(٢).

ومن الجدير بالذكر إنني قررت إلغاء الإحتفالية لمناسبة بلوغي التسعين من العمر بسبب إغتيال سماحة آية اللّه السيد باقر الحكيم نجل آية الله العظمى السيد محسن الحكيم

---

(١) الأستاذ الدكتور هاشم صالح مهدي التكريتي أحد أفضل أساتذة التاريخ الحديث والمعاصر في العراق، خريج قسم التاريخ في دار المعلمين العالية سنة ١٩٥٧، نال الدكتوراه في التاريخ في الإتحاد السوڤيتي في أواخر ستينيات القرن الماضي، له العديد من المؤلفات والتراجم القيّمة، يحظى بحب و تقدير طلبته، يحبه صاحب المذكرات إلى حدٍ كبيرٍ خصوصاً أفكاره العلمية النّيرة ونظرته الديمقراطية إلى أخوته الكرد.

(٢) «الأتحاد»، العدد ٥٩٠، الأربعاء، ٢٧ آب ٢٠٠٣.

رحمة اللّه و رضوانه عليهما، وهو ألشقيق الأكبر للسيد عبدالعزيز الحكيم أدام المولى في عمره.

وعلى ألغرار نفسه أولت وسائل الإعلام باللغة الكردية الجزء الأول من مذكراتي إهتماماً إستثنائياً لا بسبب صاحبه، بل بسبب محتوياته، وبحثاً عن الحقائق التاريخية الواردة بين دفتيه. فأن الصحفي الكردي المعروف الأستاذ مصطفى صالح كريم مثلاً إستند في بحث مقارن له إلى ما ورد فيه لإلقاء الضوء على حقيقة تاريخية خامرُه الشك في أسلوب معالجة عدد من زملائه لها(١).

وهنا أكتفي بتسجيل انموذج واحد من عشرات النماذج في شتى وسائل الإعلام الكردية بخصوص الجزء الأول من مذكراتي، فقد نشرت جريدة «كۆمەڵ» (المجتمع) الأسبوعية التي تصدرها «الجمعية الإسلامية الكردستانية» في السليمانية في عددها الصادر يوم الأول من آذار عام ٢٠٠٨ مقالة مفصلة عن الجزء الأول من مذكراتي بالعنوان ألتالي:

«فؤاد عارف – السياسي العراقي الكبير و القديم يقول: إنني جسّدت الأخوة الكردية العراقية في الدستور الجمهوري العراقي»، وقد أجرى أللقاء معي الصحفي آرام علي سعيد ونشره في العددين ٣١٢ و ٣١٣ من الجريدة المذكورة، ولقد تطرّق فيها إلى ما عاصرته منذ ميلادي في مدينة العمارة في سنة ١٩١٣ و دخولي في الكلية العسكرية سنة ١٩٢٨ و تخرجي منها سنة ١٩٣٤ و كيف أصبحت منذ العام ١٩٣٦ و إلى أواخر العام ١٩٣٨ مرافقاً أقدم للملك غازي و كيف تقلَّدت بعد مقتل غازي مناصب مختلفة، بما في ذلك معاون متصرف السليمانية، وقبل ثورة الرابع عشر من تموز مباشرة رقيت إلى منصب آمر اللواء التاسع في الحلة، كما يتطرق أيضاً إلى المناصب ألتي تقلّدتها بعد الثورة مباشرة، بما في ذلك متصرف كربلاء إذ أراد قادة الثورة، ولاسيما شخص عبدالكريم قاسم الإستفادة من علاقاتي الطيبة بأعلام الشيعة لكسب تأييدهم للثورة، وقبل ذلك يتطرق الصحفي الأخ آرام علي سعيد إلى دَوري في حزب «هيوا» (الأمل) القومي الكردي ورئيسه المرحوم رفيق حلمي، واستمر الحزب المذكور يزاول نشاطهُ على المسرح السياسي لغاية العام ١٩٤٤، ثم يتطرق المقال إلى علاقاتي بحكام العراق في العهد الجمهوري و يتوقف طويلاً عند موضوع إتفاقية الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٠ مع نشر صورة

---

(١) «كوردستانى نوى» (كوردستان الحديثة)، العدد ٤٧٠٠، الخميس، ١٦ تشرين الأول ٢٠٠٨، وهي لسان حال حزب «الإتحاد الوطني الكردستاني» وتصدر في مدينة السليمانية.

تاريخية نادرةٍ يظهر فيها كل من البارزاني و صدام حسين يتوسطهما المرحوم حردان التكريتي آمر القوة الجوية و يقف إلى يمين البارزاني المرحوم نوري شاويس و خلفهُ يقف المرحوم صالح اليوسفي، فيها أقف أنا إلى يسار صدام حسين ويقف خلفي مسعود البارزاني ثم علي عبدالله و يقف خلفه المرحوم إدريس البارزاني و بجانبه إسماعيل فؤاد عارف، وتضم الصورة أيضاً كلاً من المرحومين دارا توفيق و عبدالخالق السامرائي و وزير الداخلية سعدون غيدان.

ومن المفيد أن أشير إلى أن هذه الصورة النادرة قد أخذت يوم الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠ في قصر السلام في ناوپردان. وكان آخر أكاديمي اتصل بي هو الدكتور ستار نوري الذي خابرني من بغداد يوم الثامن عشر من تشرين الثاني عام ٢٠٠٨ بصدد معلومات تهمه لأحد دراساته التاريخية الجديدة، وكان ضيفاً على الصديق (الجاري العزيز) في بغداد السياسي المعروف الدكتور محسن الشيخ راضي.

وقبل أن أختتم الجزء الثاني من مذكراتي أود أن أكرّس الفصل الأخير منه لنشر مجموعةٍ من الصور النادرة لي مع العديد من الشخصيات العربية و الكردية العراقية وغير العراقية وهي صور نادرة أعتز بها ومن شأنها أن تلقي الضوء على العديد من الأحداث ألتي تطرقت إليها، لذا إخترت عبارة «صور ناطقة» عنواناً للفصل الأخير من هذا الجزء من مذكراتي.

١٩٧٠ ملا مصطفى البارزاني و صدام حسين قبل التوقيع على اتفاقية ١١ آذار، ويضهر في الصورة كل من «فؤاد عارف، مسعود بارزاني، علي عبدالله، حردان التكريتي، نوري شاويس، وخلفهم الثاني من اليمين اسماعيل فؤاد عارف، الرابع ادريس بارزاني، دارا توفيق، سعدون غيدان، عبدالخالق السامرائي

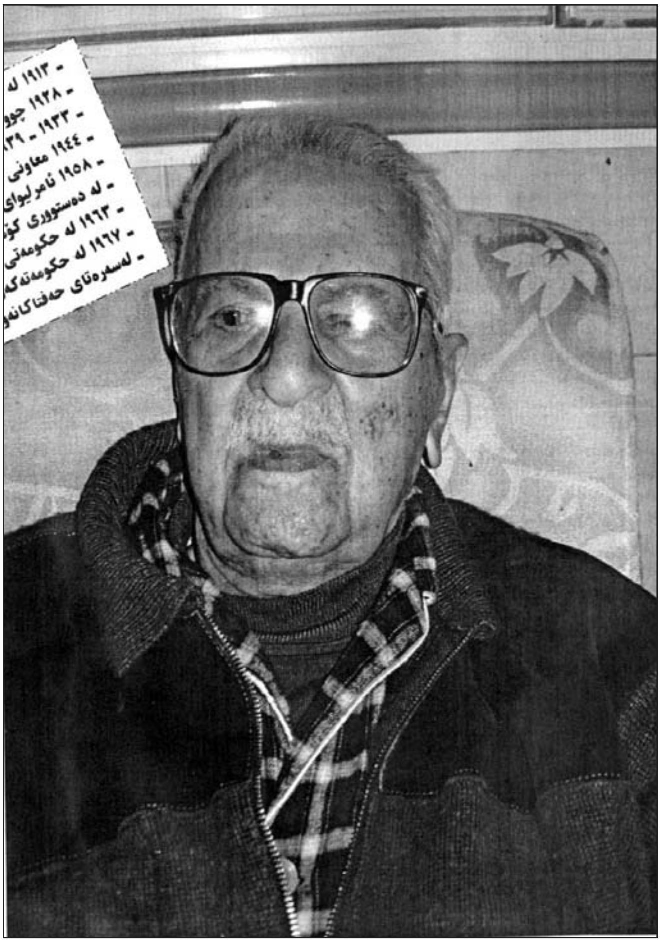
- ١٩١٣ لە
- ١٩٢٨
- ١٩٣٣ -
- ١٩٤٤ معاونی
- ١٩٥٨ ئامرلیوای
- لە دەستووری
- ١٩٦٣ لە حکومەتی
- ١٩٦٧ لە
- لەسەرەتای

فؤاد عـارف

الفصل السابع

صور ناطقة

الزعيم الخالد ملا مصطفى البارزاني، اسماعيل فؤاد عارف، فرياد فؤاد
عارف، فؤاد عارف في حزيران ١٩٧٠ في ناوپردان

فؤاد عارف مع الزعيم الخالد ملامصطفى بعد توقيع إتفاقية آذار في ناوپردان

الصورة من اليمين الى اليسار «فؤاد عارف، مسعود بارزاني، صدام حسين، حردان التكريتي، الزعيم الخالد ملا مصطفى، نورى شاويس، خالد عبدالحليم محافظ أربيل...

وفي الصف الثاني «الثاني اسماعيل فؤاد عارف، الرابع ادريس بارزاني سعدون غيدان، عبدالخالق السامرائي»

فؤاد عارف مع مسعود بارزاني ١٩٩٨

فؤاد عارف مع مسعود بارزاني في (سەری رەش) ١٩٩٨

فؤاد عارف مع الرئيس جلال طالباني ١٩٩٨

الرئيس طالباني مع فؤاد عارف ١٩٩٨

الصورة أعلاه أمام برلمان إقليم كوردستان في العام ١٩٩٨ ويضهر في الصورة رئيس إقليم كوردستان مسعود بارزاني و فؤاد عارف، روژ نوري شاويس، والشهيد سامى عبدالرحمن

فؤاد عارف و علي كمال و بينهما سامي عبدالرحمن في نادي صلاح الدين في بغداد العام ١٩٧١

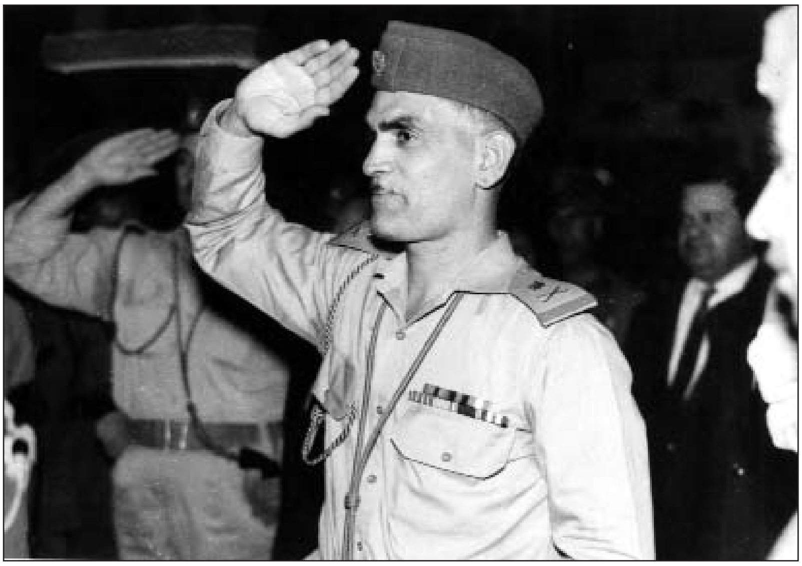
فؤاد عارف مع عبدالكريم قاسم في احتفالات تموز ١٩٦٠

فؤاد عارف مع عبدالكريم قاسم ومحمد يحيى ونزيه الدليمي في احدى احتفالات تموز ١٩٦٠

الصورة أعلاه: بعد توقيع اتفاقية آذار ١٩٧٠ وعودتهم في مطار مثنى ويظهر في الصورة: المرحوم صالح اليوسفي، صدام حسين، حردان التكريتي، فؤاد عارف و خالد عبدالحليم محافظ أربيل...

فؤاد عارف في احد احتفالات تموز ١٩٦٠ و يظهر في الصورة عبالكريم قاسم و عدد من السادة الوزاء

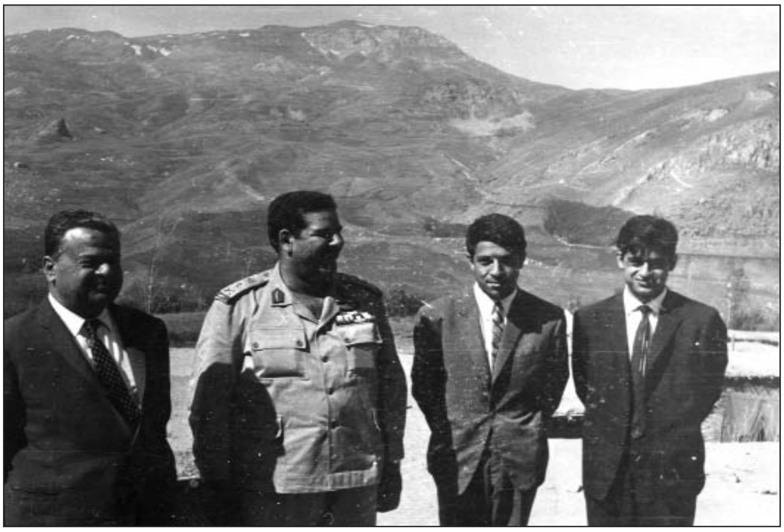

من اليمين الى اليسار: فرياد فؤاد عارف، اسماعيل فؤاد عارف، حردان التكريتي،
فؤاد عارف.. في ناوپردان منتصف١٩٧٠

فؤاد عارف وحرادن التكريتي ١٩٧٠

فؤاد عارف و عبدالكريم قاسم في
احتفالات تموز

عبدالكريم قاسم و فؤاد عارف في
احتفالات تموز

صورة عبدالكريم قاسم مهداة الى
شيرزاد فؤاد عارف ١٤ تموز
١٩٥٨

فؤاد عارف مع عبدالكريم قاسم ومجموعة من رؤساء العشائر الزيبارية ١٩٥٩

الملك غازي وجميل مدفعي و فؤاد عارف أثناء خروجهم من مطار البصرة ١٩٣٨

الملك غازي ومرافقه فؤاد عارف أثناء افتتاح مطار البصرة ١٩٣٨

الملك غازي وفؤاد عارف أثناء استقبالهم لافتتاح مطار البصرة ١٩٣٨

الملك غازيو فؤاد عارف أثناء افتتاح مطار البصرة ١٩٣٨

الصورة أعلاه: من اليمين الى اليسار: المقدم عبدالرحمن عارف، ناجي طالب رئيس الوزراء الآسبق، فؤاد عارف، أحمد محمد يحيى ١٩٦٠

فؤاد عارف وأحمد يحيي و مجموعة من الضباط أثناء زيارتهم للصين بمناسبة اليوبيل الزهبي للصين ١٩٥٩

الملك غازي وفؤاد عارف في مطار بغداد

محمد رضا الشبيبي وجميل مدفعي امام الملك غازي ومرافقه فؤاد عارف في حديقة البلاط الملكي ١٩٣٧

عبدالكريم قاسم، أحمد محمد يحيى، فؤاد عارف في احد احتفالات تموز

الملك غاز، فؤاد عارف، اكرم مشتاق قائد القوات الجوية على اليخت الملكي

فؤاد عارف وحمد صديق شنشل ومحمد حديد في سينما الخيام

فؤاد عارف و في استقباله سفراء احد الدول الأوربية و عقيلته لحضور حفلة شاي ١٩٥٩

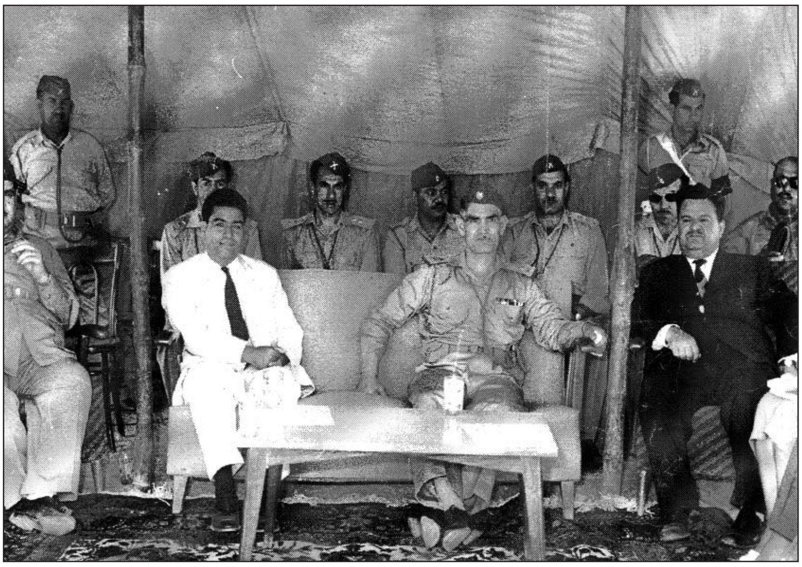

فؤاد عارف، عبدالكريم قاسم، اسماعيل عارف في عيد نوروز و خلفهم عدد من الضباط

الملك غازي، وفؤاد عارف، جميل مدفعي في مطار المثنى ١٩٣٧

الملك غازي و مرافقه فؤاد عارف في حديقة البلاط الملكي ١٩٣٧

الملك غازي يلقي خطاب العرش ١٩٣٨

الملا مصطفى متوجها الى "قصر السلام" صباح ١١ آذار ١٩٧٠ لتوقيع الاتفاقية مع نائب الرئيس العراقي صدام حسين ويظهر الى جانبه فؤاد عارف
(القدس) العدد ٢٩٢٧ الخميس ٨ تشرين الأول ١٩٩٨، ص١٣

(القدس) العدد ٢٩١٨، الأثنين ٢٨ ايلول ١٩٩٨ ، ص١٣

صدام حسين وفؤاد عارف في حديقة قصر الرضوانية ببغداد العام ٢٠٠٢

فؤاد عارف وصدام حسين عام ٢٠٠٢ في حديقة قصر الرضوانية ببغداد

فؤاد عارف وصدام حسين عام ٢٠٠٢ في حديقة قصر الرضوانية ببغداد

صدام حسين يودع فؤاد عارف في آخر لقاء لهما في صيف ٢٠٠٢

صدام حسين أثناء استقباله فؤاد عارف في أحد القصور الرئاسية

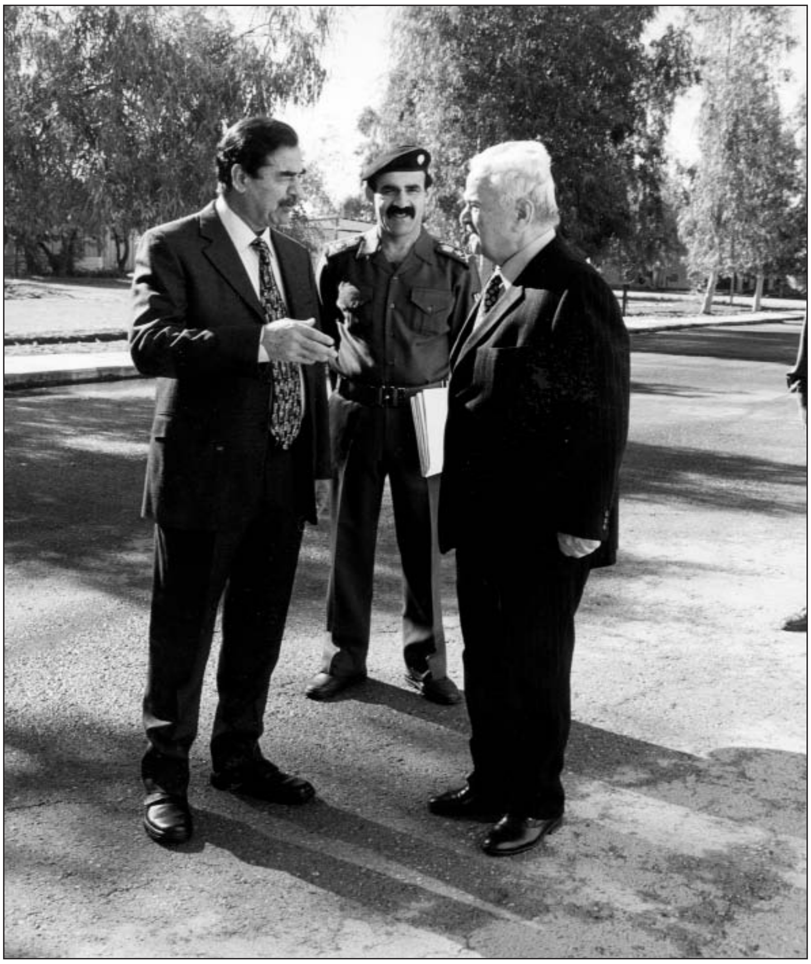

فؤاد عارف وصدام حسين في حديقة القصر الرضوانية ويظهر بينهما عبد حمود حيث
يوصله صدام حسين إلى سيارة خاصة لنقله

الخاتمة

هكذا إنتهيت مِن رواية قِصتي حسب قناعتي والتي ضمّنت فيها ما اعتقدته ضرورياً لزرع بذور الخير و الطيبة والأخوة في تربة وطني الغالي متجنباً التطرق إلى أمور تدمي قلب كل صاحب ضمير فوق البسيطة، وفي المقدمة منها عمليات التهجير والأنفال السيئة الصيت ألتي أدنتها في مجلسي ولدى الجميع على نطاق واسع ولم أرغب في عرضها ضمن موضوعات مذكراتي خصوصاً و إن محاكمات أركان النظام السابق و شهادات الشهود وصور الضحايا عرضت في وسائل الإعلام المرئية و غير المرئية على نطاق واسع.

وختاماً لا يسعني إلاّ أن أقدم جزيل شكري لكل من ساعد على نشر هذا الجزء من مذكراتي، وفي المقدمة منهم السادة الأعزة مسعود البارزاني و نيچيرڤان البارزاني وسداد البارزاني أدام الله أعمارهم ذخراً لوطني الجريح و العزيز.

كما أود أن أشكر الأخ العزيز عبدالله زنگنه مقدماً لأنه رحب بإقتراحي أن يكون هو المشرف على طبع هذا الجزء من مذكراتي ووضع فهرسٍ خاصٍ بالأعلام الذين وردت أسماؤهم في جزءي مذكراتي اللذين أتمنى من أعماق قلبي أن يحتلا ما يستحقان من مكانةٍ في المكتبة العراقية العربية و الكردية.